

هيتيك مع العبد
براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

اسلامية — شهرية — جامعة

العدد ٣٣٣ - جمادى الاولى ١٤١٤ هـ - نوفمبر ١٩٩٣

أسباب خوف
الغرب من الإسلام

أسس التشريع الإسلامى
مرونة وواقعية

أصول الديبلوماسية الثقافية فى الإسلام

ترقبوا ...

اعتباراً من شهر رجب المقبل .. مجلة الوعي الإسلامي ستكون بأيدي الكرام إن شاء الله تعالى بحجمها الكبير في ثوب جديد مادة وإخراجاً. وبهذه المناسبة تدعو مجلة الوعي الإسلامي كافة الأخوة المهتمين بالقضايا الفكرية والإسلامية المساهمة في عملية تطوير المجلة بمدى بنجاح فكرهم وكل ما يهم قضايا الأمن في مسيرتها المعاصرة.

والله ولي التوفيق ،،،

الوعي الإسلامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الوعي الإسلامي

AL-WAEI AL-ISLAMI

العدد ٣٣٣ - السنة الثلاثون - جمادى الأولى ١٤١٤ هـ - نوفمبر ١٩٩٣

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

ISLAMIC MONTHLY MAGAZINE, PUBLISHED BY THE MINISTRY OF AWQAF & ISLAMIC AFFAIRS - KUWAIT

كلمة الوعي

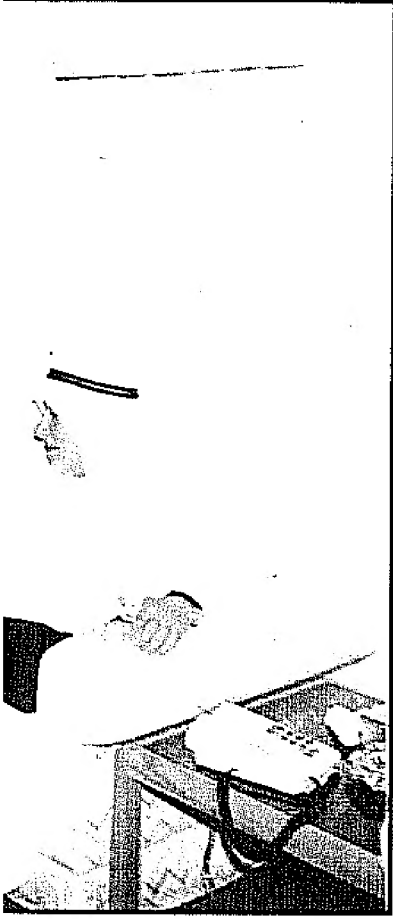
هل يمكن لأحد أن يتصور أن المخططات اليهودية التوسعية ستصل إلى الفلبين وتقيم على أرضها مستوطنة صهيونية في قلب منطقة مورو المسلمة!!! نعم هذا الأمر حدث فعلاً حيث أقام الصهاينة مستوطنة يهودية في محافظة لانا والشمالية إحدى محافظات بلاد مورو الواقعة تحت سيطرة حكومة الفلبين، وزيادة في التمويه تستر اليهود باسم تنظيم اسموه (الآدميون) هذا التنظيم يدعي الأهمية والإنسانية والاهتمام بمصلحة الإنسان وعدم التفريق بين جنس وآخر أو قبيلة وقبيلة كل الناس سواء فهم أبناء آدم عليه السلام، لهذا يرحب التنظيم بالنصارى والوثنيين واليهود والمسلمين في هذه المستوطنة!

الأمل كبير أن يتمكن مسلمو الفلبين من تفويت الفرصة على هؤلاء (الآدميون) وكشف أهدافهم ومخططاتهم الماكرة التي يتسترون وراءها قبل أن يستشري داؤهم ويستفحل خطرهم وتنتشر شرورهم وأثامهم.

الآدميون!!

الكويت ٣٥٠ فلساً - السعودية ٤ ريالات - البحرين ٣٠٠ فلس - قطر ٤ ريالات - الامارات ٤ دراهم - سلطنة عمان ٣٠٠ بيضة - الاردن ٥٠٠ فلس - ج.م.ع ٥٠ قرشاً - السودان ٥ جنيهات - موريتانيا ١٢٠ اوقية - تونس دينار واحد - الجزائر ٥ دنانير - اليمن ٥ ريالات - لبنان ٤٠٠ ليرة - سوريا ٢٠ ليرة - المغرب ٥ دراهم - ليبيا ٥٠٠ مليم - اوروبا جنيهه استرليني واحد او مايعادله - أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلها.

ثمن
النسخة



أنشطة

من أنشطة لجنة استكمال
تطبيق الشريعة



موضوع الخلاف

حقوق الانسان بين مواثيق
الاسلام ووثيقة الامم
المتحدة



نافذة تربوية



٢٥

قضايا تربوية

دبلوماسية ثقافية



أصول الدبلوماسية الثقافية
في الإسلام

رئيس التحرير

CHIEF EDITOR

بدر سليمان القصار
BADER AL-QASSAR

مدير التحرير

MANAGING EDITOR

صلاح الدين أركه دان
S.S. ARKADAN

المخرج الفني

ART DESIGNER

صالح محمد صالح
S.M. SALEH

المراسلات :

مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب. ٢٣٦٦٧
الصفقة 13097 - الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-WAEI AL-ISLAMI

P.O.BOX: 23667
AL-SAFAT 13097 KUWAIT
TEL: 965-2466300
EXT.: 1005
FAX: 965-2431740

هاتف:

بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥)
داخلي (١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها
للنشر، والوزارة غير مسئولة عما
ينشر فيها من آراء.

ادب اسلامي
الالتزام والحرية في
الادب الاسلامي

٦٧

قصة

تتناغم ...

١١٨

أخلاق اسلامية
الأمانة بين القرآن والسنة

٨١

تاريخ اسلامي
أجنادين المعركة التي
قهرت امبراطورية الروم

٩٩

قضايا نسوية

المرأة بين الدور والعمل

١٢٢



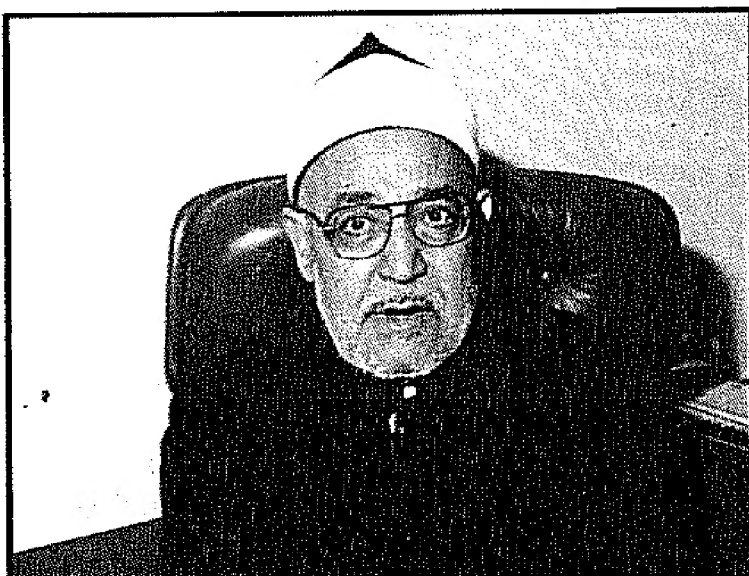
صحة إسلامية
أسباب خوف الغرب
من الاسلام

٥٥

تشريع اسلامي

اسس التشريع الاسلامي
مرونة وواقعية

٥٥



تعريف بكتاب

مهم داعية

٩٦

الافتتاحية :

الطريق إلى المستقبل

الهجمة التغريبية التي تشهدها ساحتنا الإسلامية على امتدادها والتي تقودها أطراف وجهات معادية من أجل تشويه عقائد المسلمين وأفكارهم بغرس أيديولوجيات متنافية مع قيمنا ومبادئ إسلامنا الحنيف في ظل سياسة التطبيع والترويض لخلق جيل مهزوز الايمان والفقہ ضعيف الثقة بنفسه وأمته.

نقول إن مثل هذه الهجمة ليست غريبة علينا نحن المسلمين والمطلع على التاريخ يجد أن بداياتها تعود للقرن الثالث الهجري حين هبت على الدولة الإسلامية الناهضة رياح الثقافة اليونانية وتسلفت في ذلك الوقت إلى عقول العديد من العلماء والمفكرين المسلمين فانبهرت بها عقولهم وزاغت بها أبصارهم فراحوا ينهلون من معينها بلا رؤية أو تمحيص.. يأخذون منها حلوها ومرها.. غثها وسمينها مما أحدث بلبلة وشرخا في فكرنا الاسلامي، في تلك الأيام قيض الله للأمة عددا من العلماء النابهين الذين تمكنوا من الوقوف في وجه تلك الهجمة التغريبية وصدوها وحصنوا الأمة ذاتيا من كل فكر دخيل يريد العبث بهوية الأمة وكان في مقدمة هؤلاء العلماء حجة الاسلام (أبو حامد الغزالي) الذي ألف كتابه المتميز (تهافت الفلاسفة) والذي أجمع أكثر المؤرخين على أن الفضل يعود له بعد الله سبحانه وتعالى في وقف المد الفلسفي اليوناني الوافد وإجباره على التراجع الى خارج الحدود وتنقية الفكر الإسلامي من كل شائبة دخيلة، لم يعتمد الغزالي في تصديده للفكر اليوناني على منهجية واهية ولا على أفكار ضبابية ولا على قلة منهم وإدراك للفكر المعادي وإنما اعتمد على قاعدة إسلامية صلبة وعلى فهم عميق لفلسفة الغازي لهذا جاءت محاولاته النقدية لتصيب مقتلا من فكر الخصوم.

واليوم فإن العقل المسلم قد غاب أو غيب عن مجريات الأحداث

فأصابه الركود والخمول وانبهر بحضارة الخصوم وظهرت دعوات من هنا وهناك تطالب بالتخلي عن التراث الذى ورثناه لأنه فى نظرهم سبب تخلفنا وتراجعنا فى سلم الحضارة.. هذا الاستعمار الجديد يحاول جاهدا أن يكرس الفجوة بين حاضرنأ وماضينأ ليفرض علينا فرضأ فكره وثقافته وينسف من الجذور هويتنا الحضارية المتميزة. إن التصدى لهذه الهجمة المعاصرة تحتاج الى نفس المنهج الذى سار عليه الغزألى دون أن نعيش فى عزلة عن حضارة العصر بكل ما فيها من حضارة وتقدم وهذا يتطلب:

١ - دراسة متأنية لفكرنا الإسلامى الأصيل المستمد من الكتاب والسنة ليقوم عليه المشروع الإسلامى الحضارى المتكامل لأنه من الجريمة بمكان كما قال أحد مفكرى الإسلام المعاصرين أن ننتمى إلى الإسلام ثم لا نحسن فهمه ولا عرضه ولا العمل به ولا الدفاع عنه.

٢ - قراءة مفصلة لفكر الخصوم مبينين قصوره وعجزه وفشله ومما يسهل علينا هذه المهمة. أن الواقع المعاصر قد أثبت لنا فشل هذا الفكر حتى فى حل أصغر المشكلات المعاصرة وما سقوط الشيوعية والتحولت الجارية فى روسيا ودول المعسكر الاشتراكى السابق ولا تخطب الرأسمالية على الرغم من وصولها الى درجات عالية من الرقى المادى إلا شاهد صدق على ما نقول.. ما علينا إلا أن نقدم البديل الإسلامى لهذا الفكر المهزوم.. لسنا فى حاجة لتضييع الجهود فى نقد وكشف زيف هذا الفكر لقد كشف نفسه بنفسه وظهر أمام الجميع بمظهر العريان المفلس الذى ارتكب جريمة بحق نفسه والإنسانية جمعاء عبر عقود من الزمان وهذا لا نقوله تجنيا على هذا الفكر بل يشهد بذلك المنصفون من القلة الذين يعترفون الآن وبكل صراحة بأن الحضارة الغربية قد وصلت الى الطريق المسدود!

إنه بقدر اعتزازنا بماضينأ فإن الحاضر يفرض علينا أن نبذل الجهد الكافى لنقدم المشروع الإسلامى الحضارى بأسلوب العصر وإسقاطه على الواقع إسقاطا سليما خاليا من الشوائب والأخطاء فبقاء أمتنا وديمومتها مرهون بوجود هذا المشروع وهذه القيم حتى نحدد معالم الطريق إلى المستقبل.

الوعى الإسلامى

من أنشطة لجنة استكمال تطبيق الشريعة

وفد اللجنة الاستشارية العليا يزور كلاً من ماليزيا وبروناي

الإسلامية في جميع المجالات وسوف يكون لهذه الزيارة الأثر الكبير في دفع اللجنة إلى الاستزادة من الخبرات، خاصة فيما يتعلق بالاقتصاد الإسلامي، وكذلك تغير القوانين وفق الشريعة الإسلامية، وفي ماليزيا سوف يزور الوفد بعض الوزراء وبعض المسؤولين، كما يزور المراكز الإسلامية والجامعة الإسلامية العالمية.

وفي بروناي سوف يلتقي بالخبراء والمختصين الذين يراجعون القوانين لكي تكون وفق الشريعة الإسلامية.

وفد اللجنة يصل ماليزيا

وصل وفد اللجنة الاستشارية العليا إلى ماليزيا يوم الأربعاء ٨/٩/١٩٩٣، وكان في استقبالهم سفير الكويت في ماليزيا الشيخ الدكتور / سالم جابر الأحمد الجابر الصباح والسكرتير الأول في السفارة السيد داود العبدالجليل والسيد فايز المطيري الملحق بالسفارة.

زيارة المركز الإسلامي الماليزي

وفي اليوم التالي بدأ الوفد ببرنامج الزيارات المعدة وكانت الزيارة الأولى إلى

غادر البلاد يوم الثلاثاء ٢١ ربيع الأول ١٤١٤ هـ الموافق ٩/٧/٩٣ وفد من اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية في الديوان الأميري إلى ماليزيا وسلطنة بروناي، وذلك للاطلاع على الدراسات والأبحاث الخاصة بالشريعة الإسلامية إضافة إلى التطبيقات في كافة المجالات. وقد ترأس الوفد الدكتور خالد المذكور رئيس اللجنة الاستشارية العليا، ويسرنا في هذا العدد أن نتعرف على أنشطة الوفد الكويتي هناك.

الدكتور المذكور يوضح أهداف الزيارة

وصرح الدكتور المذكور قبيل مغادرته أرض الوطن قائلاً: «تأتي زيارة اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية إلى ماليزيا وسلطنة بروناي، ضمن الزيارات التي يقوم بها الوفد في الدول الإسلامية للتعريف باللجنة ومن ثم الاطلاع على النشاط الإسلامي هناك وعلى الخبرات التي تكون عند الدول الإسلامية فيما يتعلق بتطبيق الشريعة

انشطة اسلامية

زيارة المرصد الفلكي

ومن الإدارات التابعة للمركز الإسلامي الماليزي (المرصد الفلكي) والذي يعد مفخرة لماليزيا للتطور العلمي والتقني.

وقد قام الوفد الكويتي بالتجول في أقسام المرصد الفلكي واطلع على آخر ما توصلت إليه التقنية الفلكية المبسطة للجمهور الكريم.

وفي ختام الزيارة سجل الدكتور خالد المذكور كلمة في سجل الزائرين، كما قدم درعا تذكارية لمسؤول المركز بمناسبة الزيارة.

حوار مثمر مع المحكمة الشرعية

بعد ذلك توجه الوفد إلى المحكمة الشرعية، وقد كان في استقبالهم رئيس المحكمة الشرعية الشيخ غزالي

المركز الإسلامي الماليزي حيث التقى الوفد مع القائمين على المركز والمسؤولين عليه وبعض أساتذة الجامعة والمحامين، ويقوم المركز بالعديد من الأعمال الإسلامية. في بداية اللقاء رحب البرفسور أحمد إبراهيم - المحامي - بالوفد الكويتي ووضح أن الحكومة الماليزية قد شكلت لجنة برئاسة نائب رئيس الوزراء وبعض أعضاء البرلمان الماليزي، كما قامت هذه اللجنة بتشكيل عدة فرق عمل (لجان فرعية) لتقوم بالدراسات والأبحاث الخاصة بالشريعة الإسلامية وتطبيقاتها.

بعد ذلك قدم الدكتور خالد المذكور تعريفاً باللجنة الاستشارية العليا وأعمالها وإنجازاتها ثم قدم المستشار عبدالله العيسى رئيس اللجنة التشريعية تعريفاً بالقضاء وتاريخه في الكويت. ثم جرى حوار ونقاش حول مختلف القضايا الخاصة بالشريعة الإسلامية.



انشطة اسلامية

عبدالرحمن.

وبعد التعريف بالمحكمة الشرعية
ومن ثم باللجنة الاستشارية جرى حوار
مثمر بين القضاة والمستشارين
والأعضاء حول مختلف القضايا الشرعية
والقانونية.

الوفد يزور البنك الإسلامي الماليزي

كما قام الوفد بزيارة البنك
الإسلامي الماليزي المحدود، وقد رحب
مدير عام البنك بالحضور شاكرًا لهم
زيارتهم للبنك، ثم قدم لهم تعريفًا
تفصيليًا عن إدارة البنك وتشكيل مجلس
الإدارة ومكتب الرقابة الشرعية المكون من
علماء ماليين.

بعد ذلك قدم الدكتور المذكور تعريفًا
باللجنة الاستشارية وبالأخص اللجنة
الاقتصادية، التي يرأسها د. عبدالله
محمد عبدالله، والذي قام بدوره
بالتعريف باللجنة الاقتصادية وما قامت
به من أبحاث ودراسات. ثم جرى حوار
ونقاش حول مختلف القضايا
الاقتصادية.

المغادرة إلى ولاية ترنجانو

غادر الوفد مدينة كوالالمبور متوجهًا
إلى ولاية ترنجانو وهي تقع في الشمال
الشرقي لماليزيا وذلك لزيارة بعض
الجهات العلمية الإسلامية، وللمقارنة بين
التطبيق في الولايات حيث إن النظام في
ماليزيا فيدرالي، فكل ولاية لها سلطان
ونائب سلطان ورئيس وزراء ووزراء
ولها أحكامها الخاصة وقوانينها
المميزة.

الوفد يشارك في حفل تخريج الكلية الدينية

بدعوة من مدير كلية السلطان زين
العابدين الدينية في ترنجانو توجه وفد
اللجنة الاستشارية إلى القاعة الكبرى
لحضور حفل تخريج الدفعة العاشرة من
طلبة الكلية. وأقيم الحفل برعاية وحضور

ولي عهد ترنجانو تنكو ميزان ابن
السلطان محمود المكتفي بالله شاه، وذلك
بمناسبة عيد العلم في ترنجانو.

وفد اللجنة في ضيافة كبير وزراء ترنجانو

تلبية لدعوة كبير وزراء ترنجانو
داتو الحاج وان مختار بن أحمد حضر
وفد اللجنة الاستشارية العليا وليمة
العشاء التي أقيمت على شرف ضيوف
ولاية ترنجانو، وفد اللجنة الاستشارية
العليا في الكويت. وقد شارك في العشاء في
جو مليء بالود والتآخي.

الدكتور المذكور يشكر حسن
ضيافة حكومة ترنجانو

ثم ألقى د. خالد المذكور كلمة شكر
فيها ضيافة فخامة السلطان وشكر دعوة
الوفد لحضور حفل تخريج طلبة كلية
السلطان زين العابدين الدينية مشيدًا
بحسن التنظيم لهذا الحفل.

كما شكر دعوة كبير الوزراء للوفد
لوليمة العشاء وتكريمه لهم.

انشطة اسلامية

زيارة الإدارة الدينية

قام وفد اللجنة الاستشارية بزيارة الإدارة الدينية في ترنجانو، وقد كان في استقبالهم رئيس وأعضاء الإدارة الدينية.

وقد رحب رئيس الإدارة الأستاذ تنكو سري بالحضور وقدم لهم تعريفا تفصيليا بعلم الإدارة والتي تهتم بنشر الوعي الإسلامي الصحيح وتوفير الدعاة ولائحة عمل الدراسات والأبحاث الإسلامية.

ثم قدم د. خالد المذكور تعريفاً باللجنة وأهدافها وأعمالها وجرى بعدها حوار ونقاش حول العديد من القضايا. وفي ختام الزيارة قدم الدكتور خالد المذكور درعا تذكارية لرئيس الإدارة كما تم إهداء نسخة من الموسوعة الفقهية ومجموعة نسخ من القرآن الكريم.

وفد اللجنة يطلع على نظام الحج في ماليزيا

زار وفد اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة، مؤسسة صندوق تمويل الحج

«مؤسسة التوفير وشؤون الحج الماليزية».

وقد قدم مدير الشؤون الصحية شرحا موجزا عن المؤسسة وأقسامها، ثم عرض فيلما تعريفيا عن المؤسسة بشكل أكثر تفصيلا، وقد عرض الفيلم بشكل جيد ومتطور. وقد أثنى ٦. خالد المذكور على هذا العمل الرائع مشيدا بحسن تنظيم الحجاج الماليزيين.

وزير التربية يستقبل وفد اللجنة

بعد ذلك توجه الوفد الى مقر وزارة التربية حيث كان في استقبالهم الوزير الأستاذ سليمان حجي داود الذي رحب بالوفد معطيا فكرة سريعة عن التعليم في ماليزيا والاهتمام بالجانب الديني والأخلاقي من خلال المناهج الدراسية، حيث إن مادة التربية الإسلامية ملزمة لجميع الطلبة المسلمين في كل المراحل الدراسية، وغير المسلمين يعرضون بمادة الأخلاق.

وفي ختام الزيارة قدم د. خالد المذكور درعا تذكارية لمعالي وزير التربية، كما قدم معالي الوزير هدية للدكتور خالد المذكور.

لجنة التعريف بالإسلام تستضيف الدكتور خالد المذكور

استضافت لجنة التعريف بالإسلام مؤخراً رئيس الهيئة العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فضيلة الشيخ الدكتور خالد المذكور حيث قام بإلقاء محاضرة قيمة في ديوانية اللجنة استهلها بالإشادة بلجنة التعريف بالإسلام والثناء علي دورها الرائد في مجال التعريف بالإسلام والاهتمام بالمهتدين الجدد ومتابعتهم والعناية بهم، ثم تناول مهمة لجنة استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وطبيعة عملها وآخر ما توصلت إليه في مشروعها، وبين ان المسلم يتطلع ويهدف إلى تطبيق شريعة الله ليلتزم بها في نفسه واسرته ومجتمعه ويعيش في بيئة تكون فيها كل العلاقات والمعاملات الاجتماعية والاقتصادية والإعلامية والتربوية وفق شريعة الله، وهذا ما تعمل من أجله لجنة استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.

تصحيح المفاهيم

دور اللجان الخيرية

وأضاف د. المذكور متحدثاً عن اللجنة الاجتماعية وهي لجنة خامسة مكملة لسابقتها ويقع على عاتقها توثيق صالة اللجنة العليا بالجمهور وذلك من خلال الخطب والمحاضرات والزيارات لتوعية الناس وتصحيح مفاهيمهم حول الشريعة وأسلوب تطبيقها، وليكون هؤلاء القاعدة العريضة لمشروع الهيئة العليا.

بين د. المذكور ان عمل اللجان الخمس المنبثقة عن اللجنة الاستشارية يتم وفق مراحل وأطر وأسس ابتداء من مرحلة التأسيس وحتى مرحلة النماء والعطاء وذلك لتتمكن من تقديم أنظمة مفصلة ومدرسة جاهزة وقابلة للتطبيق، ثم أشار إلى أهمية عمل اللجان الخيرية المنتشرة في الكويت ودورها المؤثر والمكمل لمهمة هيئة استكمال

د. المذكور : قوانينا تراجع مادة مادة وتعدل لتوافق الشريعة



نهاية هذه الزيارة وتقديراً للدكتور خالد المذكور قام رئيس مجلس إدارة لجنة التعريف بالإسلام عبدالوهاب صالح الشايع بتسليم الضيف درع اللجنة التكريمي.

مراجعة القوانين

وعن المرسوم الأميري الصادر لإنشاء اللجنة قال د.المذكور إنه أسند إليها مهمتان: الأولى ، تهيئة الأجواء لتطبيق الشريعة الإسلامية، والثانية مراجعة القوانين لتتوافق مع الشريعة، وقد قامت اللجنة الاستشارية لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة بناء على هذا، بإنشاء خمس لجان فرعية، كانت مهمة

تطبيق الشريعة واعتبر أن كل واحدة من هذه اللجان تسد ثغرة من الثغرات وتدافع عنها، وهكذا يتكامل عملنا جميعاً.

بعد نهاية المحاضرة أجاب د.المذكور على باقة متنوعة من أسئلة الحضور دارت حول أساليب التعريف بالإسلام وأمور المهتمين الجدد بالإضافة إلى مسائل فردية واجتماعية عامة.

درع تكريمي

يجدر بالذكر ان الدكتور المذكور قام بجولة على أقسام اللجنة والتقى أعضائها وتعرف على نشاطاتها، وفي

حقوق الإنسان بين موانئيق الإسلام ووثيقة الأمم المتحدة



حدث عام ١٩٤٨م

عندما أعلنت الأمم المتحدة وثيقة حقوق الإنسان في العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨م، صفق العالم طويلاً، وانبرى الكتاب والمفكرون والمتقنون يقرظون ويمجدون، وأصبح الاحتفال باليوم الذي ظهرت فيه هذه الوثيقة شيئاً مقدساً وحدثاً جلاً تقام فيه المسابقات والمباريات، وتوزع الجوائز، وتعقد الندوات والمؤتمرات سنوياً — في يوم ذكرى إصدار هذه الوثيقة — للتعريف بالأمم المتحدة وأيديها البيضاء في كافة النواحي والمجالات الإنسانية!

ونحن عندما نعرض لهذا الموضوع في هذه العجالة لا نغبن حقاً لمن يستحق، ولكن سؤالاً يطرح نفسه: هل أتت الأمم المتحدة في وثيقتها بجديد؟ ولكي نجيب عن هذا السؤال — بموضوعية — لابد من الإجابة عن سؤال آخر: ماذا تحوي هذه الوثيقة؟ فنقول:

١ - تتناول المادتان الأولى والثانية من الوثيقة مفهوم أن البشر جميعاً يولدون أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق وأن لهم جميعاً حق التمتع بكافة الحريات المعلنه في ميثاق الأمم المتحدة دون التمييز بينهم بسبب لون أو عرق أو دين أو رأي سياسي أو ثروة أو نسب أو غير ذلك من الأسباب.

حقوق الإنسان

شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ الحجرات (١٣) ويقول: ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً﴾ النساء (١٢٤)

ويقول صلى الله عليه وسلم: (الناس كلهم بنو آدم وأدم خلق من تراب) رواه الترمذي.

ويقول: (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) رواه البخاري.

ويقول: (اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقيم فيكم كتاب الله تعالى) رواه البخاري.

– بهذه النصوص السماوية الساسية يقرر الإسلام واحداً من أهم المبادئ التي أقيم عليها مجتمعه: المساواة.. لا فرق بين عربي وأعجمي، لا فرق بين أبيض وأسود، لا عنصرية ولا عصبية، المفاضلة هنا بالعمل، العمل وحده هو المعيار: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ الزلزلة (٧، ٨).

هكذا التقدير وهكذا المفاضلة دون محاباة أو ظلم.. دقة ووضوح، فهل نرى هذه المساواة الحقيقية في المجتمعات الأخرى؟! وإذا كانت موجودة فلماذا ينادون بها بعد ظهور الإسلام بأربعة عشر قرناً؟!.

وتعالوا معنا نقرأ ما كتبه «توينبي» فيلسوف حضارتهم في هذا الشأن: «إن انعدام التعصب العنصري – كما هو الشأن بين المسلمين – من أبرز ما حققه الإسلام في ميدان الأخلاق، والواقع أن ثمة حاجة ملحة في العالم المعاصر إلى نشر

٢ – وتتناول المواد من الثالثة إلى الثالثة والعشرين الحقوق المدنية والسياسية في المعاملات والمراسلات والتملك والتنقل، وحرية الإنسان في حياته الخاصة وحرية الفكر والرأي والعقيدة، وحقه في تكوين الأحزاب وحكم بلده، وفي تقلد كافة الوظائف المتاحة لقدراته.

٣ – والمواد من الثالثة والعشرين إلى الثلاثين تتناول الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كحق الفرد في معيشة كريمة والضمان الاجتماعي والصحة والتعليم، كذلك تناولت المواد مسئوليات الفرد في المجتمع.

– هذه نظرة عامة في محتويات وثيقة حقوق الإنسان فهل أتت الأمم المتحدة بجديد؟!

عود على بدء

ونحن مع تقديرنا لكل الأهداف النبيلة التي تم إنشاء الأمم المتحدة من أجلها، والتي إذا خرجت من حيز النظرية إلى حيز التطبيق لعم الخير والسلام ونعم البشر جميعاً بالأمن والطمأنينة، إلا أننا نقول إن الأمم المتحدة لم تأت بجديد!!، فقبل إعلان الأمم المتحدة بحوالي أربعة عشر قرناً من الزمان ظهر الإسلام وجاء نبيه حاملاً دستوراً سماوياً يمنح الفرد الحياة الكريمة، ويهب المجتمع السمو والرقى، دستوراً كاملاً لا حوب فيه ولا إغوجاج، ولم لا وهو صادر عن رب الناس الخالق الأحد المعبود المنزه.. فماذا يقول الإسلام في دستوره العظيم؟!

أولاً: المساواة

يقول عز وجل: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم

حقوق الإنسان

هذه الفضيلة الإسلامية!

— ولعل بلالا بن رباح — وهو العبد الأسود — مثل واضح للمساواة الحقيقية وانعدام التعصب والعنصرية — فقد ارتقى قمة القمم عندما اختاره الرسول مؤذنا ينادي إلى الصلاة!، وسلمان الفارسي — ولم يكن عربيا — أصبح بإسلامه نموذجا للصحابة المقربين إلى رسول الله وأحد الذين يأخذ الرسول بمشورتهم في المعارك! فماذا يحدث الآن في جنوب أفريقيا؟!

— ويقول عز وجل: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذْنَ بِالْأُذْنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا﴾ المائدة (٤٥)

ويقول: ﴿وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ النساء (٥٨) ويقول: ﴿وَقُلْ أَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾ الشورى (١٥)

ويقول عز وجل في حديثه القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا» رواه مسلم.

ويقول صلي الله عليه وسلم: (المقسطون عند الله يوم القيامة علي منابر من نور عن يمين الرحمن) رواه مسلم والنسائي.

ويقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة» رواه الدرامي.

ويقول: «والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها» متفق عليها.

العدل: وجه آخر من وجوه المساواة،

والعدل في المجتمع الإسلامي مكفول للجميع، لا فرق بين حاكم ومحكوم، أو بين قوي وضعيف، أو بين كبير وصغير، لا محاباة.. الجميع سواسية ينعمون بمظلة واحدة، وقمة العدل في الإسلام القصاص، فحق القصاص يمثل حجر الزاوية في العدل الإسلامي، فالنفس بالنفس، والعين بالعين، والأنف بالأنف، والأذن بالأذن والسن بالسن، من قتل يُقتل، ومن ضرب يضرب، ولعل قوله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: (اضرب ابن الأكرمين) مازال يتردد صداها عبر التاريخ! فهل يحدث هذا في غير حضارة الإسلام؟!

ثانيا: الحرية

أ - حرية العقيدة

باب الحريات في الإسلام، باب واسع عريض، وعلى رأس هذا الباب تأتي حرية العقيدة، وهي الحرية الأم في الإسلام. يقول عز وجل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرِّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة ٢٥٦. ويقول: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ الكهف ٢٩.

ويقول مخاطبا نبيه ورسوله الخاتم في استفهام غرضه النفي والإنكار: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبِّكَ لَأَمَّنَ مِنْ فِي الْأَرْضِ كُلِّهِمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تَكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ يونس ٩٩. وبهذه النصوص السماوية يقرر الإسلام أن حرية العقيدة مكفولة للبشر جميعا.. الاختيار للفرد دون تدخل من أي عامل خارجي أو إجبار، وهذا رسول الله يقول لطفي بن عمر — عندما سأله أن يرسل معه قوة تحمل قومه على الدخول في الإسلام — (عد إلى قومك، فادعهم وارفق بهم)! ولقد تمتع غير المسلمين في بلاد الإسلام بكل ما يتمتع به

حقوق الإنسان —

محن وملومات لا اللجوء إلى أعداء الله
وأعدائهم!

ب - حرية الذات
يقول عز وجل: ﴿فلا اقتحم العقبة.
وما أدراك ما العقبة. فك رقبة﴾.
ويقول: ﴿ومن قتل مؤمناً خطأ
فتحرير رقبة مؤمنة﴾ النساء ٩٢.

يا الله.. مجرد القتل الخطأ لمؤمن
يوجب تحرير مؤمن من نير الرق
والعبودية.. فهو - أي القاتل - مادام قد
أخرج - ولو بالخطأ - مؤمناً من زمرة
الأحياء وجب عليه إدخال مؤمن آخر في
زمرة الأحرار!

وفي هذا المعنى يقول الإمام النسفي في
تفسيره، لهذه الآية: (إنه - أي القاتل - لما
أخرج نفساً مؤمنة من جملة الأحياء، ألزم
أن يدخل نفساً مثلها في جملة الأحرار..
لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها من
قبل أن الرقيق ملحق بالأموات) مدارك
التنزيل وحقائق التأويل ج ١ ص ١٨٩.

وبلغت درجة السمو الإسلامي المرتبة
العليا عندما حث علي عدم مناداة الخدم
بألفاظ مثل عبد أو أمة.. فالعبودية لا
تكون إلا لله وحده.. يقول صلى الله عليه
وسلم: (لا يقل أحدكم: عبدي وأمتي،
وليلق: فتاي وفتاتي).

رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن
حنبل.

فهل يحدث هذا في غير مدنية
الإسلام؟! إن عصابات التجارة في الرقيق
ما زالت تمارس تجارتها - في رواج - في
معظم أنحاء العالم، فقد نشرت الصحف
أخيراً عن عصابة كبيرة تتاجر في الرقيق
بالبرازيل.

ج - الحرية الشخصية
يقول عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا

المسلمون ما داموا يؤدون للمسلمين
حقهم عليهم: الجزية، ويقول «ريتشارد
ستيبز» مقررًا هذا المعنى: (لقد سمح
الأتراك - يقصد الدولة العثمانية -
للمسيحيين جميعاً - للإغريق واللاتين -
أن يعيشوا محافظين على دينهم وأن
يصرفوا ضمايرهم كيفما شاءوا بأن
منحواهم كنائسهم لأداء شعائرهم
المقدسة في القسطنطينية وفي أماكن أخرى
كثيرة، علي حين أستطيع أن أوكد بحق
أننا لا نرغم علي مشاهدة الحفلات
البابوية فحسب بل إننا في خطر علي
حياتنا وأولادنا)!

هكذا شهد شاهد من أهلهم ولعل
ما يحدث الآن في سراييفو وليبيريا
واريتريا والصومال والسودان
والجمهوريات الإسلامية في اتحاد دول
الكومنولث السوفيتية (الاتحاد السوفيتي
سابقاً) وغيرها وما حدث بالأمس في
اسبانيا والبرتغال وفلسطين.. لعل
ما حدث وما يحدث من اضطهاد
للمسلمين لإجبارهم على ترك عقيدتهم
واعتناق عقائد أخرى لدليل سافر علي أن
حرية العقيدة - في غير المجتمعات
الإسلامية - مجرد حبر على ورق!!
وحقوق الإنسان التي ينادون بها مجرد
شعار أجوف لا قيمة له ولا معنى..
والانتهاكات التي تحدث هي إدانة
للضمير الإنساني بصفة عامة، وللضمير
الإسلامي بصفة خاصة، ويجب على
المسلمين إعادة النظر في أمورهم الحياتية
لأن الاكتفاء بمجرد الشجب والإدانة -
مثلما يحدث دائماً - استسلام للظلم الذي
يتعرض له المسلمون في معظم بلدان
العالم.. يجب علي المسلمين العودة إلى الله
واللجوء إليه في كل ما يعرض لهم من

حقوق الإنسان

لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتي تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون. فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتي يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم» النور ٢٧، ٢٨. ويقول صلى الله عليه وسلم: «إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليصرف» رواه البخاري.

— هكذا كفل الإسلام للفرد حرية التصرف في بيته وتسيير دفة أسرته وفقا لإمكاناته وطبقا لأوامر الله ونواهيه.. بل لقد فرض علي الآخرين احترام هذه الحرية وتقديرها حتي إن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «لو أن امرأ أطلع عليك بغير إذن فخذفته بحصاة ففقت عينه ما كان عليك من جناح» متفق عليه.

ثالثا: الشورى

يقول عز وجل: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ الشورى ٣٨. ويقول: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ آل عمران ١٥٩.

هذه هي الشورى في مدنية الإسلام أو الديمقراطية كما يحلو للمدنيات الأخرى تسميتها، والشورى في الإسلام تمنح الفرد حرية الرأي، وحرية التعبير، وحرية الكلمة ومن ثم كانت الأساس الذي اعتمد عليه في بناء المجتمع القويم، وكانت حجر الزاوية في بناء الفرد النافع لنفسه ومجتمعه، فلقد قرر الإسلام في صراحة ووضوح أن المجتمع عبارة عن مجموعة متماسكة من الأفراد، وعلي كل فرد أن يدلي بدلوه من أجل الصالح العام، بهذا يرقى المجتمع ويزدهر، ويحس كل من فيه أنه شريك في مسئولية البناء والحكم؛ ولقد كان الرسول — وهو سنام الأمة

الإسلامية — القدوة والمثل في مشاورة أصحابه مادامت الشورى في أمر دنيوي لم يرد فيه نص إلهي قاطع، وفي هذا يقول أبوهريرة رضي الله عنه: «ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم» رواه الترمذي.

فهاهو المصطفى الخاتم يقرر في سماحة وسعة أفق لأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب: (لو اجتمعنا في مشورة ما خالفكما) رواه ابن حنبل.

لا ديكتاتورية هنا ولا تعنت، ولعل غزوة بدر تكشف في جلاء عن درس من دروس الشورى علمه الرسول القائد للجميع: (لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر خرج فاستشار الناس، فأشار عليه أبوبكر، ثم استشارهم، فأشار عليه عمر فسكت، فقال رجل من الأنصار: إنما يريدكم! فقالوا: يارسول الله والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: اذهب أنت وربك فقاتل إنا هاهنا قاعدون، ولكن والله لو ضربت أكباد الإبل حتي تبلغ برك الغماد لكنا معك) رواه ابن حنبل.

هكذا اتخذ الرسول قراره بالحرب.. قرار المصير الذي أشرك فيه الجميع، وكما شاور الرسول رعيته في اتخاذ قرار الحرب، شاورهم في أمر أسرى هذه الواقعة الخالدة، وكذلك كانت كل قراراته الحيوية — والتي كما أسلفنا لم ينزل فيها نص إلهي — لا تتخذ إلا بالشورى، وعلي هذا المنوال سار الخلفاء الراشدون ومن تبعهم من قادة التاريخ الإسلامي، ولهذا ازدهر المجتمع الإسلامي واتسعت رقعته.

رابعا: التكافل الاجتماعي



سمو بكرامة الإنسان مثل هذا السمو؟! وهل هناك نظام يمثل هذا التواد والتراحم والرقى؟! لا أعتقد!

- وهذا النظام في التكافل الاجتماعي - الذي لا يوجد في غير مجتمعات الإسلام - يؤدي إلى شعور الغني بحاجة الفقير إليه فيبره ولا يبخل عليه، ويؤدي إلى شعور الفقير بحب الغني له فيبادل حبا بحب ولا يحسده على نعمة الله عليه، وبذلك تزول الضغائن والأحقاد، فينشأ المجتمع كله على الترابط والحب والألفة والتعاطف العام، وبالزكاة أوجد الإسلام الحل المثالي لمشكلة العوز والفاقة، وفي هذا المعنى يقول العلامة «دروسن»: (... ولقد وجدت في الإسلام حل المشكلتين اللتين تشغلان العالم طرا.. الأولي في القول القرآني الكريم «إنما المؤمنون أخوة» (١) فهذا أجمل المبادئ الاشتراكية، والثانية في فرض الزكاة على كل ذي مال)، والمشكلتان اللتان يقصدهما «دروسن» هما: مشكلة الفقر ومشكلة انعدام الروابط الأسرية في مجتمعات المادة.

- وبهذا النظام السماوي الرفيع جعل الإسلام المجتمع كله يتنفس برئة واحدة، ينبض بقلب واحد، يحيا بروح واحدة في توازن دقيق لا يختل ولا ينقسم، تكافل

يقول عز وجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ التوبة ١٠٣.

ويقول: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ المعراج ٢٤، ٢٥.

ويقول صلى الله عليه وسلم: «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له» رواه البخاري.

ويقول: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» رواه مسلم،

- هذا هو التكافل الاجتماعي في أرقى صورته، يتجلي في الزكاة والصدقة، ففي الإسلام لا يجب أن يكون هناك فقير معدوم ولا غني مستغل، لا توجد طبقات لأنه لا يكفي لقيام الطبقات أن تتفاوت الثروات، ولكن الذي ينشئ هذه الظاهرة تحول المال بالتراكم إلى الاستغلال، والإسلام عندما يأخذ من الفرد المستغني ليعطي الفرد المحتاج إنما يحول دون الصراع الطبقي، والفقير في الإسلام له حق حقيقي مكفول بالقوة، وليس مجرد إحسان اختياري كما قد يظن البعض وذلك لقوله تعالى: ﴿حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ فالحق يقتضيه دائن مستحق، والدائن هنا هو الفقير، والمدين هو الغني!، فهل هناك

حقوق الإنسان

عام وأخوة مطلقة.

خامساً: العلم وحق التعليم

يقول عز وجل: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ المجادلة (١١)

ويقول صلى الله عليه وسلم: (إن العلماء ورثة الأنبياء) رواه مسلم. ويقول: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم) رواه الترمذي.

ويقول: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له طريقاً إلى الجنة) رواه مسلم.

— من هذه النصوص نتبين مدى إدراك الإسلام لقيمة العلم وأهميته، فالعلم يفتح الأذهان ويوسع المدارك، فيمنح البصر البصيرة، ويهب العقول القدرة على الاختيار الصحيح والتمييز بين الخبيث والطيب، وبذلك يمكن للفرد أن يفرض إرادته بقوة المنطق والإقناع، وبهذا يتحرر من عبودية الجهل والتقليد والتبعية، وكان العلم حقاً أوجبته الله للإنسان، فجاء الإسلام ليمنحه هذا الحق الذي حجبه عنه بعض أبناء جلدته لحاجات في أنفسهم، لعل أهمها أن الجاهل أسلس قياداً وأضعف جانباً، والإسلام عندما جاء للإنسان بحق العلم، إنما جاء ليفرضه، فكانت «اقرأ» أول كلمة نزلت من الوحي على الرسول، وهي صيغة أمر تحمل معنى الفرضية، وكذلك قرر الرسول: (طلب العلم فريضة على كل مسلم) رواه مسلم.

— وفي غزوة بدر الكبرى كان فداء الأسير الذي لا يملك مالا يفقدي به نفسه، أن يعلم عشرة من المسلمين، والعلم في الإسلام هو علم الدين والدنيا معاً، وكذب من ادعى أن العلم المقصود في الإسلام هو

العلم الديني فقط!

— وبعد.. فهذه قطوف من دستور الإسلام العظيم، أوجزنا فيها باختصار شديد مواثيق الإسلام التي نظمت حياة الإنسان، وأوضحت لكل فرد ما له من حقوق وما عليه من واجبات.. ونحن هنا لا نقارن بين المواثيق الإسلامية ووثيقة الأمم المتحدة.. لأنه لا مجال لمقارنة بين تشريع الخالق واجتهاد المخلوق.

المصادر

١ - القرآن الكريم.

٢ - جامع أحكام القرآن: القرطبي (دار الكتب المصرية ١٣٥٤هـ)

٣ - صحيح البخاري بشرح ابن حجر (المطبعة المصرية القاهرة ١٣٤٨هـ)

٤ - صحيح مسلم بشرح النووي (المطبعة المصرية - الأزهر ١٣٤٧هـ)

٥ - صحيح الترمذي (مطبعة الصاوي - القاهرة ١٣٥٢هـ)

٦ - اشتراكية الإسلام: د. مصطفى السباعي (الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٣٨٠هـ)

٧ - الأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية: د. محمد السعيد الدقاق (منشأة المعارف - الإسكندرية ١٩٧٧م)

٨ - القانون الدولي والعام وقت السلم: د. حامد سلطان ط ٤ (دار النهضة العربية - الإسكندرية ١٩٦٩م)

٩ - الغنيمي الوجيز في قانون السلام: د. محمد طلعت الغنيمي (منشأة المعارف - الإسكندرية ١٩٧٥م)

١٠ - مبادئ الأمم المتحدة: د. حسن الجبلي (معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة ١٩٧٠م)

١١ - المنظمات الدولية ط ٣: د. محمد حافظ غانم (مكتبة النهضة الجديدة - القاهرة ١٩٦٧م)

١٢ - المنظمات الدولية: د. محمد سامي عبد الحميد (مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية ١٩٧٢م)

خوارزم

الحضارة المنسية لمنطقة

ما بين بحري فزوين وأرال

بقلم الأستاذ : خالد عذب

تفتقر المكتبة الإسلامية لدراسات عن منطقة بلاد
التركستان والقوقاز، سواء في التاريخ أو الحضارة
الإسلامية، وقد لمست منظمة العواصم والمدن
الإسلامية هذا النقص فقدمت للقراء المسلمين هذا
العام باكورة دراستها عن هذه المنطقة وهو كتاب عن
العمارة الإسلامية في خوارزم سيلييه كتاب آخر عن
بخاري.

إنني لا اعتقد بوجود أي مكان آخر في
العالم بأسره يمكن أن يكون يمثل هذه
الكثافة السكانية العالية علاوة على غناها
ووفرة ماتحتويه»

تقدم لنا خوارزم مثلاً عظيماً لوظيفة
الإسلام البارزة كأداة للوحدة السياسية
الحضارية والروحية والتي عملت أيضاً
على ازدهار الإنتاج والتكنولوجيا
والتجارة. فالتأثير الروحي والفني للديانة
الإسلامية يظهر بوضوح وبطريقة موثقة
في الشواهد الأثرية المعمارية القيمة التي
سوف نعرضها من خلال هذا الكتاب.

ونوضح بادية ذي بدء أن العمارة
القديمة في خوارزم تعتبر من الأعمال

والكتاب من تأليف المهندس
المعماري القدير أمجد بوهميل بورخازكا
الذي قدم لنا دراسات متميزة في العمارة
الإسلامية منها «المدخل إلى العمارة
الإسلامية» «المساجد»، «الأسس المحددة
للعمارة الإسلامية»، وقد بدأ المؤلف كتابه
بمقدمة شيقة ذكر فيها أقوال الرحالة
والمؤرخين عن خوارزم فقد بهر بها
ياقوت الحموي حتى قال عنها «لم أرفى
حياتي أبداً بلدة تزدهم بالسكان مثلما في
خوارزم. فهي عبارة عن صفوف متراسة
من القرى ترتبط كل منها بالأخرى وفيها
كثير من محال الإقامة والقصور والتي
يصعب أن تجد فيها مكاناً غير مزروع.

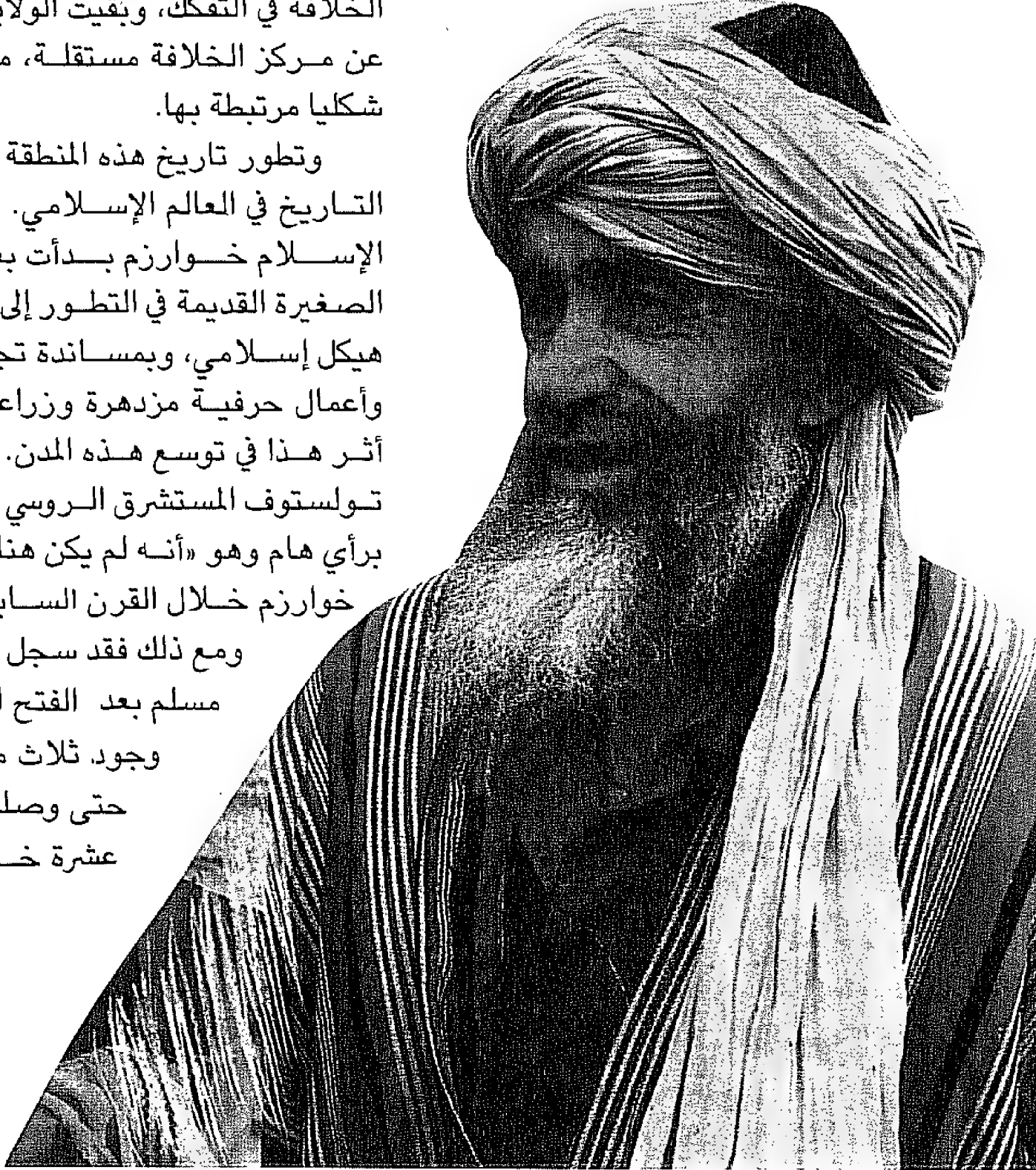
التأثير الروحي والفني للديانة الإسلامية يظهر بوضوح في الشواهد الأثرية المعمارية

المختلفة، فإن الحضارة على امتداد هذا النهر كانت أبطأ في تطورها ونموها. لقد دخل الإسلام خوارزم وعمها في القرن ٧م، ١هـ حيث كانت خوارزم في هذا الوقت غير ذي شأن مثل بعض المناطق المرتفعة الكثافة مثل سوريا، ومصر وإيران والمزدهرة بتراثهم النابع من تاريخهم الحضاري ومع الوقت بدأت الخلافة في التفكك، وبقيت الولايات الأبعد عن مركز الخلافة مستقلة، مع بقائها شكليا مرتبطة بها.

وتطور تاريخ هذه المنطقة مع حركة التاريخ في العالم الإسلامي. وبدخول الإسلام خوارزم بدأت بعض المدن الصغيرة القديمة في التطور إلى مدن ذات هيكل إسلامي، وبمساندة تجارة آمنة وأعمال حرفية مزدهرة وزراعة منتجة أثر هذا في توسع هذه المدن. وقد أدلى تولستوف المستشرق الروسي المعروف برأي هام وهو «أنه لم يكن هناك مدن في خوارزم خلال القرن السابع الميلادي ومع ذلك فقد سجل أول رحالة مسلم بعد الفتح الإسلامي وجود ثلاث مدن نمت حتى وصلت إلى ست عشرة خلال قرن

الهامة أخذًا في الاعتبار نوعية البناء والتي تم تحسينها عبر الأجيال واختيارها عبر العصور.

يرجع تاريخ إقليم خوارزم إلى تاريخ أودية النيل والفرات. ومع هذا وبسبب الظروف المناخية القاسية، ولصعوبة التحكم في مجرى نهر جيحون وتغيره المستمر خلال الحقب التاريخية



حضارة

واحد، وتضاعفت مرة أخرى في فترة زمنية مماثلة.

من الممكن تتبع تاريخ خوارزم بمتابعة الكثافة السكانية لعواصمها الثلاث: كاث (فيل) عاصمتها في العهود القديمة، جوجنج (والآن كونيا اورجنتش) في العصور الوسطى وخيو في الزمن الحديث. (أما كاث فيل فقد اختفت جزئياً بسبب نهر جيحون وفيضاناته وتغير مجراه. وقد ركز المؤلف في هذا الكتاب على كل من جوجنج وخيو).

آثار جوجنج

لقد تبقي في جوجنج ستة مبان أثرية. هذه المباني لاتزال محتفظة بحالة جيدة جدا تدعو للأندهاش خصوصا إذا ما أجرينا مقارنة بينها وبين البيئة

الخالية المحيطة بها حيث لم يمكن العثور على أي بقايا أثرية لأي مبان فيها. وقد لوحظ التباين في أشكالها والتأكد من كونها أصلية حيث لا يوجد لها أي مثال سواء في منطقة تركستان أو في العام الإسلامي بأسره.

مئذنة كوتلغ تيمور:

حكم كوتلغ تيمور خوارزم من قبل السلطان المغولي «أوزبك خان» ومئذنة كوتلغ تيمور هي أعلي مئذنه في منطقة وسط آسيا وتمثل أقدم الآثار التي تعود إلي أيام المغول، وهي تقع في وسط المدينة قائمة دون مسجدتها الذي اختفى تماما، وعلى هذا العمل الفني والهندسي الرائع يوجد تاريخ إنشاء المئذنة المحدد ما بين عام ١٣٢٠ و ١٣٣٥ م.

ويقع مدخل المئذنة على بعد سبعة أمتار من الأرض مما يفهم منه أنه كان يتم الدخول إليها من سطح المسجد والمئذنة قطرها أحد عشر مترا عند مستوى الأرض بينما قطرها في القمة حوالي ٣,٦ متر ويوجد جزء ناقص منها يقدر بطول يتراوح بين ستة وعشرة أمتار مثلها لذلك فإن شكل طرف المئذنة العلوي غير معروف.

والإنشاء مبني بالكامل من الطوب المدعوم بحجم ٣٠×٣٠×٥ سم والمئذنة مزينة بنفس المادة ولكن بشكل مختلف من قوالب الطوب أو بقوالب طوب مع قطع تبديل صغيرة من الطوب أيضا خصوصا عند كتابة آيات بالخط الكوفي.

آثار خيو

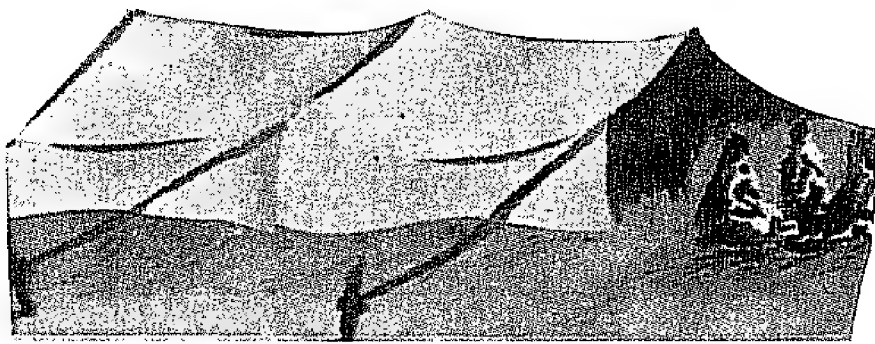
يبرز المؤلف عند حديثه عن آثار «خيو» خصائص العمارة الإسلامية في وسط آسيا، وأبرز ملامحها، وخاصة أن البنائين الخوارزميين طوروا طريقة البناء بحيث جعلوا نقاط التقاء الأعمدة مستديرة بدلا من كونها مستقيمة وذلك حتى تقاوم الزلازل، أي حتى لا تنزلق القطع عن بعضها. وقد كان للطقس تأثير على العمارة فعدم وجود صحن مكشوف في المسجد الجامع «بخيو» كان بسبب طبيعة الطقس هناك فالطقس المعروف عنه بالتقلبات الحادة كالطقس القاري في آسيا الوسطى من أمطار وبرد خاصة في خيو لا يسمح بوجود أجزاء مكشوفة من المسجد مثلما هو منفذ في معظم البلدان الإسلامية منها على وجه الخصوص. فالتعرض للصقيع والجليد والأمطار كان يتطلب ضرورة عمل عازل يحمي من هذه

حضارة

القصر القديم ولا زالت بحالة جيدة جدا وبعض الأجزاء الأخرى موجودة فقط في السجلات والتوصيفات.

وأكثر الأشياء بروزا حاليا في خيوة هي مئذنة مدرسة «إسلام خوجة» معلم الإسلام، التي يعود تاريخها إلى ما بين عام ١٩٠٨ و ١٩١٠م وهو نفس تاريخ أحدث آثار المدينة، على أن المدرسة المجاورة تعتبر صغيرة من ناحية الحجم ومع ذلك فهي تحتوي على «٤٢» خلوة في طابقها الأرضي، وهذه المدرسة مثل جيد لتحويل العمارة من عمارة العصور الإسلامية إلى العمارة الحديثة، ومئذنه «إسلام خوجة» العالية ذات الزخرفة الدقيقة تحدد بدهاء مدي الخداع الناتج عن تحويل المفاهيم الخاصة برسم

المناظر التي تبين القطر التحويلي للمئذنة ليعطي انطبعا بارتفاع غير حقيقي. تلك كانت جولة داخل كتاب شيق يعرفنا ببقايا التراث المعماري الإسلامي بخوارزم، نتمنى أن تستمر منظمة العواصم والمدن الإسلامية في بذل جهود جديدة لتعريفنا بالتراث الحضاري في باقي مدن بلاد التركستان والقوقاز «كسمرقند» و«عشق آباد» وأما آتا» وغيرها من مظاهر حضارتنا المنسية بين بحري قزوين وآرال.



التقلبات الجوية. ويوجد عدد من المساجد في آسيا الوسطى ينقسم إلى قسمين كبيرين منها قسم للصيف والآخر للشتاء أمدوه بإمكانات خاصة للتدفئة.

جامع خيوة الرئيسي

يرجع تاريخ تأسيس جامع «خيوة» إلى آخر القرن الثامن عشر، كما أن النقش الموجود على بابه يدل على أنه أنشئ عام ١٧٨٩، وقد تم تنفيذه على مراحل، ومثلما نجد في المساجد الأولى في المنطقة العربية، فإن محيط هذا الجامع غير منتظم إلى حد ما ولكن شبكة الأعمدة والإيوانات نجدها منتظمة ومتجهة نحو القبلة، وجدران المسجد بدون نقوش ومبنية من الطوب المحروق والجدار الخارجي للمسجد أبعاده ٥٥x٤٥م، وبداخل المسجد يوجد ٢١٢ عمودا لرفع السقف، وقد استبدلت كثير من الأعمدة في الأيام الأخيرة بأعمدة أخرى مقلدة بطريقة مبسطة وتم نقل الأعمدة الأصلية إلى عدة متاحف وظلت المساجد مغلقة لفترة طويلة بسبب موقف الاتحاد السوفيتي آنذاك المناهض للدين، ويوجد أمام المسجد الجامع قصرين لازالا موجودين حتى الآن، والقصر القديم منهما يعرف «بكونيا أرك» أي «القلعة القديمة»، أما القصر الجديد المعروف باسم «تاش خاولي» أي (الفناء الحجري) ويعتبر القصر القديم قلعة حصينة في خوارزم وداخل هذا القصر أو القلعة يوجد سكن الخان والأرشف، والمحكمة ودارسك العملة والسجن والمسجد الصيفي والشتوي وسكن الحراس. وقد أمكن الحفاظ على جزء من إنشاءات



استشهد المجاهد كليب المطيري

استشهد يوم ٩٣/٩/٥ الداعية المجاهد كليب المطيري وذلك اثر إصابته بلغم زرعت القوات الكرواتية الغادرة أثناء انطلاقه مع مجموعة من إخوته لأداء مهمتهم الإنسانية في الطريق بين قرية جيتش ومنطقة كوتشاجورا هذا وقد تم دفنه برحمة الله يوم الاثنين الموافق ٩٣/٩/٦ والوعي الإسلامي التي ألها النبأ تضرع إلى الله عز وجل ان يتغمد الفقيد بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جناته وأن يعوض الكويت عنه كل خير.

الأيدز يشكل عبئاً على اقتصاديات آسيا

العاصمة الفلبينية مانيلا لبحث تأثير الأيدز الاقتصادي على آسيا «بحلول عام ٢٠٠٠ نتوقع أن تنفرد آسيا بنصف حالات العدوى الجديدة لفيروس إيتش. اي . في المسبب للمرض».

وشرح جون دواير عميد كلية الطب بجامعة ساوث ويلز بأن عدد حاملي الفيروس المسبب لمرض الأيدز في آسيا سيفوق عدد ضحايا المرض القاتل في أفريقيا.

وكان عدد حاملي الفيروس في آسيا قد اقترب عام ١٩٩٢ من مليوني شخص بينما بلغ في أفريقيا سبعة ملايين شخص.

وقال بلوم إن الهند وتايلاند تصدرتا قائمة الدول الآسيوية التي يوجد بها أكبر عدد من مرضي الأيدز.

وأظهرت إحصائيات برنامج التنمية التابع للأمم المتحدة أن عدد حاملي الفيروس في تايلاند سيرتفع عام ٢٠٠٠ إلى مايتراوح بين ٣,٤ مليون و٤,٣ مليون شخص مقارنة بـ ١٦٠,٠٠٠ شخص عام ١٩٩٠.

ذكر خبراء أن عدد المصابين بمرض الأيدز القاتل في القارة الآسيوية قد يزيد على عدد ضحايا المرض في القارة الأفريقية بحلول عام ٢٠٠٠ وأن هذا سيشكل عبئاً على القارة من الناحية الاقتصادية والصحية على السواء. وقال ديفيد بلوم وهو أستاذ في جامعة كولومبيا في افتتاح ندوة دراسية في

٥٧٠٠ دولار متوسط دخل الفرد في الخليج

استناداً إلى دراسة أعدتها غرفة تجارة وصناعة قطر، فإن متوسط دخل الفرد في دول الخليج العربي يصل إلى ٥٧٠٠ دولاراً سنوياً.

إلا أن الدراسة لاحظت أن بإمكان هذا المتوسط أن يتابع ارتفاعه إلى مستوى أعلى إذا ماتوافرت فرص إضافية لزيادة الدخل القومي عن طريق تنمية القطاع الصناعي وإفساح المجال أمام الاستثمارات الأجنبية.

السعودية : نظام جديد للمناطق

أصدر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز يوم ١٧/٩/٩٣ مراسيم ملكية ببدء العمل بنظام المناطق الجديد الذي تقسم فيه المملكة إلى ١٣ منطقة لكل منها مجلس معين.

وسيكون لكل منطقة أمير يعينه الملك كما هو الحال الآن. ولكن حسب النظام الجديد سيصبح لكل منطقة مجلس يضم الأمير ونائبه ووكيل الامارة ورؤساء الأجهزة الحكومية بالمنطقة وعدد من الأهالي «من أهل العلم والخبرة والاختصاص» يرشحهم الأمير ويعينون بقرار من رئيس الوزراء بعد موافقة وزير الداخلية.

وجاء في المراسيم الملكية أن مجالس المناطق ستجتمع مرة كل ثلاثة أشهر على الأقل.

وستكون مدة المجلس أربع سنوات قابلة للتجديد ومهمته «دراسة كل ما من شأنه رفع مستوى الخدمات في المنطقة» ومن ذلك تحديد احتياجات المنطقة واقتراح ادراجها في خطة التنمية للدولة وتحديد المشاريع النافعة حسب أولوياتها واقتراح اعتمادها في ميزانية الدولة السنوية ومتابعة تنفيذ ما يخص المنطقة من خطة التنمية والموازنة.

ويرفع مجلس المنطقة اقتراحاته بشأن أي عمل من أعمال النفع العام إلى وزير الداخلية.

وقالت المراسيم ان هذا النظام يهدف إلى «رفع مستوى العمل الإداري والتنمية في مناطق المملكة كما يهدف إلى المحافظة على الأمن والنظام وكفالة حقوق المواطنين وحرياتهم في إطار الشريعة الإسلامية».

وقد وزعت المناطق الـ ١٣ على الشكل التالي: الرياض ومكة والمدينة والقصيم والمنطقة الشرقية وتبوك وحائل والمنطقة الشمالية والجوف والباحة وعسير ونجران وجيزان.

جمعية إحياء التراث تنفذ خمسة مشاريع خيرية في مصر

وأضاف ان الجمعية انتهت مؤخراً من تنفيذ ثلاثة مشروعات بشكل نهائي ومازال جاري تنفيذ ثلاثة مشروعات في مراحلها النهائية حالياً وقد تجاوزت قيمة المشروعات التي تنفذها الجمعية خلال الأشهر الستة الأخيرة في مصر مليون جنيه مصري تمثل نشاط لجنة العالم العربي المنبثقة عن جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويتية.

بدأت جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويتي نهاية شهر سبتمبر الماضي تنفيذ خمسة مشروعات خيرية في مصر بتكلفة ٦٠٠ مليون جنيه. صرح بذلك عبدالرحمن المجيبيل عضو لجنة العالم العربي والمسؤول عن المشروعات الخيرية. وقال إن تلك المشروعات عبارة عن مساجد في مدن الاسماعيلية وقاقوس وأسوان والمنوفية وقلبشوة بالدقهلية.



٣٠ ألف دولار مساعدة من مؤسسة البترول للجنة العالم الإسلامي

قدم وزير النفط ورئيس مجلس مؤسسة البترول الوطنية على أحمد البغلي تبرعا لدعم مشاريع لجنة العالم الإسلامي بمبلغ ٣٠ ألف دولار صرح بهذا رئيس لجنة العالم الإسلامي المهندس عبدالرحمن العجمي وأضاف أن وزير النفط أعرب بعد اطلاعه على مشاريع اللجنة وإنجازاتها عن اعتزازه بمسيرة العمل الخيري وماتقدمه لجنة العالم الإسلامي من خدمات إنسانية في مختلف مناطق عملها حول العالم. وأضاف العجمي أن الوزير أبدى سعادته لمستوى الإنجاز والأعمال الخيرة التي تقوم بها اللجنة، بالإضافة إلى تنوع مشاريعها وتنوع مناطق العمل التي تقوم فيها هذه المشاريع، والتي تعكس اهتماما رسميا وشعبيا بالعمل الخيري الذي أصبحت الكويت من الدول المميّزة فيه مما ينعكس إيجابيا على سمعة الكويت على المستوى الدولي كدولة تشارك المجتمع الدولي مسؤولياته وخصوصا فيما يتعلق بالتنمية والمساعدات الإنسانية والخيرية.

خلل في النمو السكاني والإنتاج الغذائي في العالم العربي

ويتوقع أن يصل عدد السكان في الوطن العربي إلى ٢٩٠ مليوناً في العام ألفين.

ولم يقدم التقرير أرقاماً حول زيادة ولم يقدم التقرير أرقاماً حول زيادة النمو في القطاع الزراعي ولكن تقارير غير رسمية قدرت معدل النمو في هذا القطاع بأقل من ٢٪ خلال السنوات العشر

وقال التقرير إن متوسط حصة الفرد من الأراضي المزروعة في الدول العربية تقل عن ربع هكتار، أي أقل بأربع مرات من الأراضي التي يمكن استغلالها.

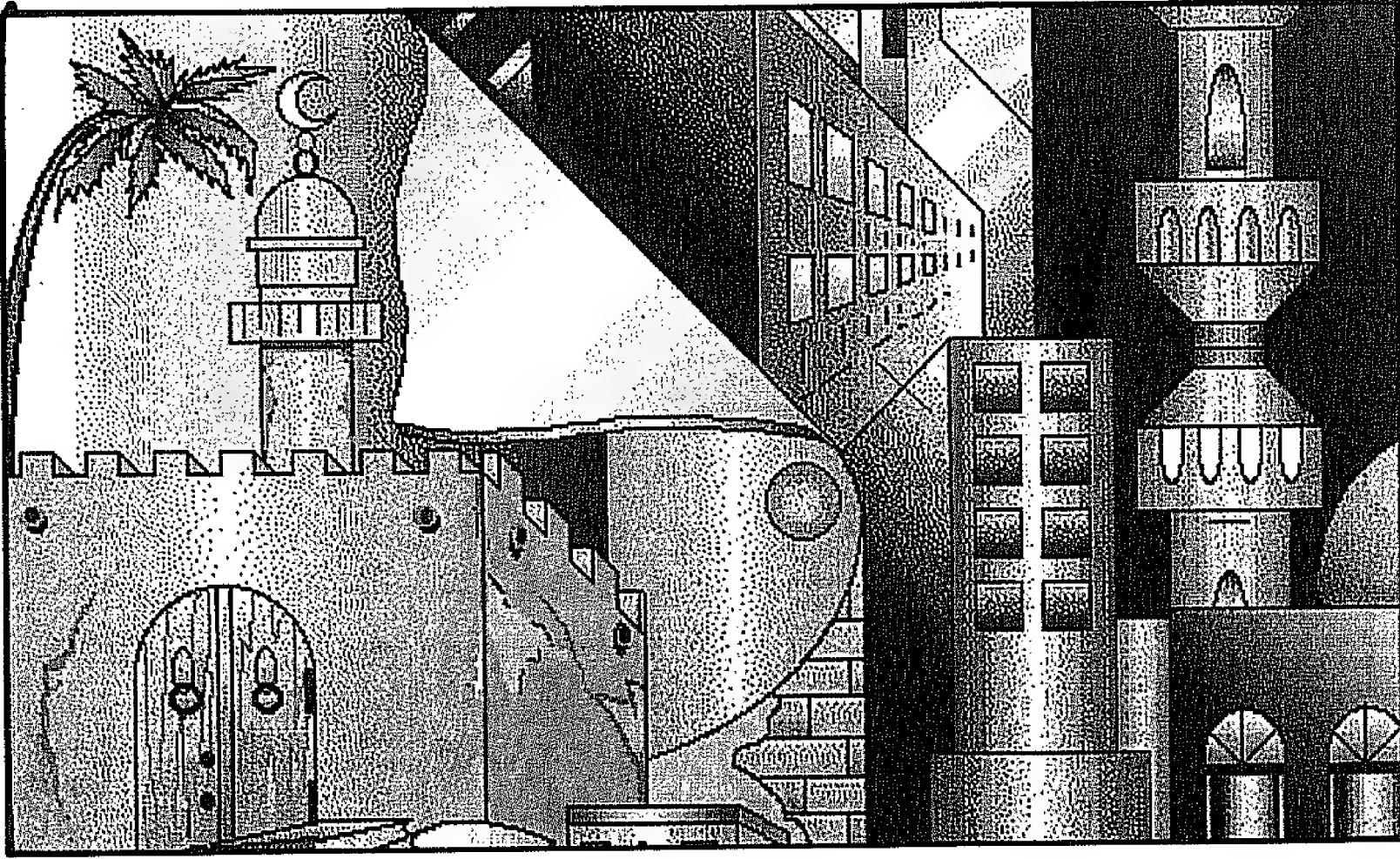
وإضافة إلى السياسات الزراعية غير المناسبة يرجع الخبراء انخفاض الإنتاج الزراعي إلى غياب الحوافز والاستثمارات الكافية في هذا القطاع

أفاد صندوق النقد العربي في تقرير صادر في أبوظبي أن معدل النمو السكاني في العالم العربي يفوق بكثير معدل الإنتاج الغذائي وذلك عائد بشكل خاص إلى السياسات الزراعية غير الملائمة في البلدان العربية.

وقال التقرير إن الفجوة لا تزال كبيرة بين النمو السكاني والإنتاج الزراعي على الرغم من تباطؤ النمو السكاني منذ السبعينيات والذي كان يقدر حينها بـ ٤٪.

وقال التقرير إن عدد سكان الدول العربية زاد من حوالي ١٤٠ مليون نسمة في العام ١٩٧٥ إلى ١٨٥ مليون نسمة في العام ١٩٨٥ وإلى ٢٤٠ مليون نسمة في العام ١٩٩٢.

بحث التعاون الوقفي بين بيت التمويل ووزارة الأوقاف

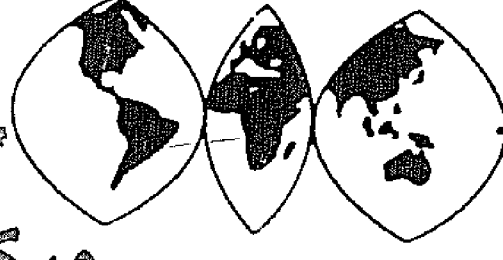


الفرص الاستثمارية والتجارية وتوفير النظام المصرفي بما يتوافق مع أسس المعاملات المالية الإسلامية.. وقد أثمرت هذه الجهود ولله الحمد بعد مسيرة قاربت على ١٥ سنة في ايجاد مؤسسة مالية متينة استطاعت تأكيد مكانتها على المستوى المحلي والدولي وساهمت في دعم عجلة الاقتصاد الوطني وايجاد وسائل تمويلية للتاجر والمستهلك.. ولم يكن ذلك لولا دعم المؤسسين في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والهيئة العامة لشؤون القصر ووزارة المالية.

وأكد ان تم خلال الاجتماع التشاور حول المشاريع التي يزعم مكتب تنمية واستثمار الموارد الوقفية الدخول فيها والأفكار الخاصة باستثمار أموال الوقف.

اجتمع مؤخرا نائب المدير العام في بيت التمويل الكويتي السيد وليد الرويح مع المدير التنفيذي لمكتب تنمية الموارد الوقفية التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور خالد راشد الهاجري. وصرح السيد الرويح أثر الاجتماع أنه بحث مع الدكتور الهاجري أفاق التعاون بين القطاع الوقفي بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وبيت التمويل الكويتي، باعتبارهما مؤسستين تهدفان إلى إقامة مشاريع تنموية وفق قواعد الشريعة الإسلامية الغراء والاستفادة من خبرات الجانبين في مجال الاقتصاد.

وأشار السيد الرويح أن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية هي من الجهات المؤسسة لبيت التمويل الكويتي في عام ١٩٧٨ حين بدأت مسيرة البيت في توفير



مركز اسلامي في ألبانيا

قال المدير الاقليمي لمكتب ألبانيا بلجنة العالم الاسلامي هشام المولي ان اللجنة بدأت ببناء المركز الاسلامي في جمهورية البانيا ويشمل المركز عددا من الفصول الدراسية للعلوم الاسلامية وصالة متعددة الاغراض ومكتبة ومسجدا يتسع لحوالي ٣٠٠ مصل هذا بالاضافة الى دور ضيافة للدعاة والضيوف وسنحاول ان يشمل البناء على ملاعب رياضية.

واشار الى انه سيتم الانتهاء من بناء المركز الاسلامي ليكون جاهزا للعمل قبل شهر رمضان القادم، و اضاف ان تكلفة انشاء هذا المركز تصل ما بين ٣٠ الى ٥٠ الف دينار كويتي.

واوضح المولي انه بالنسبة لبناء المستشفى التخصصي فإن لجنة العالم الاسلامي تنتظر الان الاتفاق مع وزارة الصحة الالبانية ودراسة الجدوى والاحتياجات، وبين ان اللجنة رصدت للمشروع مليون دولار امريكي.

ويذكر ان اللجنة حاليا بصدد تسوير المساحة، و اشار الى انه بعد المناقشة مع وزارة الصحة الالبانية سيتم البدء في اختيار تصميم مناسب.

وذكر المولي ان لجنة العالم الاسلامي ستقوم خلال عيد الاضحى المبارك بتوزيع الاضاحي على المسلمين في البانيا.

وحول مشاريع لجنة العالم الاسلامي المستقبلية في جمهورية البانيا قال المولي ان اللجنة تنوي البدء بتنفيذ مشروع الألف مسجد في جميع انحاء البانيا، حيث ان هذه المساجد صغيرة وموزعة في مناطق المساجد التي هدمت من قبل الحكم الشيوعي السابق ويتسع كل منها الى ١٠٠ مصل، هذا بالاضافة الى كفالة عشرة من الدعاة لمتابعة أنشطة الدعوة في الجمهورية الالبانية.

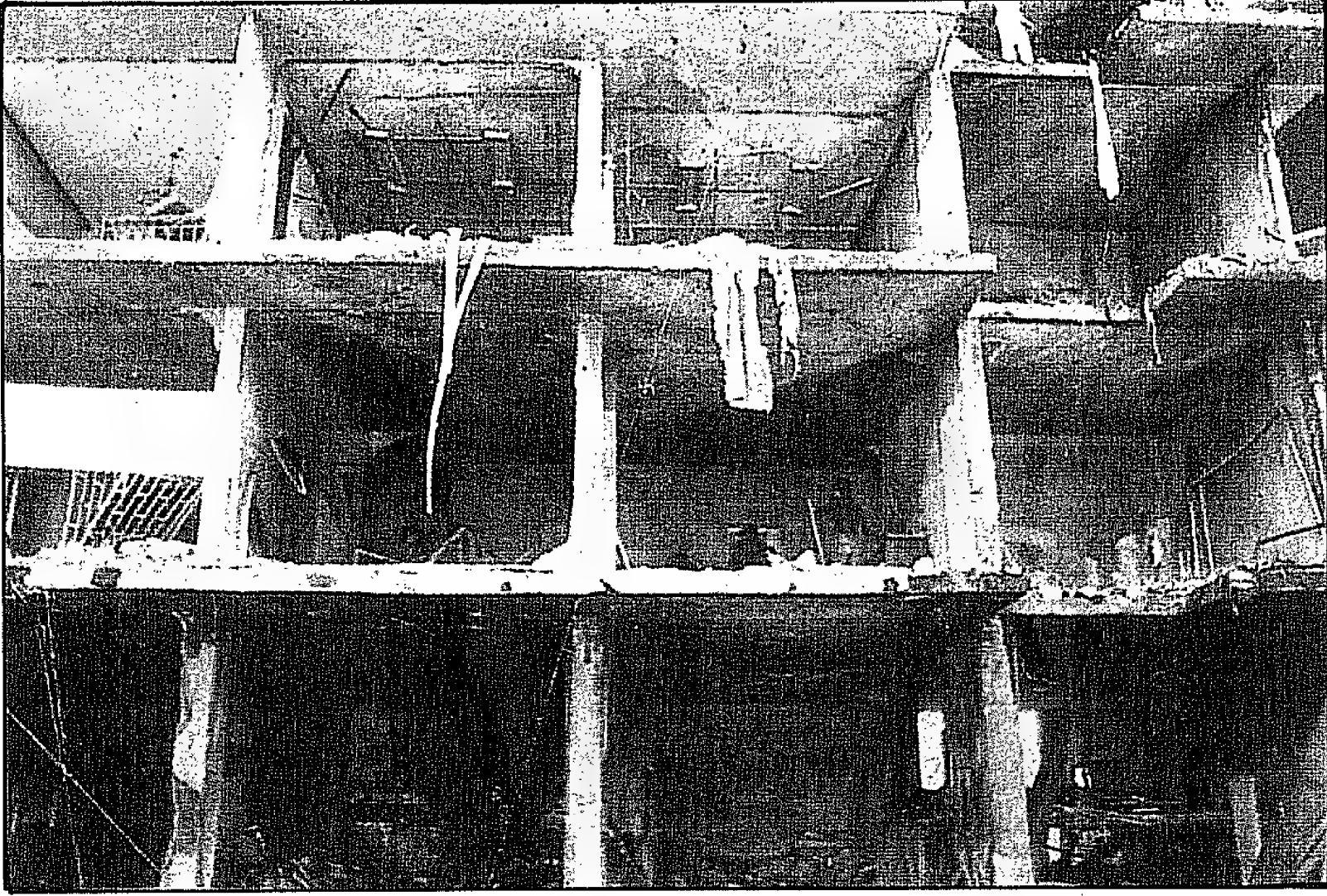
واضاف ان لجنة العالم الاسلامي تنوي كذلك طباعة ١٠٠ الف نسخة لتعليم احرف الهجاء العربية والقرآن الكريم اضافة الى طباعة ٤٠ ألف نسخة من الكتب الاسلامية.

الهند وسياسة التصفية!

الشهرين الماضيين ما يزيد على خمسة من كبار القيادات الكشميرية كان آخرهم الطبيب الجراح عبد الاحد غورو احد قياديي جبهة تحرير جامو وكشمير والقائد محمد مقبول احد المؤسسين البارزين لحزب المجاهدين.

تصاعدت حدة التوتر في كشمير المحتلة في اعقاب مقتل القائد محمد مقبول علاني على يد قوات الاحتلال الهندوسية، ويأتي مقتل علاني ضمن مخطط اجرامي كبير يقوده حاكم كشمير الجديد كريشنا راو يهدف الى تصفية القيادات الجهادية، حيث قتل خلال

نافذة على العالم



لبنان : ٧٠ مليون دولار و ٨٠٠ ألف مهاجر!

مليون دولار) لتمويل عمليات الإخلاء والترحيل على أن تكون الوزارة قادرة على مضاعفة هذا المبلغ العام المقبل.

وتمنح الوزارة مبالغ متفاوتة للمهاجرين (٣ و ٥ آلاف دولار أميركي) في مقابل التزام المهاجر بإخلاء المسكن الذي يشغله في خلال شهرين على الأكثر. إلا أن المشكلة هي في محدودية المبلغ الذي يتقاضاه المهاجر لإعادة بناء منزله المهدم بفعل الحرب، إضافة إلى عدم توافر الثقة الكافية بالوضع العام، وهو الأمر الذي تحتاجه عودة المهاجرين لتشجيعهم على إعادة بناء منازلهم الأساسية.

ومن المتوقع أن تحصل الوزارة على مساعدات وهبات من مصادر مختلفة، إلى جانب الموازنة التي تحصل عليها من الحكومة.

حصلت وزارة المهاجرين في لبنان المعنية بإعادة حوالي ٨٠٠ ألف شخص إلى منازلهم التي اضطروا لمغادرتها خلال ١٨ سنة، على ١٢٠ مليار ليرة (٧٠

٩٠ مليون دولار لمشروع لحوم الاضاحي

اعتمد البنك الاسلامي للتنمية مبلغ تسعين مليون دولار لمشروع لحوم الاضاحي خلال حج هذا العام وقال رئيس البنك احمد محمد ان المصرف يعتزم الافادة من خمسمائة الف رأس من الغنم التي يذبحها الحجاج وقد ابرم المصرف عقدا مع الشركة السعودية لنقل وتجارة المواشي لاستيراد خمسمائة الف رأس من المواشي.

مع الصحافة

إعداد : تمام أحمد



وحدة المسلمين في الهند مطلب ضروري

التي نزلت بهم ولاشتداد البلاء الذي دهمهم. إن التأهب والاستعداد لمواجهة البلاء قبل نزوله من دأب الأمم الحية، وليت المسلمين كانوا على هذه الصفة! ولكن نحمد الله تعالى على أنهم لم يفقدوا الشعور بالخسران قبل فوات الأوان.

وفي سبيل البحث عن الحلول اتفق المسلمون، صغيرهم وكبيرهم، عالمهم وجاهلهم على توحيد صفوفهم في مواجهة التحديات والتهديدات المعاصرة، وأصر الجميع على نبذ الخلافات وفض المنازعات القائمة بين المسلمين، وردد كل منهم أن حالة التشقت والافتراق التي يعيشها المسلمون في الهند هي التي جرأت أعداءهم عليهم، وسولت لهم الاعتداء على مساجدهم، وغررتهم بالطعن في شريعة الإسلام وبتشويه ملامحها، حتى جاهروا بالعداء للمسلمين، وطالبوهم بالتخلي عن جميع ما يميزهم عن غيرهم من سكان الهند من شعائر الإسلام والحضارة والثقافة الإسلامية واللغة العربية كلغة الدين والقرآن.

المسلمون في الهند يتعرضون بين الحين والآخر لمجزرة أو اعتداء من قبل الأكثرية الهندوسية الحاقدة مستغلة تفرق المسلمين وتشتتهم مما يستدعي من المسلمين أن يوحدوا صفوفهم وينبذوا خلافاتهم حتى يسهل التخطيط لمواجهة الظروف والتحديات. حول هذا الموضوع كتبت مجلة (صوت الأمة) الهندية في عددها التاسع / سبتمبر ١٩٩٣م تقول:

منذ أن هدم المتطرفون من الهنادك المسجد البابري في مدينة أيودها بالهند، كثر تفكير المسلمين في البحث عن الحلول التي تضمن لهم حياة الأمن والكرامة في هذه البلاد مع المحافظة على كياناتهم الديني وحضارتهم وثقافتهم. وقضية البحث عن الحلول ليست جديدة نجمت اليوم، بل يسلك المسلمون - شأن غيرهم من الأمم - هذا الطريق كلما تعرضوا للمحن، ووقعوا في المآزق، نعم اشتدت رغبتهم في الظفر بالحلول هذه المرة أكثر من المرات السابقة، وذلك لعظم المصيبة

أما مجلة التضامن الإسلامي فقد كتبت مقالا افتتاحيا في عددها رقم ٩ ربيع الأول سنة ١٤١٤ هـ عقدت فيه مقارنة بين المسلمين وصليبيي اليوم في المعاملة والتسامح على ضوء ما يواجهه المسلمون في البوسنة والهرسك وفلسطين وكشمير وبورما وغيرها من ظلم وقهر واستبداد وذل فكتبت تقول:

ما أقسى ما يواجه المرء المسلم في عصرنا الحاضر كل يوم من آلام وعيناه تشاهد المناظر المفزعة لجثث الموتى من المسلمين والجرحى من المصابين والتكلى من الأمهات ممن فقدت عائلها أو أحد

أبنائها أو بناتها والأطفال والرضع وقد علا صراخهم من جراح أصاباتهم أو فقد لوالديهم وطوابير المهاجرين من كبار السن والنساء والأطفال يذرعون الأرض حفاة لا يستر أجسادهم سوى ملابس

رثة لا تقيهم شر البرد القارص وأعداد وفيرة من الأطفال اليتامى يتسابق الرهبان والكنائس لاحتوائهم باسم الإنسانية لتحويلهم إلى قساوسة ورهبان يدينون بغير دين الإسلام.. واحسرتاه لما يواجهه المسلمون في بلاد البوسنة والهرسك وفلسطين والهند وكشمير وبورما وغيرها من ظلم وقهر واستبداد وذل. الهدف منه النيل من الإسلام ورسالته العظيمة التي غزت الشرق والغرب بمبادئها الإنسانية السامية وخصائص الإسلام العظيم التي رسمها دستورنا القويم القرآن الكريم وسنة رسولنا الكريم محمد بن عبدالله صلي الله عليه وسلم مما جعل غير المسلمين من الديانات الأخرى يدينون بالإسلام عن رغبة جامحة حين أدركوا ما في هذا الدين من عدل وسماحة وخير للبشرية جمعاء.



أي اتفاق لن يوقف نهر الدم في البوسنة؟

هذه الجماعات هي القوات الإسلامية المعروفة باسم «كرايشنك» وهي تضم حوالي عشرة آلاف من أكثر المقاتلين صلابة وجراً، وهؤلاء هم أبناء المناطق التي جرى فيها التطهير العرقي، في الشمال الغربي، فهدمت بيوتهم واغتصبت أرضهم، ناهيك عما أصاب أهليهم من كوارث .. هؤلاء الضحايا المباشرون، الذي فقد بعضهم كل شيء، ليسوا على استعداد للقبول بما يفرضه الصرب، فضلاً عن أن لديهم حساباً يريدون تصفيته وثأراً يحرك رغبة عارمة لديهم في الانتقام.

هم لا يحاربون فقط دفاعاً عن كرامتهم التي أهدرت وأعراضهم التي انتهكت، ولكنهم يدافعون أيضاً عن هويتهم الإسلامية، بعدما ادركوا - في ضوء ما عايشوه - أن الصرب دأبوا على استئصالهم بلا رحمة، لا شيء إلا لكونهم مسلمين. فاستفزعهم ذلك للدفاع عن جذورهم وهويتهم المهددة بالإفناء.

لأجل ذلك فإن أي اتفاق يوقعه الرئيس علي عزت في جنيف - في ظل الضغوط والحسابات الراهنة - سيكون بداية لسلسلة آخر من المتاعب له ولحكومته، سيكون مصدرها هذه المرة هو الصف الإسلامي ذاته . وهي متاعب تنتظره على الصعيدين السياسي، حيث يهدد حزبه «العمل الديمقراطي بالانشقاق، والعسكري خصوصاً من جانب قوات «كرايشنك» الإسلامية، ذلك فضلاً عن «حزب العصابات» التي يعد لها البعض لتصفية حسابهم المر مع الصرب.

وحول المفاوضات الجارية لتقسيم البوسنة على أساس عرقي كتبت مجلة (المجلة) في عددها رقم (٧٠٩) ١٢ - ١٨ سبتمبر ١٩٩٣ م مقالا مطولاً للأستاذ فهمي هويدي خلص فيه إلى القول بأن ما يسمى بالتقسيم العرقي سيفتح الباب لإراقة الدماء لمدة عقدين أو ثلاثة حتى يتحقق النقاء العرقي في كل الجمهوريات الثلاث وضرب أمثلة حية على ما أفرزته الحرب من جماعات في الصف المسلم فكتبت تقول:

الكلام الذي يردده المثقفون في مجالسهم، ترجمه بعض الوحدات المقاتلة إلى موقف واضح على ساحة المواجهة، إنه في ظل التمزق الراهن، وبقاء بعض المدن تحت الحصار لأشهر طويلة نسبياً، ظهرت جماعات من المقاتلين المحليين لا سيطرة للحكومة المركزية عليها، والفرقة العاشرة المتمركزة في شمال سراييفو يقودها شاب في الثلاثينات من عمره اسمه «ساتسو» من نماذج هذه الجماعات، التي تتصرف دون التزام بالخط السياسي المعلن، وأحياناً دخلت في مواجهة مع قوات الحكومة من جراء ذلك.

إضافة إلى هؤلاء، فهناك القوات الموجودة في منطقة الوسط، والتي حققت انجازات وانتصارات ملحوظة خلال الأشهر الأخيرة وقد بعث قاداتها إلي الرئيس علي عزت يبدون اعتراضهم على مبدأ التقسيم وعلى الحصة المتواضعة التي خصصت للمسلمين في وثيقة الوسيطين الدوليين أخيراً. غير أن أخطر

التربية كلمة ذات اصطلاح شمولي يشمل قصة الحياة والأحياء لا من حيث طبيعة الوجود فحسب ولكن من جوانب أكثر أهمية هي الوجود فعلا والنمو والارتقاء، لذا فإن كلمة التربية تعد ذات طابع سحري أخذ متى ما تم لها التأمل والبحث والاستقصاء، وإذ سبق لمجلة الوعي الإسلامي تقديم موضوعات تربوية فإن السعي إلى الأفضل يبقى هدفا ثابتا للمجلة حتى تقدم ما هو أحسن نفعا وأكثر وعيا وأقوى عاملا في إدارة مفاهيم الإسلام وقيمه التربوية، وعليه فمن خلال تلك النافذة التربوية نسعى لطرق قضايا وأبحاث في الشأن التربوي بما في ذلك من متابعات وتحقيقات واهتمام بالذات بشئون المجتمع في إطار التربية كما أنه من المفيد طرح المستجدات التربوية في هذا العالم المتسارع، كل ذلك بما يخدم القارئ حرصا على بناء وتماسك المجتمع المسلم.

وفي هذه الحلقة يتابع الاستاذ الدكتور محمد صلاح الدين مجاور طرح خواتمه التربوية معرجا على موضوع هام ألا وهو: إعداد الفرد المسلم تربويا وماهي الأسس التي يجب مراعاتها في عملية البناء التربوي هذه..

قضايا تربوية

د / محمد صلاح الدين علي مجاور

أولا - علاقة التكليف بالبلوغ. وهذه قضية ربما لم تشغل بال كثير من المشتغلين بالفكر الإسلامي ولم تثر اهتمامهم لأنها ليست بذات بال ولا يترتب عليها شيء له خطره من وجهة نظرهم. وقد أثارها أحد الناس يوما في صورة سؤال محدد لماذا ارتبط التكليف بالإيمان وبالعبادات ببلوغ الإنسان ذكرًا كان أم أنثى؟ وبدأ السؤال مهما وبدأ التفكير فيه عملا عقليا ممتعا وإعمال النظر فيه شيئا مهما قد يضع بعض المهام الأساسية من وجهة نظر الإسلام في تربية الإنسان. حقيقة إن القوانين الوضعية في معظم المجتمعات وبخاصة الراقية منها تحدد سنا معينة للإنسان يتحمل عند بدئها المسؤولية الاجتماعية والمسؤولية القانونية والمسؤولية السياسية وغيرها من المسؤوليات ولسنا ندري أي أساس أو قاعدة استندوا إليها في تحديد هذه السن والظاهر أنها حددت هكذا من غير أساس علمي فهو أساس اجتهادي ممن حدودها ولذلك فهي أحيانا الثامنة عشرة وأحيانا الحادية والعشرين وأحيانا يفرقون بين الولد والبنت وأحيانا لا يفرقون. فلماذا جعلت السن أساسا في هذه

نافذة تربوية



القوانين لتحمل المسؤولية ولم يأخذ الإسلام بها وأخذ بمبدأ البلوغ أساساً لبدء مسؤولية الإنسان وإلزامه بالتكاليف الشرعية ومحاسبته على إيمانه أو كفره؟ هذه واحدة وأخرى لماذا اعتمد الإسلام على البلوغ في إلزام المسلم بالتكاليف مع أن علم النفس يرى أن النضج في الإنسان لا يكتمل بالبلوغ وإن كان البلوغ بداية كما يرى أن الذكاء وهو أحد مظاهر النضج العقلي للإنسان لا يكتمل بهذا البلوغ فما الحكمة في أن يأخذ الإسلام البلوغ أساساً يرتكز عليه فيما يكلف الإنسان به؟ وكان الجواب أن هذا السؤال يطرح لأول مرة وهو يبرز قضية لم تشر من قبل وكأن السؤال يرمي إلى اتهام الإسلام بأنه يفرض التكليف من غير تصور لطبيعة المكلفين وأن الأسس العلمية التي يجب أن تراعى عند تكليف المكلف لم تراعى فأى نضج عقلي أو جسمي أو انفعالي يكون عليه البالغ عند بلوغه حتى يكلف بهذه التكاليف، ونحمله مسؤولية ما يعمل قبل أن يستوى منه العود ويشد الظهر؟ والواقع أن الذين يقولون بهذا القول لم يدركوا الغاية التي أرادها الإسلام من وراء ربط التكليف بالبلوغ. وهي غاية ولا شك تربوية نفسية اجتماعية. وكلها تتصل بإعداد الفرد السوي وتكوينه ليكون لبنة صالحة في مجتمعه، وليكون ذلك الإنسان القادر على مواجهة الحياة ومابها من مسؤوليات ومشكلات. إن الحكم على الأمور بظواهرها لا يستقيم والتفكير السليم وبخاصة عندما يكون الحكم على أمور دينية. ويجب أن يكون البحث في مثل هذه الأمور موضوعياً من ناحية ومن ناحية أخرى يجب أن يضع الباحث أمامه أن الأمر أمر دين وليس أمراً يخضع لوجهات النظر فهي أمور آلهية إن لم يكن مثيرها من المؤمنين بها فعليه أن يراعى شعور المؤمنين بها. وإذا كانت قوانين الإنسان فيما يشرع لنفسه هي

نافذة تربوية

الأصوب والأعدل وهي التي تعتمد على العملية والموضوعية، فما بالناس نرى الكثير من الخلط والاضطراب في مسيرة البشر؟ ولماذا نرى الثقوب في القوانين تكاد تمرقها؟ ونرى القوانين في ضبط سلوك الناس يقتلها الفشل الذي تعانيه وعدم الثقة فيها والإيمان بها؟ إن الإسلام حين يشرع تجد في تشريعاته روح من يعرف الداء ويعرف مناسبة الدواء ويدرك فيها أن مشرعها يعرف من يشرع له طبيعة وسلوكا، عاطفة وانفعالا، عقلا وتفكيراً فهو الخالق «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير» البلوغ ليس غاية النضج واستواءه ولكنه بدايته. وهو بداية تهز الإنسان وتنقله من عالم إلى عالم. لم تكن لديه دوافع فصار اليوم ذا دوافع لها قوتها عليه وتأثيرها فيه. ظهرت لديه غدد لم تكن موجوده ولها وظائف لم تكن من قبل ونشأ لديه الميل الجنسي والرغبة في إشباعه. ودوافع الجنس قوية عنيفة قاسية غالبية قاهرة. وكل إنسان مربها ويدرك عنفها ويعرف مالها من سطوة وسيطرة. والقانون الوضعي سيطرة خارجية يمكن الفكك منها متى توافرت فرصة الانفلات. والإسلام يرى السيطرة الداخلية النابعة من الداخل أقوى وأسلم وأكثر عوناً على التنظيم الاجتماعي. ودوافع الجنس في هذه السن المبكرة قد تدفع صاحبها نحو العدوان على القيم والمبادئ والأخلاق. فهي دافع نارى قد ينفجر فيه فيفجر تقاليد ويحرق عادات قد يترتب عليها آثار اجتماعية ضارة ولهذا رأى الإسلام مع أن البلوغ بداية نضج إلا أن مالدى الإنسان من دوافع تحمل على إدخاله في دائرة مايحل ومايحرم ضبطاً لدوافعه وانفعالاته وتنظيماً لعواطفه وسلوكه وتكوين مايسمى «بالضمير الديني» أي الأحساس الذي يوجه سلوكه تلقائياً ومن هنا ندرك أهمية الحلال والحرام التي شرعها الإسلام في عملية التنظيم والضبط الاجتماعي وأهمية أن يكون زمام الإنسان والمتحكم فيه من داخله في ضوء إيمانه بالله يملأ قلبه ويشعره بالمراقبة الدائمة المستمرة. فربط التكليف بالبلوغ، مقصود به ضبط جماح الدوافع الجديدة وليست عملية الكبح هذه منفصلة عن عملية الضبط الاجتماعي كما أنها ليست منفصلة عن القيم الفاضلة والأخلاق المرغوبة من المجتمع. وهذه كلها عمليات تربوية تعمل على أن يكون سلوك المرء على أساس من فضائل الدين وقيمه. وماجاء به الإسلام من تكاليف لا عسر فيها على البالغ أو مشقة فالمعتقد الإيماني سهل التناول يسير القول والاعتقاد والصلاة حركات لا تصعب على البالغ والصيام في طاقة البالغ مادام صحيح البدن سليم الجسم وهكذا بقية التكاليف فالعطاء في الزكاة مادام لدى البالغ ما يدفعه لا مشقة فيه. والحركات التي يمارسها الحاج مما يسهل على البالغ القيام بها فمشقة التكليف لا تأتي من الممارسة ولكن ربما تأتي من الحساب على تركها؟ وهذه قضية أخرى فالإحساس بالثواب عند العمل والعقاب عند الترك أو الإهمال هدف أساسي من أهداف الإسلام في تربية الإنسان. ومادام هناك تكليف فيجب أن تكون مسؤولية يتحملها المكلف ومن الطبيعي أن يتأب أو يعاقب. هذا جانب مهم في ربط التكليف بالبلوغ وعدم ربطه بسن معينة فالسن لا تعني نضجاً وقد يسير الإنسان في الأرض مفسداً ويعيث فساداً فيما بين بلوغه وما يختار من سن للمحاسبة أو التكليف أو تطبيق القوانين. فالنضج ليس معيار التكليف ولكن معياره مالدى الإنسان من دوافع ونوازع تحتاج الى ضبط وسيطرة لا أن تترك لاندفاعاتها التي قد لا يستطيع الإنسان التحكم فيها. والعبادات من بين التكاليف طريق من طرق إعلاء الدوافع فإذا ما ارتبط الإنسان بها إيماناً

نافذة تربوية

منه بأنها حق الله عليه لا جزاء على نعمة ولا اعترافاً بفضل ولكن أولاً وقبل كل شيء لأنه جدير بالعبادة تحقيق بها قسيجدها فيها متعته وراحته النفسية وسيجد فيها الملجأ والملاذ من سيطرة الدوافع وتحكمها فهو كما يجد في الرياضة البدنية فرصة لإعلاء دوافعه سيجد في العبادة من صلاة وصوم وغيرهما فرصة خصبة لأعلاء هذه الدوافع أيضاً. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال لبلال رضى الله عنه «أرحنا بها يا بلال» يعني الصلاة وحين يقول في الزواج «من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» ففي قوله صلى الله عليه وسلم دليل على أهمية العبادة في إعلاء دوافع الإنسان وأنها مشرب أو قناة تنطلق إليها طاقاته فتخف جذتها عنه وتضعف سطوتها عليه فهو بالعبادة مع الله وبين يديه يستشعر معه كل معاني الفضائل والقيم ولا مجال لحديث النفس فيما تثيره الدوافع وتدعوه إليه النوازع من إشباع وارتواء. وفي بدء البلوغ تكون سيطرة الدوافع قوية لما قلنا وأمام عنفها وشدها، قد يستسلم الإنسان لها ومن ثم كان التكليف وتحمل المسؤولية أمام الله والناس أمراً في مصلحة الإنسان نفسه وتربية له على قوة الإرادة والتحكم في دوافعه وعواطفه. وإذا كان علماء النفس يبحثون عن مسالك للشباب تستنفذ طاقاتهم وتعلي دوافعهم فهذا هي ذي العبادات التي شرعها الإسلام. إن طاعة الله وعبادته في مساعدة الفقراء ومعاونة الضعفاء والعطاء للمحتاجين من المجالات التي قد يجد فيها البالغ فرصة لبذل الجهد والعطاء عن طواعية ورغبة مما يجعل فرصة التفكير في إشباع ما يتطلبه الدافع أمراً مستبعداً فعمل الخير كالصلاة والصوم إذا ما استشعر الإنسان أنه لله استطاع بها أنه يعلي الدوافع ويتغلب على النوازع. هذه فيما أفهم من وجهة نظري إحدى غايات الإسلام من التفكير في التكليف وجعل البلوغ زمنه حتى يحقق في الفرد المسلم من البداية ما ينشده فيه من اتزان وتوازن وما يريده له من تكامل في الشخصية وانسجام في السلوك وهكذا يظهر أن الإسلام لم يشرع شيئاً اعتباطاً ولكن تشريعاته دائماً هادفة وغاياته محددة واضحة وهل هناك أكثر وضوحاً من أن الإسلام بهذا التكليف يؤدب المسلم ويربيه على المبادئ والمثل التي تجعله مقبولاً اجتماعياً في الوقت نفسه مقبولاً عند الله. وليس معنى هذا أن الإسلام يريد كبتاً لنوازع الإنسان ودوافعه فهي من عوامل البقاء للحياة وبقاء النوع ولكنه يريد لها تنظيمًا بحيث يكون في الفرد نفسه توازناً واثراً وفي المجتمع نفسه توازناً ومثلاً وفضائل واثراً كذلك وروح احترام ومودة وأمر آخر له أهميته في ربط التكليف بالبلوغ وهو أن المجتمع ينظر إلى البالغ في بدء بلوغه على أنه إنسان هامشي الانتماء لا إلى عالم الكبار ينتمي ولا إلى عالم الطفولة ينتسب فالأطفال ينظرون إليه نظرة من كبر عنهم ونما وتغيرت معالمه وضخم صوته وطر شاربه وبدأ جسمه أضخم مما كان. والكبار لا تزال نظرتهم إليه النظرة إلى الطفل فهو لا يجلس مجالس الرجال ولا يعامل معاملتهم وإذا تكلم فهو الصغير الذي لا يحفل به ولا يعتد له برأي ومن ثم يبدو حائراً تتفاعل في داخله مختلف الصراعات وتتصارع فيه نوازع ودوافع وتبدو لديه انفعالات تبدو حادة عنيفة هجومية أحياناً عدوانية متطرفة أو انعزالية انطوائية تتجه به إلى الانعزال والانطواء على النفس والبعد عن الناس. وقد تتطور هذه الظواهر لديه وتشتد فتتحول أمراضاً نفسية عند بعض البالغين. هذه ولا شك حالات قد تصل بصاحبها إلى الصراع والشك في الكون والوجود والخلق، مما قد يؤدي به إلى

نافذة تربوية

ضعف في الإيمان أو ضياع له. فإذا جاء الإسلام وجعل للبلوغ وربط التكليف به وظيفة ذاتية في البالغ نفسه نفسية واجتماعية. وأخرى في المجتمع نفسه، حماية للفرد وتربية له وبناء للمجتمع وتكويناً، فهو بهذا يساهم إسهاماً تربوياً نفسياً في صالح الفرد والمجتمع. ومن هنا ندرك أهمية ما اتجه إليه الإسلام من التبكير في عملية التكليف وربطها بالبلوغ ففي هذه العملية إشعار للمكلف بالانتماء إلى عالم الصغار وأن يتجه بنفسه نحو عالم الكبار فهو منذ الآن مسؤول عما يفعل أمام القوة القادرة الخالقة لأنه الآن ينتمي إلى عالم المسؤولين وإذا كان المجتمع ينظر إليه على أنه لم يبلغ مبلغ الكبار والقانون يعتبره قاصراً غير مسؤول عما يفعل ومعنى هذا أنه لا حساب ولا ثواب، فالإسلام بهذا التكليف يعتبره مسؤولاً ومسؤولية الكبار مما يولد فيه إحساساً بالذات وثقة بالنفس وشعوراً بالمسؤولية الخلقية التي يعمل في ضوئها لإرضاء الله سبحانه. وممارسة التكليف من صلاة وصيام إلى آخره يندمج بها البالغ في عالم الكبار من غير شك. وهذا يفرض عليه التزاماً بسلوك يتلاءم والأخلاق المقبولة وكما أن التكليف مبكراً يفرض عليه ضبطاً من داخله للسلوك الاجتماعي، فهو كذلك يحتم عليه أن يبتعد عن عبث الصغار ويعمل جهده ليسلك ما يقربه من مجتمع الكبار، فضلاً عما يسيغه عليه من هدوء نفسي وراحة تبعده عن عوامل الصراع والشك فهو قد التزم أمام ربه بما يرضيه وأدرك أن هناك إلهاً يطاع فيما يأمر به وينهى عنه فلا مجال للصراع أو للشك. إن الإحساس بالمسؤولية هدف رائد عظيم في ذاته. والتربية الحديثة من بين أهدافها تربية هذا الإحساس عند المواطن. والإسلام بالتكليف المبكر هذا أراد أن يكون عند البالغ هذا الإحساس وهذا نوع من التربية الاجتماعية الأساسية. ولا شك في أن نظرة الإسلام للبالغ والزامه بالتكليف فيها التقدير كل التقدير لإنسانية الإنسان فما أعظم أن يرى المرء نفسه صغيراً كان أم كبيراً مقدراً من غيره فما بالك والتقدير هنا من الخالق المبدع لهذا الكون كله. ومادام التقدير آتياً من قبل الله فهو مرض للنفس مريح. وإذا كان المجتمع يؤخر هذا التقدير، فليس معنى هذا أن المجتمع على صواب، فما أكثر ما يخطئ المجتمع. وجانب الدين هنا أنسب للإنسان وأكرم. ثم إن هذا التكليف المبكر الذي لا تفريق فيه بين الذكر والأنثى، يوجه الإنسان والمجتمع نحو تغيير النظرة الاجتماعية الظالمة القاسية نحو المرأة فالمرأة في نظر الإسلام بهذا التكليف الذي تتساوى فيه مع الرجل من البداية، ليست سلعة ولا تابعة ولكنها إنسانة مسؤولة عما تفعل كما يسأل الرجل تماماً وعليها أن تتحمل المسؤولية أمام الله كما يتحملها الرجل تماماً. وتغيير النظرة من خلال هذا التكليف نحو المرأة عملية اجتماعية تتعلق بالتركيبة الاجتماعية ونظام الحياة في المجتمع. فليس في الإسلام تكليف غير هادف بل إن أهدافه عند التمعن فيها متعددة متنوعة. وعند التكليف بأمر ما لابد أن يكون هناك معيار يستند إليه وترى القوانين الوضعية أن تكون السن هي المعيار وهو معيار قد يختلف باختلاف المجتمعات. ويرى الإسلام أن البلوغ هو المعيار للتكليف وهو معيار ثابت لأنه ظاهرة فسيولوجية لا تختلف ومن الممكن أن تطبق في أي مجتمع من المجتمعات على اختلاف أصقاعها وأبعادها. والله سبحانه هو المستعان.

أصول الدبلوماسية الثقافية في الإسلام

بقلم : أ.د حسن فتح الباب

تتعدد تعريفات الدبلوماسية DIPLOMACY بتعدد المعاني التي تستعمل فيها هذه الكلمة. ويلعب التطور التاريخي دوره في هذا التعدد. وقد أجمع الباحثون على أن الكلمة في أصلها الإغريقي القديم قد استعملت بمعنى الوثيقة أو المكاتب التي تطوي كما يطوى الخطاب أو الصحيفة ويبعث بها أصحاب السلطة بعضهم إلى بعض في علاقاتهم الرسمية، وتجعل لحاملها امتيازاً معيناً DIPLOMA. ثم استعملها الرومان في لغتهم اللاتينية بمعنى الشهادة الرسمية أو الوثيقة التي تتضمن صفة المبعوث أو السفير والمهمة الموفد بها، فكانت بمثابة جواز سفر، أو بمعنى ما ينبغي على المبعوث أن يتحلى به من الأدب الجم واصطناع المودة وتجنب أسباب النقد.

وتطور استعمال كلمة «دبلوماسية» اليونانية الأصل حتى أصبحت في القرن السابع عشر تعني دراسة الوثائق القديمة، واتخذت في نهاية القرن الثامن عشر المعنى المتعارف عليه منذ هذا الحين حتى الآن، وهو ممارسة الدولة سياستها الخارجية من طريق المفاوضات وغيرها من الوسائل السلمية، وثمة معان أخرى متنوعة تستعمل فيها الكلمة على سبيل المجاز، إلا أن المدلول المشار إليه هو المعنى المؤلف والأكثر شيوعاً.

ومن تلك المعاني المتنوعة الذكاء والكياسة وما ينطوي عليه هذا المعنى من اللباقة وحسن التصرف لكسب الود والثقة، أو لاتقاء مشكلة، أو للحيلولة دون نشوب نزاع أو استعمال خلاف، أو لتحقيق غاية بعيدة بالأساليب الودية ودون استخدام العنف الذي قد يصل إلى حد الحرب. ونجد هذا المعنى واضحاً في ثنايا مقولة معاوية بن أبي سفيان المشهورة «لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، إذا أرخواها شدتها، وإن شدوها أرخيتها».

فهذه المقولة تعبر عن الذكاء والحصانة والمرونة التي اشتهر بها أول خلفاء بني أمية وأدهى الحكام العرب، كما أنها تعبر من جانب آخر عن فن سياسة الحكم وإدارة شئون الدولة في علاقاتها العامة.

دبلوماسية اسلامية

الوحدة والتنوع

إذا رجعنا إلى المعاني السابقة وجدناها تمثل إطارا عاما واحدا تتنوع فيه تفاصيل الصورة، فالدلالات وإن اختلفت قليلا أو كثيرا تسقى من مدلول واحد هو تنفيذ السياسة الخارجية المرسومة بالأساليب السلمية. ومن ثم أبان السير هارولد نيكلسون (SIR HAROLD NICKELSON) الملقب بأبي الدبلوماسية أن كلمة الدبلوماسية تستخدم للدلالة على معان شتى، فهي تارة تستخدم كمرادف للسياسة الخارجية، وتارة أخرى بمعنى التفاوض، وتستخدم بوجه أخص لتعني الجهاز والأساليب التي تستخدم في هذا التفاوض وأحيانا أخرى تعني الدبلوماسية فرعاً من الخدمة الخارجية التي تسمى السلك الدبلوماسي وثمة تفسير خاص تضمنته هذه الكلمة، وهو الدلالة على طبع مجرد أو موهبة، وفي أحسن معنى لها تدل على مهارة في تسيير المفاوضات الدولية، كما تتضمن في أسوأ معنى لها أختل جانب من جوانب الكياسة ألا وهو الدهاء.

وانتهى نيكلسون من ذلك إلى إيثار استخدام التعريف الذي أورده معجم أكسفورد ونصه: (الدبلوماسية هي توجيه العلاقات الدولية عن طريق المفاوضات، والأسلوب الذي يدبر به السفراء والمبعوثون هذه العلاقات، وعمل الرجل الدبلوماسي أو فنه) (١)

ومن التعاريف الحديثة المعتمدة للدبلوماسية تعريف جاردن Garden بأنها (علم علاقات الدول ومصالح كل منها، أو فن التوفيق بين مصالح الشعوب، وبشكل أدق علم أو فن المفاوضات، وهي تهدف إلى تحقيق أمن الدول، وهدوء أحوالها، وصيانة كرامة كل منها، وإشاعة روح التفاهم فيما بينها، والحفاظ على السلم العالمي).

وتعريف أرنست ساتو Ernest Satow بأنها (تطبيق الذكاء واللباقة في إدارة العلاقات الرسمية بين الدول، وأن مهمة الدبلوماسي هي التوفيق بين مصالح بلاده ومصالح الدولة المعتمدة لديها، والذود عن شرف الوطن والسهر على رفع شأنه) (٢).

ويعرف الدكتور سموحي فوق العادة الدبلوماسية بأنها (مجموعة القواعد والأعراف الدولية والإجراءات والمراسم والشكليات التي تهتم بتنظيم العلاقات بين أشخاص القانون الدولي أي الدول والمنظمات الدولية والممثلين الدبلوماسيين، مع بيان مدى حقوقهم وواجباتهم وامتيازاتهم وشروط ممارستهم مهامهم الرسمية والأصول التي يترتب عليهم اتباعها لتطبيق أحكام القانون الدولي ومبادئه، والتوفيق بين مصالح الدول المتباينة كما هي، وفن إجراء المفاوضات السياسية في المؤتمرات والاجتماعات الدولية وعقد الاتفاقات والمعاهدات). ومن ثم يستبعد المؤلف من التعريف الجانب الثاني للدبلوماسية وهو صفات القائم بها ومقوماته، ولكنه يضمن هذا الجانب في تحديده للمعاني التي تتضمنها كلمة دبلوماسية، إذ يرى أن من بينها (المزايا التي يتحل بها الإنسان الفطن في علاقاته الاجتماعية ولحل المنازعات الطارئة أو القضايا المستعصية: كاللباقة، والمهارة، والحنكة والحكمة، والدراية، والمرونة، والنعمومة، وحسن التصرف والتحفظ مع الكتمان، والبراعة في تحقيق الأهداف، دون إثارة حفيظة أحد أو نغمته. ويقال عن مثل هذا الشخص إنه يتصرف بدبلوماسية).

دبلوماسية اسلامية

الدبلوماسية والسفارة

من المعلوم أن سفارة كلمة عربية أصيلة (٣)، وذلك على خلاف كلمة دبلوماسية فهي من الكلمات المستوردة التي لم تدخل في لغتنا إلا حديثاً، ذلك لأن العرب في الجاهلية والإسلام لم يكونوا في حاجة إليها، بالنظر إلى وجود لفظة عربية الأصل تعطي مدلولها وتغني عنها وهي سفارة. وهكذا نرى أن اللفظين مترادفان أو يستعملان بمعنى واحد، فيقال الدبلوماسية والدبلوماسي كما يقال السفارة والسفير.

وقد استقر الاصطلاح في العصر الحديث على أن السفير هو المبعوث الذي توفده دولة في مهمة من المهام، فيسعى إلى إنجازها عن طريق المباحثات وغيرها من أساليب الدبلوماسية مع ممثلي الدولة المرسل لديها، أو هو - بتعبير آخر - وكيل حكومته المرخص له بتمثيلها لدى دولة أخرى في جميع المفاوضات الهامة. فالسفير في عرف علم السياسة هو ذلك الشخص الموفد رسمياً من جماعة سياسية إلى أخرى ليكون نائباً عنها أو وكيلاً لها. وقد تكون مهمة السفير مقصورة على نقل رسالة شخصية أو خطاب شفهي أو مذكرة إلى رئيس دولة أو أحد أصحاب السلطة فيها. ويخلع القانون الدبلوماسي والعرف الدولي على السفراء والمبعوثين حصانات وإعفاءات معينة تعرف بالحقوق والامتيازات والحصانات الدبلوماسية التي نشأت بتواتر هذا العرف. ويتوقف نجاح السفير في مهمته على نوع العلاقات القائمة بين الطرفين وما يتصف به من كياسة رأي ورجاحة عقل، ومن صبر وأناة وروية في معالجة الأمور وما يقتضيه ذلك من لين وحزم وأخذ وعطاء كما يتجلى ذلك في مقولة الخليفة معاوية المشار إليها آنفاً.

السفارات قبل الإسلام

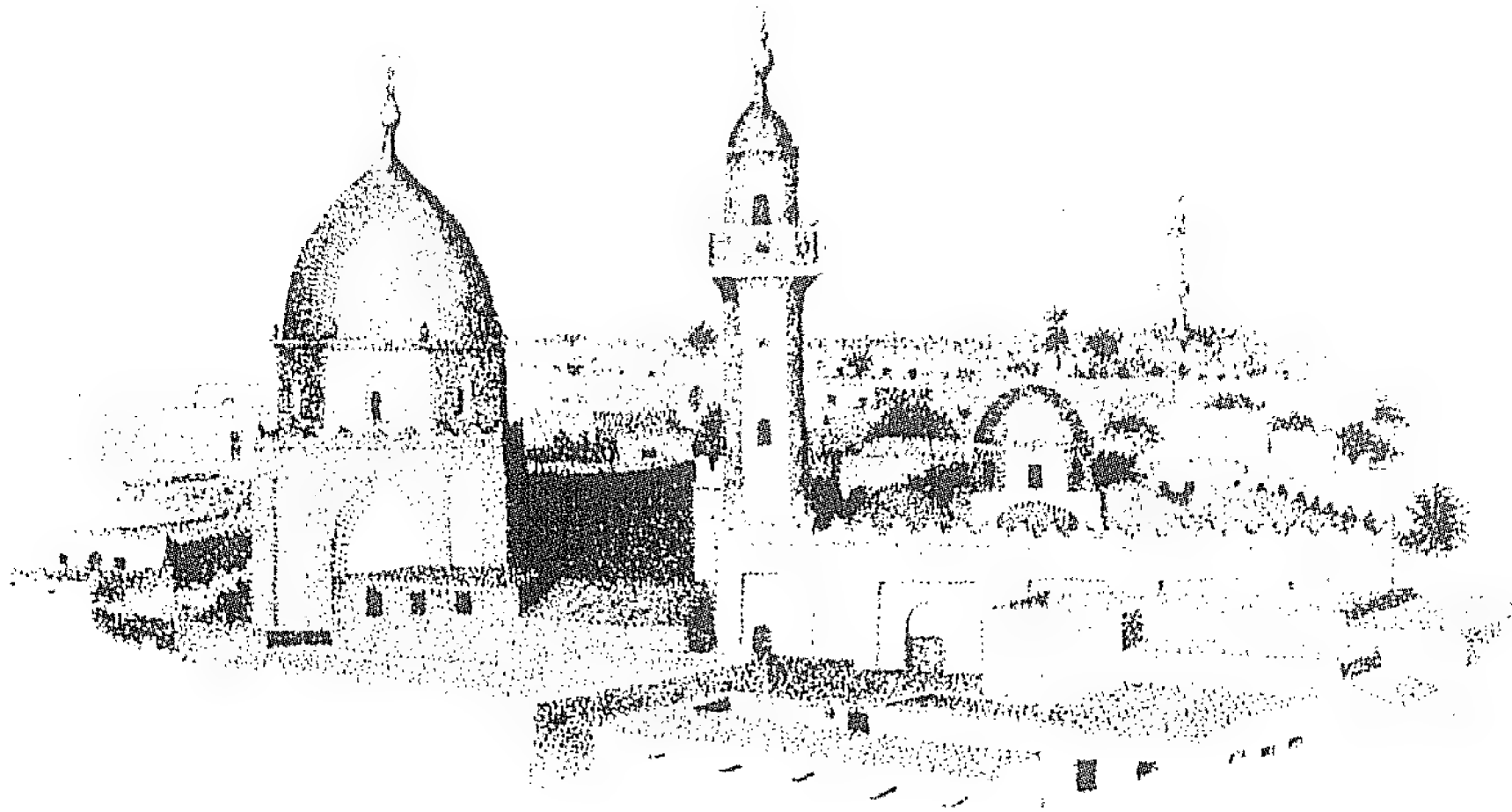
كان المعنى الحديث لكلمة سفارة معروفاً في تاريخ العرب والإسلام، فكانت السفارة في الجاهلية من المناصب التي دانت لقبيلة قريش وبطونها، وكان معناها عندهم أنهم كانوا إذا وقعت بينهم وبين غيرهم من القبائل حرب وأرادوا المخابرة بشأن الصلح بعثوا سفيراً، وإن نافروهم حي لمفاخرة جعلوا السفير مفاخراً ورضوا به. وفي طليعة السفراء المصلحين في عصر ما قبل الإسلام هرم بن سنان والحارث بن عوف اللذين توسطتا بين قبيلتي عبس وذبيان في الحرب الناشبة بينهما فعصماهما من الحرب والامها (٤). وكانت كلمة سفارة وظيفية معروفة في مدينة مكة، إذ كانت تتولى تمثيل القبيلة في شئون الصلح بعد القتال، أو التفاوض مع سائر القبائل، وكانت هذه الوظيفة لبني عدي وهم من بطون قريش، وقد تولاهما قبل الإسلام عمر بن الخطاب وكان من أغراض السفارة أيضاً إرسال القبائل الوفود لتقديم التهاني، أو التعازي، أو للتشاور أو التفاوض أو التحالف على النجدة (أي المساعدة المتبادلة)، أو ترتيب حفلات زواج الملوك ورؤساء القبائل، وحمل الهدايا النفيسة. (٥) ومن ثم عرف العرب نظام السفارة بينهم وبين غيرهم من القبائل والأمم والشعوب المجاورة، فاستخدموه في تنظيم العلاقات بين بعضهم وبعض، وبينهم وبين غيرهم. وكان من الطبيعي أن تكثر الوفادات والسفارات في تاريخ العرب قبل الإسلام، بوصفها وسيلة ليس ثمة بديل منها للخروج من عزلتهم في شبه الجزيرة، ولتبادل المنافع مع جيرانهم،

دبلوماسية اسلامية

وخاصة في الشرق حيث كانت مملكة المناذرة على أرض الحيرة والموالية للفرس، وفي الشمال حيث كانت مملكة الغساسنة الموالية للروم. فضلا عن حاجتهم إلى كسب الانتصار في المعارك الضارية التي كانت تنشب بين القبائل، أو لوقف هذه المعارك. وهكذا أدت السفارات أغراضها لديهم سواء في السلم أو في أثناء الحرب، بل في أعقاب الحرب أيضا حيث تدعو الحاجة إلى تسوية مانجم عنها من مشكلات مثل تبادل الأسرى، ودفع الديات، وتنظيم شئون الهدنة أو السلم والأمن، وغير ذلك من الأمور.

وساعد على ازدهار السفارات، ودخول العرب في علاقات ودية وروابط عهدية مع جيرانهم، وإقامتهم أنظمة وتقاليد راسخة في علاقاتهم ومعاملاتهم الخارجية، ساعد على ذلك الموقع الحيوي (الاستراتيجي) لشبه الجزيرة العربية والناشئ عن متاخمتها مراكز الحضارة القديمة في العالم، وهي الحضارة الآشورية في العراق، والحضارة الفينيقية في الشام، والحضارة الفارسية في بلاد الفرس، وقرب الجزيرة من الحضارة الفرعونية في مصر. وكانت أكثر الدول صلة بالعرب دولتي الفرس والروم (البيزنطيين) وهما أكبر قوتين سياسيتين في العالم في ذلك الحين. فتوالت السفارات السياسة بين حكام هاتين الدولتين وبين القبائل العربية المقيمة على الحدود لعقد المحالفات والاتفاقات المختلفة.

ولقد كانت شبه الجزيرة العربية معبرا وملققي للقوافل التجارية التي كانت تتخذ عدة طرق يبرز بينها طريقان أساسيان. وأولهما الطريق الشرقي وهو يتأخم الخليج العربي، ويتأخم دجلة، كما يقتحم بادية الشام إلى فلسطين، والثاني الطريق الغربي ويتأخم البحر الأحمر. وعن هذين الطريقين كانت تنتقل مصنوعات الغرب إلى الشرق، ومتاجر الشرق إلى الغرب. وقد اقتضت هذه التجارة الدخول في محادثات لعقد الاتفاقات بين تلك الجماعات البشرية بعضها وبعض، وأتاح موقع الجزيرة لسكانها مكانة تجارية ممتازة وروابط حميدة في العالم المعروف إذ ذاك. وتحفل كتب التاريخ بأخبار رسلهم إلى الملوك ووفاداتهم



دبلوماسية اسلامية

ومفاوضاتهم، بل لقد قدمت إليهم بعثات من البلاد الأخرى تخطب ودهم وتطلب مؤازرتهم.

وإلى جانب العلاقات التجارية الخارجية بين العرب وبين البلدان المجاورة كانت ثمة علاقات مماثلة بين القوى السياسية داخل الجزيرة العربية. فكان هناك شريان تجاري يصل ما بين اليمن جنوباً ومكة شمالاً. وقد ورد في القرآن الكريم ذكر هذه الحركة التجارية النشطة بين مكة والشام شمالاً وبينها وبين اليمن جنوباً، وذلك بالإشارة إلى رحلة الشتاء والصيف. ومن الطبيعي أن هذه الحركة كانت تتطلب اتصالات واتفاقيات دبلوماسية بين القبائل بعضها وبعض، وبين الممالك والبلاد الأخرى، في سبيل توطيد العلاقات التجارية.

ومما يسر هذه الاتصالات ودعمها على مختلف أنواعها أن بلاد الشام شمالاً والجزيرة العربية جنوباً كانتا تضمان أعظم المقدسات الدينية. فثمة بيت المقدس في مدينة القدس، والكعبة بيت الله الحرام في مكة. فكانت الجماعات السياسية داخل الجزيرة وخارجها تغتنم حلول مواسم الزيارة والحج لعقد اللقاءات وإبرام الاتفاقيات والمصالحات والمحالفات. وعرف من سفارات الجاهلية سفارة عبدالمطلب بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبرهة ملك الأحباش، وهو في طريقه إلى مكة غازياً، مفاوضاً إياه على رد الإبل التي استولت عليها طلائع جيوش الحبشة.

ووجد منقوشاً على «سد مأرب» ما يفيد قدوم سفارات التهئة على أبرهة من شتي الأمصار والممالك سنة ٥٤٣ ميلادية، إثر انتصاره على الحميريين وتأسيسه أول دولة مسيحية باليمن، وذلك مايلي:

«وجاءت إليهم سفارة النجاشي (ملك الحبشة) وسفارة الروم، وسفارة ملك فارس، ومبعوث المنذر (ملك الحيرة)، ومبعوث من قبل الحارث بن جبلة، ومبعوث أبي خير بن جبلة، جميعهم طلبوا مودتنا بقوة من لدن الرحمن». (٦)

ولقد كان عمر بن الخطاب قبل أن يسلم آخر سفراء قريش كما نوهنا من قبل وجاء الإسلام.

كان بزوغ فجر الإسلام نقطة تحول في تاريخ الدبلوماسية العربية، فبه طراً تغيير جذري في ميدان السفارات، شأنه في ذلك شأن سائر الميادين من سياسية واجتماعية واقتصادية، فأصبح أفسح مما كان عليه في الجاهلية وأهم من مجرد العلاقات التجارية المرتهة بظروفها. وأصبحت الدبلوماسية منهجاً ذا قواعد ونظم محددة تترسمها الدولة الإسلامية في تسيير علاقاتها بغيرها من الدول. ونشأ هذا النظام وذلك التطور في الأغراض وفي الأساليب تبعاً لنشأة الدعوة الإسلامية وتطورها.

فلقد اقتضت طبيعة الرسالة أن يتخذ النبي عليه السلام من السفارات وسيلة لنشر دعوته، وسبيلاً إلى تأليف القلوب، ودستوراً في علاقاته العامة في الجزيرة العربية ومع الأمم من الشعوب الأخرى.

فكان صلى الله عليه وسلم هو المعلم الأول للسفراء المسلمين، وهو مؤسس نظام السفارات وواضع أصولها الثابت وقواعدها المحددة ومنهاجها القويم الذي اتبعه خلفاؤه من بعده في سبيل بناء الدولة الإسلامية والدفاع عن عقيدتها وكيانها إنه رسول السماء إلى

دبلوماسية اسلامية

الأرض، وهو المؤهل بالنبوة وبالتنشئة ليكون الإمام والحكم والمصلح، في واقعة اختياره قبل البعثة لفض النزاع الذي كاد ينشب بين قبائل قريش حول الأحقية في حمل وتثبيت الحجر الأسود بالكعبة ما يغني عن كل تفصيل، إذ دل الحل الذي ارتآه ووفق به بين المتنافسين على رجاحة العقل وسعة الأفق وهما الصفتان اللتان ينبغي أن يتحلي بهما السفراء والدبلوماسيون.

إن هاتين الصفتين وسائر الصفات والمناقب التي يمتاز بها رجال الدبلوماسية الأكفاء نضج من معين المبادئ الإسلامية في أصولها الحقة.. ويكفي أن نتذكر الآيات الكريمة ونحن في سياق تأصيل الدبلوماسية في الإسلام:

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ الحجرات/ ١٣

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة. وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ النحل/ ١٢٥ ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ العنكبوت/ ٤٧.



دبلوماسية اسلامية

﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة. ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ فصلت / ٣٤
﴿فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ آل عمران / ٣

وتتجلى الدبلوماسية الإسلامية في عصر الرسول عليه السلام فيما سطر من كتب وأوفد من بعوث إلى القبائل العربية وكل ملوك الدول المجاورة ورؤسائها لدعوتهم إلى الدخول في دين الله الحق، كسفرائه صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ملك الحبشة، وكسري ملك فارس، والمقوقس عظيم القبط في مصر، وكانت الكتب التي يحملونها مصدرة بعبارة (سلام علي من اتبع الهدى). (٧)

وسار الخلفاء بعد وفاة النبي عليه السلام على خطاه، إذ كانوا يرسلون الكتب والبعثات الدبلوماسية التي تولت في العصور اللاحقة تحقيق أغراض الدبلوماسية المتعددة، مثل تبادل السفارات كوسيلة لتوثيق الصلات التجارية، أو تبادل العطايا، وفرض المنازعات، وعقد المعاهدات، أو تبليغ الإنذار قبل بدء القتال إذا لم يجنح الطرف الآخر إلى السلم، أو تسوية القضايا المتعلقة بإنهاء القتال كوضع شروط الهدنة أو الصلح، وتبادل الأسرى أو تحذيرهم بعد دفع فديتهم.

أصول السفارات الثقافية في الدعوة الإسلامية

من أهم الأغراض التي استحدثت في الدبلوماسية الإسلامية السفارات الثقافية، بيد أن لها أصولاً ثابتة في تاريخ الدعوة وتشكل هذه الأصول البذرة الأولى لشجرة هذه السفارات بعد سفارة مصعب بن عمير بالمدينة التي بدأ نموها في عهد الأمويين في دمشق، ثم ازدهرت في عهد العباسيين في بغداد ودولة الأمويين في الأندلس. ونجد أصول الدبلوماسية الثقافية في صميم المبادئ التي نزل بها القرآن ودعمتها الأحاديث النبوية. فالسفارات التي استهدفت إنشاء أو دعم الروابط الثقافية بين الدول الإسلامية وغيرها في مختلف العصور إنما هي نبت دولة تتخذ من العلم دعامة للحياة بل ركناً أساسياً من أركان الدولة وتتخذ من الثقافة مقوماً جوهرياً من مقومات المجتمع، ومن الدبلوماسية وسيلة لإقرار السلام ونشر المعرفة.

ذلك أن الخلفاء والولاة قد تشربوا روح الرسالة وأدركوا الدور الضخم الذي يؤديه العلم في بناء الفرد، وهو وحدة الأسرة التي تشكل خلية المجتمع، وأدركوا مايفتحه نشر الثقافة من آفاق فسيحة نحو مستقبل كريم للإنسان، ومايفجره من طاقات بناءة في الأفراد والجماعات ففتحوا المغالق والسدود التي كانت تقف حائلاً في سبيل العلم، ومهدوا له الطريق ليتسلل إلى كل عقل كي يستقبل الدعوة الإسلامية بوعي عميق. وكان لهم في رسول الله أسوة حسنة. ويكفي أن نذكر في هذا المقام ماعرضه على أسرى المشركين في غزوة بدر من إطلاق سراح من يفتدي منهم نفسه بتعليم عشرة من أبناء المسلمين. ففي الحق أنها أشبه بفدية النفس بالنفس كما تقضي قواعد الفداء التي شرعها الإسلام. فالجهل عدو النفس البشرية وملقيها في ركام العدم. ولكي تبني دولة، عليك أن تحرر النفوس من عبودية

دبلو ماسية اسلامية

الجهالة وتضيء بصيرتها بنور المعرفة فتبعثها من الموت إلى الحياة. ولقد كانت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم في سبيل الإسلام ثورة من أجل العلم والمعرفة بوحى من آيات الله البينات. فلا غرو أن يمجّد الإسلام العلم والعلماء، وأن يحث على التماس الحكمة من مصادرها بشتى الوسائل، وأن يزن قيمة المرء بعمله ورجاحة فكره، فيجعل العلماء في المرتبة الأولى بين أقوامهم ويعدّهم ورثة الأنبياء. قال تعالى:

﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ الزمر/ ٩

﴿وقل رب زدني علماً﴾ طه/ ١١٤

﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ العنكبوت/ ٤٣

﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ فاطر/ ٢٨

﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ التوبة/ ١٢٢

بل إن أولى السور القرآنية المنزلة حثت على العلم:

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾ العلق/ ٢

وأقسم الله سبحانه وتعالى بالقلم: ﴿والقلم وما يسطرون﴾ القلم/ ١

وطلب العلم بمثابة الفريضة في تعاليم الرسول التي حملها من بعده أئمة المسلمين. ففي الحديث الشريف (طلب العلم فريضة على كل مسلم). وفي الحديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». وفي الحديث أيضاً: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين).

والعلم في الإسلام يشمل علوم الدين وعلوم الدنيا، ولا قيود أو حدود له إلا قيد المشروعية الدينية والأخلاقية. وفي عصر الخلفاء الراشدين ظل نشر العلم سبيلاً إلى نشر الدعوة في آفاق الأرض. وسبباً لتمكين الدولة الإسلامية الناشئة. وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (تفقهوا قبل أن تسودوا) وكان الخلفاء وسائر الصحابة هم مصابيح الهدى كما وصفهم الرسول عليه السلام، وهم علماء المسلمين الذين تلتهم لديهم الحكمة - وهي الغاية العليا للعلم - وتبتغي المعرفة.

ولقد ازدهر الإسلام في العصور التي ساد فيها العلم والعلماء، وأصابه الوهن واضمحلت دولته حينما أدخلت فيه البدع والخرافات من الإسرائيليات وغيرها. ذلك لأنه دين علم ورسالة حضارة وتقدم. ولا يقوم الإيمان الصحيح إلا على أساس العلم المتين «فالدين والعلم - كما يقول الفيلسوف هكسلي - توأمان متلاصقان فصلهما يؤدي إلى موتهما. فإن العلم ينمو متى كان دينياً، والدين يثبت متى كان علمياً». ويقول العلامة هربت سبنسر بحق: «إن العلم عدو الأوهام المتداولة بين الناس باسم الدين، ولكنه ليس بعدو للدين الحق الذين كثيراً ما تحاول هذه الأوهام ستره عن الأبصار». ويصدق الفيلسوف بيكون في قوله: «إن القليل من العلم يبعد عن الله، والكثير يقرب منه».

ولعل المسلمين الأوائل بالبحث العلمي

في ضوء هذه المبادئ والأسس التي قام عليها الإسلام وشيدت دولته الأولى في المدينة

دبلو ماسية اسلامية

المنورة ثم في مكة ورُفرف علمها في الآفاق مبشرا بحضارة جديدة ومرسيا قواعدها الصلبة، تغلغلت في نفوس المسلمين روح النزعة العلمية وروح البحث عن حقائق الطبيعة والكون والإنسان ويروي المؤلفون القدامى وقائع كثيرة تدل على ولع أسلافنا بالسعي في مناكب الأرض لاجتلاء نواميس الوجود والنهل من ينابيع المعرفة مهما بعدت المسافة وشقت 'لطريق في عالم مترامي الأطراف لم تكن تربطه وسائل المواصلات ولم تتح له سبل المعرفة التي نشهدها في عالم اليوم بعد التطور المذهل الذي حققته ثورة الاتصال في عصر التكنولوجيا والألكترونيات وغزو الفضاء.

ولقد يسر من مشقة ارتياد أرجاء الأرض في سبيل الكشف العلمية في العصور الأولى للدولة الإسلامية أن العربي بفطرته وبحكم نشأته الصحراوية جواب آفاق يركب الصعب من الأمور في سبيل تحقيق أحلامه وأهدافه، فهو شغوف بالأسفار البعيدة والبحث عن المجهول. وقد وجه الإسلام هذه الطاقة الكامنة في نفس العربي إلى الحث على انتجاع موارد المعرفة في مظانها، التماسا لكل طريف ومستحدث في العلوم والآداب والفلسفات والفنون والصنائع.

وقد تعمقت أصول الدين الحنيف والوعي برسالته الإنسانية في وجدان المسلمين وعقولهم حتى جد روادهم من الفقهاء والعلماء والفلاسفة في طلب العلم وتحصيله من كل فج عميق. وكان البحث العلمي في سبيل تفسير القرآن أكبر غاية يتلمسها المسلم في دنياه ويأمل بها المثوبة في أخراه. ونستطيع في ضوء هذا الفهم أن نتبين مصداق ذلك في قول أبي الدرداء:

«لو أعيتني آية من كتاب الله فلم أجد أحدا يفتحها عليّ إلا رجلا ببرك الغمام (موضع بأقصى اليمن كان مثالا في البعد وصعوبة الوصول إليه) لرحلت إليه». ومن أجل هذا الهدف النبيل الذي يبتغيه طالب العلم والباحث عن الحقيقة يقول الشعبي: «لو أن رجلا سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن لسمع كلمة حكمة ما رأيت أن سفره ضاع».

السفارات الثقافية سبيل للإخوة البشرية

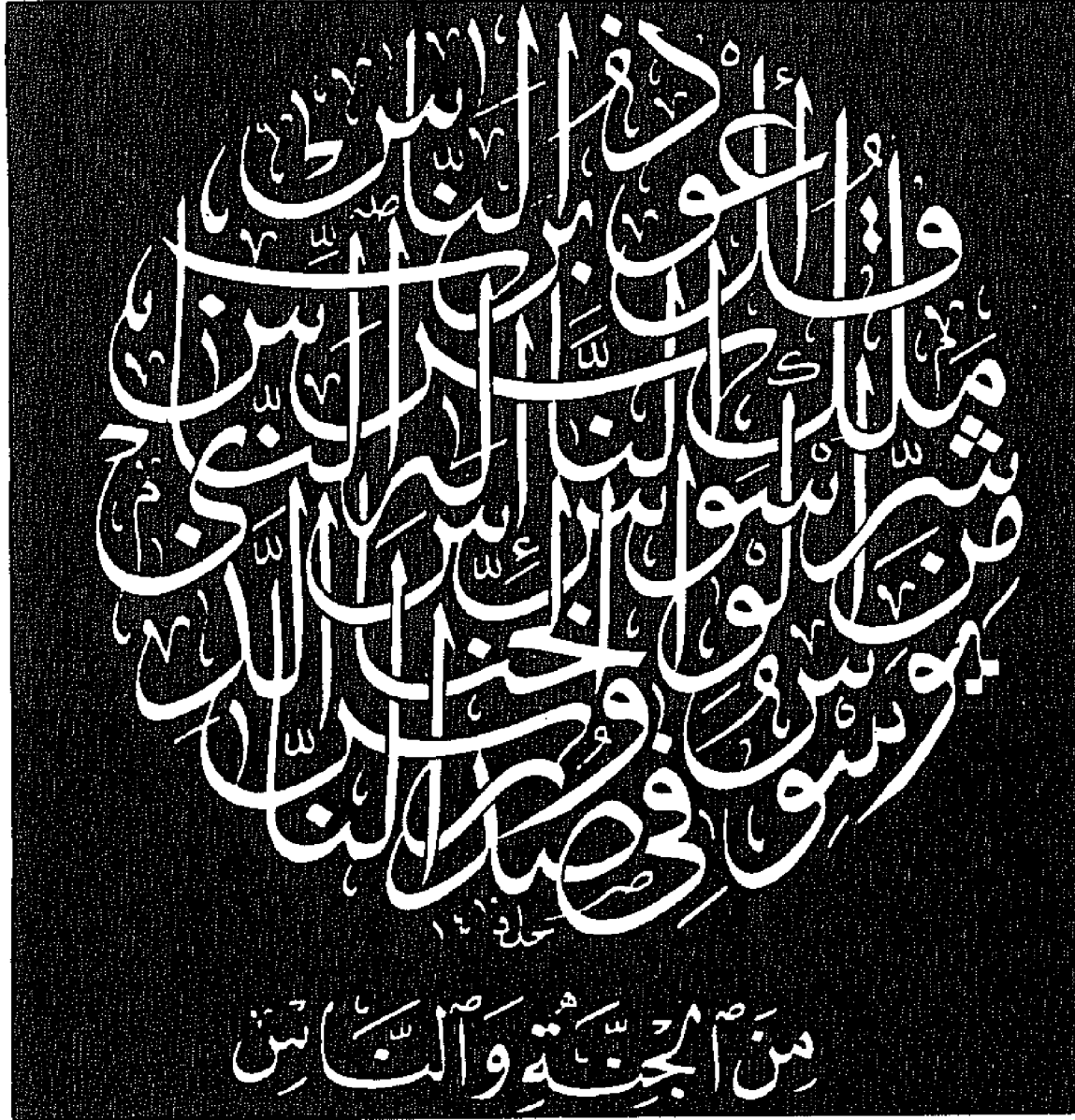
حين يجعل الإسلام طلب العلم في مرتبة الفرائض، ويعلى من منزلة العلماء، ويجعل من بيوت الله مدارس لتلقي المعرفة، ويحرص على نشدان العلم والثقافة مهما بعد السبيل وشقت الرحلة، فهو يؤكد بذلك دور الثقافة في تعميق وعي الفرد والجماعة بشئون الحياة والعقيدة، وخلق مجتمع تتحقق لأبنائه العزة والرفاهية. وهو يرمي بذلك أيضا إلى هدف أكبر، هو تحطيم أسوار العزلة والفرقة التي تفصل بين الناس وتجعلهم شيعة وأحزابا وهو الدين الذي نزل فجعل الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا. والطريق إلى ذلك هو نشر الثقافة المشتركة وتبادل الفكر بين الناس جميعا. فالمسلم في سعيه إلى كشف السنن الكونية وكوامن النفس البشرية يرود مناطق جديدة. ويتعرف على بلاد بعيدة، ويختلط بأشخاص وزمر من الناس كانت تحول بينه وبينهم سدود وحواجز شتى. فيتم بذلك لقاء فكري خالص لوجه الحقيقة صادر عن أكرم حوافز الإنسان وهي التعاون والتأخي لمعرفة خبايا

دبلو ماسية اسلامية

الطبيعة وحقائق المجهول.

ولا ريب أن هذا اللقاء الفكري يقرب بين الطبائع المتنافرة ويؤلف بين المذاهب المتناقضة، ويسفر عن نتائج إيجابية للعمل المشترك في سبيل صالح البشرية. ومن ثم كان التبادل الثقافي نابعا من مبادئ الإسلام التي تدعو إلى انتشار الناس في الأرض لتبادل المنافع وتحقيق الأغراض المشتركة. وقد قال الله تعالى: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ الملك/ ١٦. ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة، ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾ النساء/ ١٠١

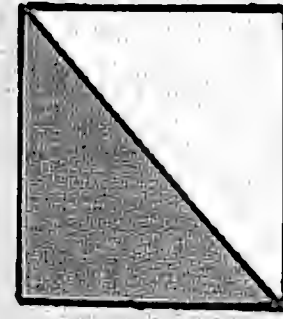
فالسفارة الثقافية إذن تنبع من صميم الدعوة الإسلامية وجوهر رسالتها، لأنها دعوة إلى تأكيد الإيمان بوحداية الله الخلاق العظيم وغايته من الخلق. والافتتاح بوحدة العلم عن طريق المساواة بين البشر، وسيادة الحق والعدل والحرية والقانون. والتبادل الثقافي عن طريق التواصل الدبلوماسي بين الدول في مقدمة الرسائل التي توثق العلاقات بين الجماعات البشرية وأشخاص القانون الدولي العام، وترفع بينها الحواجز، وتفض المنازعات وتدعم السلام ذلك أن تبادل المنافع المادية كالتجارة والمعنوية كالأفكار، والمشاركة في الانتفاع بالتراث المعرفي الإنساني يقتلcan بذور الشك وعدم الثقة، ويمهدان الدروب نحو التعاون والتضامن في ظل الأمن الدولي والسلام العالمي والتعايش بين أعضاء الأسرة الدولية، سواء تلك التي تتفق في نظمها الاجتماعية والعقائدية والسياسية والاقتصادية أو التي تختلف فيها.



أسباب خوف الغرب من الإسلام

في تصور المستشرق الفرنسي «جاك بيرك»

جاك بيرك هو أحد أبرز المستشرقين الفرنسيين والغربيين الذين لا تذكر أسماءهم إلا مسبوقة بكل مظاهر الحفاوة والاحترام سواء من جانب الأكاديميين أو العرب المنصفين على حد سواء، والرجل أفنى من عمره أكثر من نصف قرن باحثاً ومنقبا في تاريخ الفكر العربي قديمه وحديثه ووضع لنا قائمة من المؤلفات التي تعتبر بحق حجر الزاوية لكل دارس يريد أن يلج - باطمئنان - بحر الثقافة العربية، ووضع جاك بيرك الكثير من المؤلفات منها «الغرب من أمس الى الغد» والعرب و«الشرق ثانياً» و«الإسلام أمام التحدي» و«المغرب بين حربين» ومصر «الإمبريالية والثورة» و«المغرب التاريخ والمجتمع» و«من الفرات الى الأطلسي» ومن أشهر مؤلفاته وأحدثها مؤلفه «إعادة قراءة القرآن».



بقلم د :

محمد السيد

احمد الدسوقي

الأول : أن العرب والمسلمين هم الأكثر قرباً من حيث الجوار الجغرافي.
الثاني : أنهم الأكثر شبهاً من حيث الثقافة.

الثالث : أنهم الأكثر عداوة بسبب ذكريات الماضي الاستعماري. ولم يفند الرجل هذه الأسباب ويوضحها وانتقل بعد ذلك الحوار إلى بقية الحديث وأحسب أننا يجب أن نناقش مستشرقاً كبيراً مثل جاك بيرك فيما ذهب إليه، فهل حقاً سبب

هكذا قدم الدكتور سعيد اللاوندي «جاك بيرك» في حوار له الذي نشرته الأهرام القاهرية في الصفحة الخامسة بتاريخ ٢٢/٤/١٩٩٣ م. وكان الحوار حول التطرف والأصولية والإسلام.
وفي هذا الحوار ذكر الدكتور سعيد اللاوندي أسباب خوف الغرب من الإسلام في تصور جاك بيرك بقوله «ثم يلخص جاك بيرك شروحاته فيقول: خوف الغرب من الإسلام يأتي من جوانب ثلاثة:

صحوة إسلامية

وتجاوز المسلمون الأوائل مع أهل النوبة المحتفظين باستقلالهم قرونا دونما أية تحطيم للجيرة، كذا أهل أرمينية كتب لهم معاوية عهدا أقر فيه احترام جيرتهم (٢).

وتربى المسلمون على هذه المبادئ وحافظوا عليها، وعلى ذلك فادعاء «جاك بيرك» السابق أوقن أنه يعلم أنه سبب لا تقهره تكنولوجيا العصر المتقدمة التي لا تحتفل بالقرب أو البعد الجغرافي في علاقات الأمم ولا الأديان ودعونا نناقش السبب الثالث قبل الثاني الذي يخيف الغرب من الإسلام وهو أن المسلمين أكثر عداوة بسبب ذكريات الماضي الاستعماري.

بداية نعتز على «جاك بيرك» بل ونرفض تعبيره «الأكثر عداوة» وإصاقه بالمسلمين، «جاك بيرك» يعلم أن السماحة والعفو والمحبة ركائز واضحة وأساسية في طبيعة الدين الإسلامي، ولم يسجل التاريخ على المسلمين العداوة مع غيرهم، إلا من أقلام جفت ضمائرهما ومن عقول أحاطها الحقد والحق.

إن المسلمين تربوا على العفو والسماحة، فليس الانتقام من خلقهم وشيئتهم يأسيد «جاك بيرك» وأنت من العالمين من الغرب أن الإسلام علم أنصاره أن يتحلوا بالصبر والحلم والعفو فإن ذلك من ركائز خصال المسلمين، وقد مدح الله الحليم في كتابه حيث يقول: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ الشورى/٤٣ يعني من صبر على الظلم وتجاوز عن ظالمه وعفا عنه ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ الشورى/٤٣ يعني من حقائق الأمور التي يثاب فاعلها، ويقول سبحانه أيضا ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ

معادة الغرب للإسلام تتمثل أسبابها في الأسباب الثلاثة السالفة الذكر؟
اذن فلنناقش هذه الأسباب كلا على حدة:

١ - خوف الغرب من الإسلام سببه أن العرب والمسلمين هم الأكثر قربا من حيث الجوار الجغرافي. والحقيقة أن هذا الادعاء ليس له نصيب من الصحة، فالمسألة لا علاقة لها بالقرب أو البعد الجغرافي و«جاك بيرك» يعلم والغرب كله يعلم أن العالم أصبح بفعل التكنولوجيا المتطورة قرية صغيرة جدا والأقمار الصناعية والقوى الخارقة لم تعد تحفل بالظواهر الجغرافية في عداوتها وفي حروبها، ولذا فالادعاء بأن الغرب يخاف من الإسلام سببه الجوار الجغرافي ليس صحيحا وإلا لماذا لا تخاف الأجناس الأخرى في قارة آسيا والأمريكتين وفي أوروبا وهم متقاربون جغرافيا وهم ليسوا على ديانة واحدة بل ديانات متعددة، بل إن هذه الأمم تحاول أن تستغل الجوار الجغرافي في اتحادها وتكاملها.

«جاك بيرك» يعلم الإجابة عن هذا السؤال التالي: هل عاشت الدول غير المسلمة في جوار غير طبيعي مع الإسلام في القرون الأولى، هو يعلم أن الإسلام أقام علاقات طيبة مع جيرانه وعرف بسماحته واحترامه لعلاقات الجوار، وهو - أي جاك بيرك - يعلم أن التاريخ لم يشهد أن المسلمين اغاروا مرة واحدة على جيرانهم والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يضرب المثل الأعلى في ذلك فحافظ على جيرة جهينة و«بني ضمار» و«عقار» وعقد صلحا بين الأوس والخزرج ومع اليهود على أساس حسن الجوار (١)

صحوة اسلامية

سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على
الله إن الله لا يحب الظالمين ﴿الشورى/ ٤٠﴾

فاطمثن ياسيد «جاك» إن الانتقام والظلم هما شيم الغرب، إن الحق وعدم العفو شيم الغرب وليست شيم الإسلام، فلا تخف من المسلمين من ظلم استعماري وقع عليهم لأن شيم الكبار العفو والسماحة، ومع ذلك ياسيد «جاك» أنت تعلم والغرب يعلم أنه يسعى بكل الجهود لأن يتناسى المسلمون دينهم ويبتعدوا عنه، بل ينفق الغرب بلايين الدولارات في هذا الشأن، ففي جمهورية ألبانيا المسلمة على سبيل المثال تحاول الجمعيات التبشيرية الغربية وسط أجواء اقتصادية سيئة ان تشتري كل طفل يجري تنصيره بحوالي ١٠٠ دولار للطفل الواحد (٣) وصدق الحق سبحانه وتعالى حين قرر ذلك في قوله: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير﴾ البقرة/ ١٠٩

أيها السيد «جاك بيرك»: قل للغرب إن المسلمين بدينهم الإسلامي لن يستذكروا أيام الاستعمار الغربي الغاشم لأن الإسلام ربى أهله على التعايش السلمي، والتاريخ يشهد والغرب يشهد أيضا أن المسلمين عاش معهم أهل ديانات أخرى كاليهود والنصارى والمجوس والإسلام بين واضح بينهم، وإذا كانت الشعوب - كما تعلم - قد أقرت خمسة مبادئ للتعايش السلمي فيما بينها في العصر الحديث تتمثل في: عدم الاعتداء، تجنب

التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، الاحترام المتبادل للسيادة والاستقلال، مبدأ المساواة والنفع المتبادل، المعاشة فيما بينها في سلام.

ومع ذلك «فقد كثر الاعتراض على تلك المبادئ السابقة لسلبيتها ولغموض فكرتها، وخاصة في المعاشة فيما بينها بعكس الحال بالنسبة لمبادئ الإسلام في التعايش السلمي (٤).

لقد سبق الإسلام أيها المستشرق - جاك بيرك - مبدأ التعايش السلمي مثبتا ان الدين الإسلامي والمسلمين لم يكونوا أبدا أهل عداوة وهم يعلنون دائما مبدأ «السلام» حيث لا يلجأ المسلمون الى الحرب إلا باختيار عدوهم، فهم لا يبغيون الا العمل على نشر الإسلام وتعاليمه بالطرق السلمية في شتى المدن والبلاد ولقد تمثلت قواعد الإسلام في التعايش السلمي في خمس قواعد:

الاولى: السلام في العقيدة: فلقد شهد الغرب بأن الإسلام أبدا ما انتشر بالقوة والجبر وكان دستورهم قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ البقرة/ ٢٥٦ وقوله تعالى: ﴿فذكر إنما أنت مذكر. لست عليهم بمسيطر﴾ الغاشية / ٢١ و٢٢

الثانية: السلام في الحياة الخاصة: فلقد أقام الإسلام توازنا بين رغبات الإنسان ومطالبه في الحياة، وبالطرق التي تحفظ للإنسان كيانه بوصفه إنسانا مع أخيه الإنسان لذلك جاء التوجيه الإلهي: ﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ الحديد/ ٧

الثالثة: الصلات بين الناس: وأساس ذلك أن يتعامل الناس باختلاف

صحة اسلامية

القانون الدولي في أوروبا الذي قال بوجوب عدم معاملة الشعوب غير المسيحية، على قدم المساواة مع الشعوب المسيحية ومع أنه يرى القانون الطبيعي مجيزاً لعقد معاهدات مع أعداء الدين الإسلامي إلا أنه نادى بتكثّل الأعداء المسيحيين ضد أعداء المسيحية ويقصد بكلامه هذا المسلمين (٦).

بات إذن أن الادعاء بأن المسلمين أكثر عداوة بسبب ذكريات الماضي الاستعماري ادعاء باطل لا سند له من الصحة، لم يبق من الثلاثة عناصر التي رأى جاك بيرك فيها السبب وراء خوف الغرب من الإسلام إلا أن المسلمين أكثر شبهاً من حيث الثقافة، فإن كان الغرب يخاف من المسلمين والإسلام لأجل هذا السبب فلا بد لأنهم يعلمون أن المسلمين لهم جذور في ميدان العلم والثقافة تلك التي نقلوها عن المسلمين الأوائل وبنوا عليه حضارتهم، وبالتالي فمن له أسس قوية لا يهدم أبداً، وبذور التقدم والتحرر والتفوق موجودة عند المسلمين ولا شك أنهم قادمون وهذا سبب خوفهم وقلقهم، ومع ذلك دعنا نضع أيدينا على الأسباب الحقيقية التي يخاف الغرب من ورائها من الإسلام، تلك التي أغفلتها ياسيد «جاك» مع أنك تعلم وأنت ذو رأس واع لأحوال المسلمين بكل دقائقها.

أولاً : عالمية الإسلام

من عالمية الإسلام هم — أي الغرب — ينزعجون ، يقلقون في مضاجعهم لأنهم يوقنون دائماً أن الإسلام حتماً سيهدم ما هم فيه، فهم يخافون على ملكهم لأن

أجناسهم للنهوض بالحياة الإنسانية قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات / ١٣

وعلى هذا لا يدعو الإسلام المسلمين فقط أن يسعوا في الأرض بل شجع غير المسلمين إلى دخول دار السلام.

الرابعة : السلام في النظام العام :

والإسلام لا يخفي أنه أقام أحسن علاقات الإنسان بأخيه الإنسان، بل قرر المساواة بين جميع البشر وتأمّلوا قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع «يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لأدم وأدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت اللهم فاشهد ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب» (٥).

وهذا هو الذي يفتقده الغرب، فالغرب تنخره العنصرية، وليس أدل على ذلك ما حدث في إحدى الولايات الأمريكية مؤخراً إثر اضطهاد أحد الزوجين، والذي سمي بـ «بثورة الزوج» فالتفرقة العنصرية بين الأبيض والأسود ما تزال تعمل في نفوسهم، مما يعد من عوامل الضعف المستكنة الخفية التي سوف تظهر إن عاجلاً أو آجلاً.

الخامسة : السلام في الحكم: فلا شك

أن العدل والمساواة في الحقوق بين الناس جميعاً يجعل الإسلام روحاً تتقبلها نفوس البشر باختلاف أجناسهم، وهم يعلمون أنهم يفتقدون ذلك وباعتراف علمائهم أمثال (جروسيوس) الذي يعد أبا

صحوة اسلامية

ومعلوم أن لفظ الدين للجنس يشمل جميع الأديان السابقة على الإسلام كاليهودية والنصرانية والأديان الأرضية كالبودية والوثنية وغيرها من سائر الأديان، وهذه الحقيقة تدعونا إلى الثانية التي تعتبر نتيجة لها ألا وهي: سر انتشار الإسلام دون وساطة وهذا ماسنعرض له في الموضوع التالي:



الهوامش :

- ١ - سيرة ابن هاشم ١/ ٥٩١
- ٢ - د. نجيب الأرمنازي : الشرع الدولي في الإسلام ص ٥٠ نقلا عن د. وهبة الزحيلي: أحكام المعاهدات في الشريعة الإسلامية ص ١٧ مقال بمجلة الشريعة والقانون العدد الرابع ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م. وتصدرها كلية الشريعة والقانون بالقاهرة.
- ٣ - محمد جمال عرفه : الألبان هل يتجهون للعالم الإسلامي من بعد أن تجاهلتهم أوروبا، مقال بجريد الشعب عدد: ٧٣٨ بتاريخ ٤ مايو ١٩٩٣ ص ٨.
- ٤ - المستشار : محمد عزت الطهطاوي: الإسلام والتعايش السلمي مجلة الأزهر - السنة ٥٦، شعبان ١٤٠٤ هـ - مايو ١٩٨٤ ص ١٢٤٧.
- ٥ - طالع في ذلك : د. محمد الطيب النجار مسيرة الرسول، د. علي عبدالواحد وافي : حقوق الإنسانية في الإسلام نشر إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف المصرية د/ت.
- ٦ - طالع د/ محمد سامي جنيته : القانون الدولي العام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٣٨، وكتاب كفاح دين للشيخ محمد الغزالي. مطبعة لجنة التأليف سنة: ١٩٨٢.

الإسلام بمناهجه المعتدلة سيسوي بينهم وبين عامة الناس، وهم يقرءون ذلك ويحفظونه في القرآن الكريم حيث يقول جل علاه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان/ ١ وقوله أيضا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء/ ١٠٧ وقوله أيضا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سبأ/ ٢٨، فهم يوقنون أن رسالته صلي الله عليه وسلم منقذة للبشرية من مهاوي الظلم والجفاء وموت الضمير، والا فما دلالة الرحمة في الآية السابقة، وجودها في سياق الآية يعني أنها مرسلة لقوم لا تعرف قلوبهم الرحمة،

وبالتالي كل الشعوب التي تقر برسالة الإسلام حتما سيصلها الإسلام برحمته لأنها مطلب إنساني رفيع وبها تستقر الحياة، هذا هو سبب خوفهم من الإسلام. هم يعلمون أن القرآن ناقش أهل الكتاب في عقائدهم واثبت بطلان بعضها مما يدل على أن الدعوة بعالمية الإسلام موجهة لأهل الكتاب والناس جميعا، ويؤكد قوله تعالى في سورة المدثر: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ آية ٣١

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: ﴿يَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي يعلمون أن هذا الرسول حق، فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية

كالتوراة والانجيل، ومن ذلك أيضا قوله تعالى في سورة الصف: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ آية ٩

أسس التشريع الإسلامي مرونة وواقعية

لا شك أن العودة الى تطبيق الشريعة الإسلامية في بلاد الإسلام حلم يراود الملايين من الجماهير المسلمة، لما تتميز به - الشريعة الإسلامية - من مرونة وسماحة وواقعية، وما تبشر به من حياة عمادها الأمن النفسي والاستقرار الاجتماعي، بعدما اصطلينا بلظى القوانين الوضعية لمدة عقود طويلة من الزمن، وبعدها يئسنا من وعود الطرح التحديثي الذي لم نجن منه إلا مزيداً من ضياع الأرض والعرض، لأنه بنى مشروعه أساساً على التنكر لهوية الأمة وتاريخها وشكل عملية انسلاخ كاملة عن الإسلام وشريعته.

وبإمكاننا أن نتبين هذه المبشرات عند تتبعنا للأصول العامة التي انبنى عليها التشريع الإسلامي وأهمها:

رعاية المصلحة العامة:

«حيث تكون المصلحة يكون حكمها» وحيث تكون المفسدة ينتفي حكمها» هذه الحقيقة تضافت عليها الأدلة حتى أصبحت علماً ضرورياً لا يرقى إليه شك ولا تقاربه ريبة.. واستقراء الشريعة والنظر في أدلتها كلية أو جزئية، والبحث فيما انطوت عليه من الأغراض والحكم يدل على صحة هذه النظرية، فكانت أدلة الشريعة كلها - خاصها وعامها، مطلقها ومقيدها، كليها وجزئها - دائرة على رعاية المصالح في جميع مناحيها ووقائعها حتى صار العلم بذلك علماً ضرورياً، وتبين أن رعاية المصالح قطب

بقلم الاستاذ / محمد الصالح عزيز

التشريع الإسلامي وأصله الذي لا متحول عنه.
ومن الأمثلة على رعاية المصلحة العامة واعتبارها.

١ - تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة: كتحريم الربا والزنا وإقامة الحدود.. فقد حرم الربا لما فيه من الأضرار على حساب جهد الضعفاء وحاجتهم، وحرم الزنا لما فيه من نشر الفساد وهتك الحرمات واختلاط الانساب، وأوجب إقامة الحدود لأنه لو لم يقع ردع مرتكبي المفسد يمثل هذه الحدود الزاجرة، لوقع التجرؤ على

تشريع اسلامي

انواع المزروعات وتقييد الاستهلاك او وضع قيود على استيراد بعض الاصناف التجارية، ولكن يجب التفريق هنا بين التقييد وبين التحليل والتحريم، ذلك ان تقييد المباح لا يعني تعطيل الحكم ولا وضع قانون نهائي يحل او يحرم، وانما هو تقنين مؤقت يزول بزوال سببه اي يحل المشكلة التي من اجلها حصل» (١).

ويجب ان يعلم عند النظر في تقييد المباح أنه لا بد من اعتبار الضرر الواقع او المتوقع مقدار دفعه، ويلاحظ ان يكون غير منشيء لضرر آخر، فان المصالح التي تتعلق بالجماعة متشابكة يتداخل بعضها في بعض.. ولا بد من الاشارة في هذا المجال الى ان المصلحة لا يمكن ان تكون مخالفة للنصوص، بل لا بد ان تكون ملائمة لها متفقة مع مقاصد الشرع الاسلامي، بحيث تكون من جنس المصالح التي اعتبرها، وفيصل التفرقة بين حكم المصلحة والهوى هو الشارع، فإن كانت المصلحة من جنس المصالح التي اعتبرها - الشارع - فهي فهي المصلحة الحقيقية، وان كانت مجافية له فهي الهوى.. ولا يمكن كذلك للمصلحة ان تنتهك حدا من حدود الله ولا تمنع حقا من الحقوق التي اعطاها الا اذا ترتب عليها ضرر مؤكد وليس احتماليا (٢).

ولان المصلحة العامة اساس من اسس التشريع الاسلامي، رأينا الامام مالك - رضي الله عنه - يجعل المصلحة المرسلة اصلا من اصول الاجتهاد عند استنباط الحكم لما لا نص فيه (من قرآن أو سنة أو إجماع).. إيماننا منه بأن الشريعة الاسلامية قد اشتملت على مصالح الناس المعتمدة، ولكنه مع ذلك

مباشرتها حتى تصبح بحكم تكرارها ومشاهدتها افعالا عادية، وفي ذلك تخريب للمجتمع.. ومن أمثلة تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، انتزاع بعض الاملاك من أصحابها عند اقتضاء مصلحة الجماعة كشق طريق او توسيع مسجد، فعل ذلك عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين ضاق المسجد الحرام على الناس وكانت دور الناس يؤمئذ محدقة به من كل جانب عدا فتحات جانبية يدخل منها الناس اليه، فأشترى عمر دورا منها، وأبى عليه ذلك أصحاب الدور الاخرى، فأخذها منهم جبرا وأدخل الجميع في المسجد بعد ان اودع قيمة ما اخذ باسم اصحابه.

٢ - الضرر الأكبر يزال بالضرر الأدنى: اذا اجتمع ضرران اهتم الاسلام بدفع الأكبر منهما ولو بتحمل ضرر اصغر منه، وذلك تخفيفا من وقع الشر على المجتمع، كهدم بعض الجدران الخربة الآيلة الى السقوط ان كانت في طريق يكثر فيها المارة، لقد قارن الاسلام بين ان يبقى الجدار لصاحبه يسكنه او يستغله، وبين ان يسقط ذات مرة عند مرور الناس فيمحق انفسا كثيرة، ولهذا توقي بذلك الضرر المحدد حدوث اضرار عامة.

٣ - تقييد المباح للمصلحة العامة:

فقد امر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حذيفة بن اليمان بإخلاء سبيل اليهودية التي تزوجها بالمدائن، قائلا له «أعزم عليك الا تضع كتابي هذا حتى تخليها، فإنني أخاف ان يقتدي بك المسلمون فيختاروا نساء أهل الذمة، لجمالهن وكفى بذلك فتنة للنساء المسلمين» ومثل هذا، تحديد مساحة

تشريع اسلامي

كان لا يعمل بها إلا اذا توفرت فيها شروط ثلاثة:

- أن تكون ملائمة لمقاصد الشريعة بحيث لا تنافي أصلاً من أصولها ولا دليلاً من أدلتها.
- أن يكون العمل بها في المعاملات دون العبادات.
- أن يؤدي العمل بها الى تحقيق منفعة لازمة لصالح الناس أو رفع الحرج عنهم .

عدم الحرج ورفع المشقة

إن الاسلام لم يغفل قط عن ضرورات الحياة وضعف الانسان امامها، فجاءت الشريعة تسائر الامكان البشري في كل ما تمر به وتنتهي عنه ولا تكلف الانسان فوق طاقته، لان التكليف فوق الطاقة ينتهي غالباً الى النفور ومخالفة الامر والنهي، او القلق والشعور بالخطيئة وكراهة التكليف، والتقصير في الواجبات الاخرى عند مزاحمة الوظائف المتعلقة بالكلف والمختلفة الانواع.. جاء عن عائشة -رضي الله عنها- عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: «ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، ولا تبغضوا الى أنفسكم عبادة الله، فإن المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا أبقى» (احمد) وتحقيقاً لمبدأ رفع المشقة، حرص الاسلام ان تكون تكاليفه كلها في حدود الطاقة البشرية.

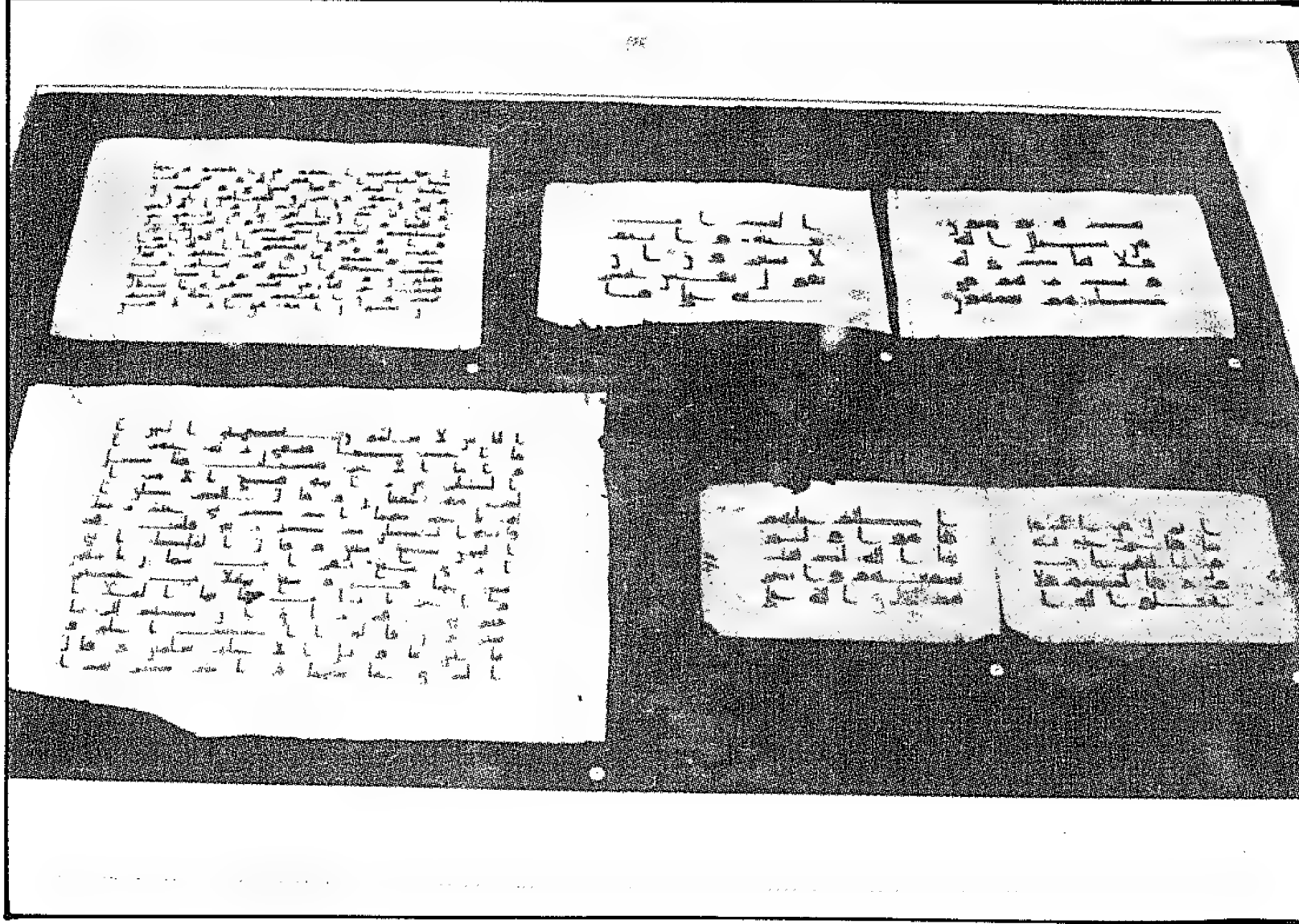
قال تعالى: ﴿لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا﴾ (البقرة ٢٨٦)، وقال: ﴿مَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة ٦)، وقال

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء ٢٨) وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة ١٨٥).. وعلى هذا الأساس روعيت فيه -الاسلام- الاعذار الطارئة التي يشق معها الحكم ويتعاسر،

فشرعت ألوان من الاستثناءات والاعفاءات والتسهيلات في احوال خاصة وهى تلك التي توجد للانسان نوعان من المشقة يؤوده ويثقل ظهره ويقعد به عن مواصلة السير.. نلاحظ ذلك بالخصوص في مجال العبادات حيث وقع الترخيص في تقصير الصلاة للمسافر وأبيح له التيمم وأسقطت عنه الجمعة والجماعة، وأبيح الفطر للعاجز، والتيمم للمريض، وأبيح أكل الميتة وشرب الخمر عند الضرورة بناء على قاعداً: «الضرورات تبيح المحظورات» (٣)، بل ذهب الفاروق عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- الى ابعد من ذلك فأجل تنزيل حكم الحد في السرقة عام المجاعة بعدما حقق في وضع المسلمين في هذا الظرف الزمني، وتبين له ان ما يحدث في هذا العام من سرقة اعتراه من الاعتبارات الاضافية المتمثلة في المجاعة قد تلجئ الناس الى السرقة لحفظ الحياة، ما يجعل تنزيل حكم السرقة عليهم مفضياً الى الاجحاف بهم، فعزم تأجيل الحد تحقيقاً للمصلحة التي هي مقصد الشرع واساس من اسس التشريع -كما رأينا-

.. ونلاحظ من مظاهر التيسير اعتماد العرف أصلاً من أصول الاجتهاد في مجال المعاملات، وهو -العرف- الاخذ بما يتعامل به المسلمون دون معارضة لنص من الكتاب أو السنة ولا لاصل من

تشريع اسلامي



اصول الاجتهاد الاخرى - حسب الترتيب المذهبي ..

ثبت عن ابن مسعود - رضى الله عنه - «ان ماراه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن» .. ومن مظاهر التيسير فتح باب الاجتهاد والتحريض عليه - لمن امتلك ادواته - لاستنباط احكام تعالج القضايا المستحدثة، سواء تمثلت هذه القضايا في حالات فردية او في ظواهر عامة .. والحث على الاجتهاد في تنزيل الاحكام على الواقع الجديد بما يتناسب ومصلحة المجتمع، وهو ما يعني تغير الفتوى بتغير الاوضاع والاحداث، وقد نبه ابن القيم الى هذا المعني مشيرا الى ما ينال الخلق من اضرار نتيجة تنزيل الفتاوى القديمة على الاوضاع والاحداث الجديدة، فقال: «فصل في تغيير الفتوى واختلافها

بحسب تغير الزمنة والامكنة والاصول والنيات والعوائد، هذا فصل عظيم جدا، وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة اوجب من الحرج والمشقة وتكليف مالا سبيل اليه ما يعلم ان الشريعة الباهرة التي هي اعلى مراتب المصالح لا تأتي به» (٤).

وقد كان الامام مالك - رضى الله عنه - يكره من تلاميذه ان يكتبوا الفتاوى، فلما سألوه: ما الذي نصنع؟ قال:

تحفظون وتفهمون حتى تستنير قلوبكم ثم لا تحتاجون الى الكتاب، وانما كره الامام كتابة الفتاوى خوفا من ان تطبق الفتوى المختصة بحادثة سابقة على كل حادثة لاحقة مشابهة لها بصفة آلية دون اعتبار للظروف والملابسات التي تتغير بموجبها الفتوى (٥) ..

تشريع اسلامي

ومما يعرف عن الامام الشافعي - رضى الله عنه - انه كان يقول: رأيين أو أكثر في مسألة واحدة دون أن يرجح رأياً منهما لعدم ظهور المرجح عنده، وأنه كان يقول بالرأي ثم يتبين له أن الحق في غيره فيتحول عن رأيه الأول، ولم يتخرج قط من التحول عن بعض الفتاوى التي افترى بها في العراق عندما تحول إلى مصر وخالط علماءها وشاهد حالات غير التي عرفها في الحجاز والعراق.

ومن مشاهير التيسير، التدرج في بيان هذه الشريعة وفي تكليف الناس ببعض أحكامها حتى لا يرهقوا بتكاليفها دفعة واحدة، ولا تعنتهم مطالبتهم بترك ما اعتادوه مرة واحدة، وقصة تحريم الخمر في الاسلام بالدعوة أولاً، وبالتدرج في التشريع ثانياً، تبين لنا أسلوب الاسلام في التوصل إلى أغراضه خطوة خطوة حتى يتهيأ الجو الصالح وتستعد أعصاب الجماعة لقبول ما يلقي عليها من الأوامر والألزامات.. «كان بإمكانه سبحانه وتعالى أن ينزل القرآن بأحكامه وتشريعاته وتصورات دفعة واحدة، لكنه يعلم أن ذلك فوق طاقة البشر.. أنه لابد - للارتفاع بهم نحو الأفضل - أن يتدرج بهم شيئاً فشيئاً ليكونوا في مستوى الرسالة، ولابد، لكي تجد تشريعات الرجم وقطع اليد والجلد طريقها في المجتمع الاسلامي، أن تسبقها الاجراءات اللازمة من تطهير النفوس والابدان والمجتمع من التفسخ والانحلال والانانية وحب الذات ومن مشاهير التيسير ايضاً، درء الحدود بالشبهات حتى لا يقام حد مع شبهة تشكك في وجوبه، قال صلى الله عليه وسلم «ادرءوا الحدود بالشبهات ما استطعتم» لان في اقامة الحد مع

الشبهة حرجاً يثيره احتمال البراءة وعدم اطمئنان النفس إلى استحقاق العقوبة، فإذا قامت شبهة على براءة المتهم فإنه لا يقام عليه الحد، مثل عدم اقامة الحد على من سرق مال ابنه لما للاب من شبهة الحق في مال ابنه.

ومن مظاهر التيسير - آخرها وليس أخيراً - أن الاسلام ما حرم شيئاً على المسلمين الا عوضهم خيراً منه مما يسد مسدده ويغني عنه، حرم عليهم الاستقسام بالألزام وعوضهم عنها دعاء الاستخارة، وحرم عليهم الربا وعوضهم التجارة الربحية، وحرم عليهم القمار واعاضهم عنه اكل المال بالمسابقة النافعة في الدين بالخيال والابل والسهام، وحرم عليهم الحرير واعاضهم عنه انواع الملابس الفاخرة من الصوف والكتان والقطن، وحرم عليهم الزنا واللواط واعاضهم عنهما بالزواج الحلال، وحرم عليهم شرب المسكرات واعاضهم عنها بالاشربة اللذيذة النافعة للروح والبدن (٧).

قلة التكاليف:

ليس غرض الاسلام احراج الناس واتقال كواهلهم بالأوامر والنواهي، بل غرضه الأساسي تهذيب النفوس، بما طالب به المؤمنين، ومن ثم ضاقت دائرة المحرمات في شريعة الاسلام ضيقاً شديداً واتسعت دائرة الحلال اتساعاً بالغاً، ذلك أن النصوص الصريحة التي جاءت بالتحريم قليلة جداً، وما لم يجيء نص صحيح أو صريح في الدلالة على حرمة يبقى على اصل الاباحة وفي دائرة العفو

تنشريع اسلامي

فلا يشرع منها الا ما شرعه الله، والعادات الاصل فيها العفو فلا يحظر الا ما حرمه الله. وبناء على ذلك فالناس يتعاملون في البيع والشراء والمأكل والملبس وغيرها من المعاملات كيف يشاؤون ما لم تحرم الشريعة وما لم تحد في ذلك حداً.

تحقيق العدالة:

قال ابن تيمية - رحمه الله - «العدل نظام كل شيء، فاذا اقيم امر الدنيا بعدل قامت، وان لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم وان كان لصاحبها من الايمان ما يجزي به في الآخرة

وفي نفس المعني قال ابن خلدون: «العدل أساس العمران».. واذا كان العدل اسماً من اسماء الله وصفة من صفاته فلا غرابة ان يكون العدل وتحقيق العدالة اهم اساس التشريع الاسلامي، بل ان الله سبحانه وتعالى ما انزل رسله وكتبه الا ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به الارض والسموات، فاذا ظهرت امارات العدل واستقر وجهه بأي طريق كان ثم شرع الله.. وليس: «شريعة من العدل ما للشريعة الاسلامية فية من حظ، فقد عنيت ببيان ما للناس من حقوق فحافظت عليها، وسنت الاحكام الكفيلة بردها الى اصحابها وبينت ما على الافراد من واجبات ازاء انفسهم والمجتمع والانسانية عموماً، حتى امن الناس على انفسهم واعراضهم ودينهم واموالهم وحقوقهم واطمأنوا الى الاستمتاع بها في حدود ما شرعت من احكام وما سنت من نظام.. جعل التشريع الاسلامي القصاص جزاء لمن سلب حياة غيره:

الالهى، قال صلى الله عليه وسلم: «ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها» (رواه الدارقطني)، وقال ايضاً: «ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فان الله لم يكن لينسى شيئاً» (رواه الحاكم واخرجه البزار).

وتتضح قلة التكاليف الاسلامية في كل ما شرع الله من أحكام، لا فرق بين العبادات والمعاملات التي ليست من أمور العبادة... فأما العبادات فهي فرائض محددة العدد يمكن للمسلم أداؤها بدون جهد مرهق او عناء شديد، وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل ابتداع في العبادات لانها من أمر الدين المحض الذي لا يؤخذ الا عن طريق الوحي، فقال: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد» (٨) (متفق عليه)، وأما المعاملات سياسية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية أو غيرها، فقد ضببطت الشريعة المحرمات منها ضبطاً يدل على انها قليلة بالاضافة الى ما بقى مباحاً، ودليل ذلك ان الله اذا تعرض للمحرمات في القرآن ذكرها، واذا تعرض للمباحات اطلق.. ذلك ان العادات او المعاملات ليس الشارع منشئاً لها، بل الناس هم الذين انشؤوها وتعاملوا بها، وانما جاء الشارع مصححاً لها ومعدلاً ومهذباً ومقراً في بعض الاحيان ما خلا من الفساد والضرر منه^١ ولهذا قال فقهاء الحديث ان الاصل في العبادات التوقيف

تشريع اسلامي

﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ (البقرة ١٧٩)، ونهى عن الاعتداء على الكرامة بتناول اعراض الآخرين ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا باللقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان﴾ (الحجرات: ١١)، وحرم اخذ أموال الناس بغير الحق ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ (البقرة ١٨٨)، وطالب كل مسلم ان يكون رقيبا على تطبيق قوانين الاسلام، وان يرد

الظلم ان وقع وينبه الحاكم اذا جار، وقرر ان المؤمن اخو المؤمن، وانه في مشرق الارض أو في مغربها له من الحق مالا سبيل لنكرانه، وله النصفة غاب الحاكم ام قام، وجد القانون ام اختفى، لانها حق يؤديه من ضميره بمقتضى ايمانه .. وحرصت الشريعة على تحقيق العدل.

١ - بين المرء ونفسه فأمرته ان يعمل لدنياه كما يعمل لآخرته. ﴿وابتغ في ما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ (القصص ٧٧).

٢ - بين المرء واسرته: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾. (النساء: ١٣٥)

٣ - بين المرء وعامة الناس ولو كانوا من الاعداء ﴿ولا يجرمكم شئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾. (المائدة: ٨)

هذه أهم الاسس التي انبنى عليها التشريع الاسلامي، والتي مكنت المسلمين من أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس، ولم يتردوا الى ما هم عليه الآن من الضعة

والهوان الا حين ضيعوا شريعتهم او حين انحرفوا بها عن مقوماتها وأسسها الاصلية.. وهذه الاسس ان دلت على شئ فإنما تدل - كما ذكرنا - على سماحة الاسلام وعلى قدرة الشريعة الاسلامية على التطور والتجدد لتقود أتباعها الى الخير والصلاح.. .. وحرى بعلمائنا ورجال السياسة في اوطاننا ان يستلهموا روح الشريعة ويستحضروا جملة هذه السمات وهم ينظرون للعودة الى تطبيق الشريعة، حتى يعيدوا لها - الشريعة - نضارتها وفعاليتها في النفوس وفي الواقع، وحتى يخرسوا هذه اللسن المتربصة، والتي ما انفكت تردد بأن الاسلام انتهى دوره التاريخي وأن له أن يتخذ مكانه في المتاحف.. ولنعلم جميعا ان الخطر الكبير على الشريعة وعلى المجتمع ان تطبق - الشريعة - تطبيقا أليا دون استلهام لروحها ومقاصدها.. وعلى الله قصد السبيل □

١ - ظاهرة اليسار الاسلامي: محسن الملي.

٢ - انظر: الاجتهاد والتجديد: كتاب مدرسي تأليف مجموعة من الاساتذة.

٣ - انظر بمزيد التفصيل: علم اصول الفقه: عبد الوهاب خلاف.

٤ - اعلام الموقعين: ابن القيم.

٥ - انظر بمزيد التفصيل خلافة الانسان بين الوحي والعقل: عبد المجيد النجار، وكذلك العقل والسلوك في البنية الاسلامية لنفس المؤلف.

٦ - عن مقالنا بمجلة الامة العدد ٥٩: الالتزام بالواقعية في العمل الاسلامي.

٧ - انظر: الحلال والحرام: يوسف القرضاوي.

الجهاد في الإسلام العزة والكرامة

بقلم : محمد عبد الحي عيد

الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن
ذلك الفوز العظيم». (١)
وبعبارة أخرى: هو استقراغ ما في الوسع
لمحو ما لا يرضاه الله ورسوله، ولا يرضاه
العلماء الربانيون الراسخون في العلم.
فالجهاد كمقرر من مقررات الدين إنما
شرع لدفع خطر العدو، والعدو مأخوذ
من كلمة «عدا»: أي تجاوز الحد، فكل من
ظلم غيره بأن سلبه حقه أو أوقعه في
مضرة أو أعانه على ارتكاب ما يفضب الله

الجهاد هو: بذل ما في الوسع في سبيل
الله تعالى وهو مقول على معنيين:

الأول إعلاء كلمة الله تعالى، الثاني الرباط
لحفظ أمور المسلمين ودفع العدو عند
هجومه على جماعة المسلمين قال تعالى
«يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على
تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون
بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل
الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم
إن كنتم تعلمون، يفر لكم ذنوبكم
ويدخلكم جنات تجري من تحتها

فكر اسلامي

والضعائن، صاف من الأثرة والأنانية، تسيطر عليه طبائع الخير والبر والرحمة والوفاء، وتتقلب النفوس فيه في مراتب العزة والكرامة، وفي ظله تتحقق الألفة والتضامن والوحدة والتماسك.

لذلك اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس وإلزامها كلمة التقوى ولن يأتي ذلك إلا إذا نكل الإنسان من عبادتها وتجانف عن الخضوع لها، ورفض الاستجابة إلى دعائها.

ومن بين الأعداء... أعداء مجاورون «ويكونون من الزوجة والأولاد». قال تعالى «يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عـددوا لكم فاحذروهم» (٣). فإن الزوجه قد يطيعها الإنسان، - فيعق والديه ويقطع أرحامه، ويترك الفضائل - اشتغالا بها، ويرتكب الدنيا لجلب ما يرضيها، مالم يقف عند التد الوسط، وكذلك الأولاد فإنهم سبب في البخل والجبن والفساد، وقد يهمل تربيتهم الشرعية حبا فيهم فيكونون شروره في الدنيا وعذابه في الآخرة. وعداوة هؤلاء تكون بالفتنة ومنها حب الرجل زوجته وأولادها حبا يشغله عن شكر والديه المفروض عليه كما قال تعالى «أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير» (٤). أو يحبهم حبا يجعله يحرص على الدنيا فيطلبها من وجوهها وغير وجوهها، ويبخل بالمال فيجعله يجبن عن قتال العدو حرصا على البقاء لتربية الأولاد والتمتع بالزوجة وقد تكون عداوتهم ظاهرة، كفساد أخلاقهم بسوء تربية الولد، لأن خير تربية الأولاد قهرهم على التمسك بالدين في الصغر، ورعاية

أو سلب أو أعان عليه عدوا قويا ظالما، أو دعا إلى عقوق أو قطيعة أو فعل منكر فهو عدو. يجب محاربته دفعا لعدوانه وردا لشره.

ولاشك أن الأعداء مختلفون فمنهم الملازم ومنهم المفارق، وآخرون خارجون.. فالعدو الملازم هو نفس الإنسان وهي أقسى الأعداء وأشدّهم ضراوة وأكثرهم جلبا للرزايا والمصائب، إن تمكنت من الإنسان بشهواتها وأهوائها ومطامعها أتبعته وأهانت وأذلت وأجحفت، وإن استطاع الإنسان أن يكبح جماحها ويحملها على غير هواها ويملك زمامها ويصرفها عن غيها ومشتتها عاش عيشة السعداء ورضي عنه رب الأرض والسماء.

قال تعالى «ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها» (٢). وكما أذل العدو الداخل نفسا عزيزة وأضاع مجداً تليداً، وفرق مجتمعا فاضلا، وقطع أرحاما موصولة، كل ذلك لأنه أطاع نفسه وهواه

وأحب الأثرة بالمال والفوز بالملاذ والشهوات فكره من ينصحه وعادى من يشاركه ممن له حق عليه، وصادق أعداءه. والفرد الواحد في الحقيقة هو مملكة عظيمة، وكل مجتمع يقاس بالفرد الواحد، فإذا أطاع الفرد نفسه وهواه احتقر بعد التعظيم وامتهن بعد الإكرام.

فالنفس باعتبارها أعدى الأعداء، تستطيع أن تجعل الإنسان أشقي الأشقياء وأقرب شبها بالسوائم والعجماوات بلاشك أو افتراء، إذن تستحق المجاهدة ابتداء باعتبار مجاهدتها نقطة البدء من أجل مجتمع فاضل، خال من الاحقاد

أخلاقهم من الطفولة ومجاهدة هذا العدو لا يقوم بها إلا الأفراد الذين جملهم الله بالشجاعة، ومنحهم النفوس المؤثرة ولذلك قيل في المثل «الرجل يسوس مملكة بحكمته ويعجز عن سياسة زوجته، وما ذلك إلا لأن للشهوة سلطانا قاهرا». فأكمل الحكماء حقا من جاهد نفسه وساس زوجته وأولاده، والبيت الصغير مملكة كبيرة لأن رئيسه ملك مطلق لا يتقيد بدستور وعلى مقدار تربية البنين الصغار تكون منزلة الأمة بين العالم، لأن الأمة تتكون من عائلات وعلي حسب آداب العائلات يكون شرف أمة أو ذلها ومتى كثر أهل الحق قهروا أهل الباطل وهي سنة العمران حتى مع النبي صلى الله عليه وسلم. قال تعالى «يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين» (٥). وكل مجاهد معه الحق منصور وإن كثر عدد عدوه وعدده.

وهناك الأعداء الخارجون ويكون إما مظاهرا علنيا، أو مداهنا سياسيا. والأول منهما أقل خطرا من الثاني، لأن العلانية في ظلمه تبعث إليهم على دفعه وتنبيههم إلى التحرز منه اتقاء خطره وكسرا لعداوته. أما الثاني من هذا الصنف فهو العدو حقا لخفاء حيلته ومكره لإظهاره غير ماييطن واستتاره خلف حيله ومكائده.

هؤلاء الأعداء، وتلك هي صفاتهم وطبائعهم هم ما طلب الإسلام إلى أبنائه مجاهدتهم وتوقى شرورهم ومكائدهم. فقد تبلغ النفس عدوانها للإنسان حدا يبلغ به الكفر وهذا كان شأن المكذبين بالرسول المنصرفين عن دعوة السماء، المتمسكين بما توارثوه عن الأجداد والآباء، رغم ما جاء به الرسل من العلم والدليل وما أقاموه من الحجة والبرهان، هؤلاء

مصيرهم إلى النار، ولا يعتقد الإنسان أن بلوغ النفس بصاحبها مرتبة الكفر لا تكون إلا في عهد النبوات وأوقات الرسالات بل هي ماضية في كل من يطاوع

نفسه فيتنكر لدين الله أو يصد عن سبيله في كل زمان ومكان ويحول بين نقل دعوة السماء إلى الناس أو تنفيرهم منها، كل هؤلاء وأمثالهم وقد أردتهم أنفسهم وحملتهم على غير ما أمر به الله، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

وقد تجر النفس صاحبها إلى فعل المحرمات بتزيين الشهوات له من البنين والنساء والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والحرق والأنعام وبالجملة إلى كل ما هو متاع الحياة وليس له حق فيه، فيعتدي على أعراض الناس وحرماتهم بغيا وظلما وعدوانا فيستحق مقت الله وغضبه.

والنفس باعتبارها العدو الملازم للإنسان الذي لا ينفك عنه أبدا ولا يفارقه هي أخطر الأعداء على الإنسان وأشدّهم ضراوة لأنها دائما بالشر أمره، وطاعتها فيما ترنو إليه مما ليس لها حق فيه كفيل باندرج الإنسان في عداد السوائم والعجاوات متى أطاعها فأحيا البدع وأمات السنن فلا يلبث إلا وقد أضاع إنسانيته وشرفه ودينه ودينياه كل ذلك بسبب العدو الملازم واهمال مجاهدته ومحاربتة.

وما قيل بالنسبة للنفس يقال بالنسبة للزوجة والأولاد وإن كان ضررهما أخف وطأة وأقل ضراوة من النفس لأن الإنسان إذا أوتى نفسا مطيعة لرشدتها منتبهة عن غيرها يستطيع أن يحمل الزوجة والأولاد على الحق عن طريق القدوة أولا وعن طريق حق الرعاية والولاية ثانيا وعن

طريق الفراق إن لم يفلح الاقتداء ولم يثمر الزجر والتأديب.

أما العدو الخارج فهو الذي يعيننا التعرض له بالحديث وقد احتل ديارنا وعطل إسلامنا لأسباب ترجع إلى مكره وخذاعه وكيدته وبغضه للإسلام والمسلمين كما ترجع إلى تقصيرنا وميلنا إلى الدنيا وركوننا إليها، نازعنا أهل الدنيا دنياهم فلا ديننا أصبنا ولا دنيا أبقينا ولا ربا أطعنا فكان من شأننا ما كان على النحو المعروف تاريخيا ولازلنا نعانیه حتي الآن ولن يتغير حالنا ولن نسترد ملكنا العظيم من أيدي أعدائنا ومجدنا الأثيل من عند خصومنا. ونعيد عزتنا

وكرامتنا إلى شعوبنا وأممنا الإسلامية إلا إذا فهمنا حقيقة أعدائنا الملائمين لنا والخارجين عنا، وفهمنا الطريق إلى استئصالهم والزامهم شريعة الحق والعدل ولن يكون ذلك إلا بحد السيف نقطع به دابر كل كفار عنيد، ونطارده أعداء الله وأولياء الشيطان في كل مكان نصرا لحجج الله وبراهينه وانتصارا لشريعته، وإعلاء كلمته وإلا فبطن الأرض خير لنا من ظهرها مع ما ينتظرنا من الله وغضبه باعتبارنا الأمة الإسلامية المسئولة عن مواريث النبوة النابعة من السماء والملزمة بقيادة البشرية إلى حيث الأمن والطمأنينة والسلام.

لذلك فإن إحياء ما أماته المسلمون من سنة الجهاد ابتداء من جهاد النفس إلى جهاد من أذاقونا الخسف والهوان والذلة والحزن على مدى قرون من الزمان يعتبر من أرقى واجبات العبودية لله في الأرض وأسمى ما يمكن تقديمه للإسلام في هذا الوقت الذي أصاب المسلمين ما أصابهم

من مصائب وبلايا ورزايا على النحو المعروف، بما لا يحتاج إلى جهد إضافي لبيان ما حل بهم وما أصابهم، فلا ريب أن يكون الجهاد في هذا الوقت هو العبودية عينها التي تنبىء بكمال الاخلاص لله تبارك وتعالى والتصديق بما بشر به من عز الدنيا وعز الآخرة.

إن الجهاد من الفروض العينية دائما وهذا مامضي به الواقع العملي في عهد النبي صلي الله عليه وسلم حيث لم يرد راغبا في جهاد وحريصا على ملاقاته العدو، كما أن خطاب المشرع الحكيم للمؤمنين جاء يخاطب الجميع «انفروا خفافا وثقالا، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله» (٨). وقاتلوهم حتي لا تكون فتنه ويكون الدين كله لله» (٩).

وقضلا عن ذلك فإن الشريعة الإسلامية هي الشريعة الخاتمة فلا شريعة بعدها والمسلمون مأمورون بإبلاغها ونقل أحكامها إلى البشرية كلها وهذا يفرض تجنيد القوى لجميع المسلمين، وحشدا لإمكانياتهم المادية والمعنوية لتحقيق الإسلام في أنفسهم، وإسماع الشعوب كلها والضمير البشري والنفس الإنسانية

دعوة السماء في كل مكان وفي كل وقت وزمان.

ومن هنا اعتبر الجهاد فرض عين علي كل مسلم ومسلمة كما ذهب إلى ذلك أكثر فقهاء المسلمين المعتبرين. ولا حجة لمن قصر في الجهاد بالنفس أو بالمال. ولا عذر عند الله لمن لم يغز أو يحدث نفسه بالغزو، وللجهاد موجبات مقررّة، هي القتال للمعاملة بالمثل، والقتال لدفع العدوان، والقتال لكسر شوكة الكفر، والقتال لمن أخرجونا من ديارنا وأموالنا،

ولمن يفتن المسلمين عن دينهم، وشرع القتال أيضا من أجل المستضعفين، وفي النهاية فقد أوجب الإسلام القتال وسل السيف من غمده حتي يكون الدين كله لله.

وهكذا شرع الإسلام الجهاد للغزو والفتح، كما شرعه وأوجبه باعتباره الضمانه الخالدة لخلود الإسلام نفسه للحفاظ عليه كشريعة إلهية من أن تمتد إلى الأرض التي يظلمها أية قوة من قوى الأرض جميعها تنال منه أو تنقص منها، كما شرعه الإسلام لقتال الجبابرة والطواغيت المتحكمين في رقاب العباد المسيطرين على مقدرات الأمم والشعوب كما وقفوا في طريق الدعوة إلى الله وتبليغ رسالته رحمة للبشرية واستنقاذا لها من براثن الشرك والوثنية، وفك أغلال الذل والعبودية التي يفرضها ساداتها وكبرائها لتكون الوجهة خالصة لله، وليقف الجميع في مقام واحد هو مقام العبودية لخالق الأرض والسماء فلا رب سواه ولا معبود إلا إياه.

وعلى هذا فإن الجهاد الذي شرعه الإسلام والسيف الذي أمر به الإسلام هو لنصرة الاسلام، وأعدل السيوف، سيف ينصر الله به حججه وبراهينه، وعلى سنة التلازم بين الإسلام والجهاد كان فهم

المسلمين الأوائل لدينهم، فاندفعوا لإقامته، يجاهدون بأموالهم وأنفسهم، ويقاتلون بكل ماوقع في أيديهم مع وعد من الله قاطع أوجبه على نفسه بنصرة من ينصره، فكان الواحد منهم إذا طرقت سمعه صيحة من صيحات الجهاد سار ونفر إلى بذل روحه نشيطا في سبيل الله مشتاقا إلى لقاء ربه، مؤمنا بموعد الله له، إما النصر، وإما الشهادة.

والله يعلم القصد وهو يهدي السبيل..
وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

هوامش:

- (١) سورة الصف / ١١.١٠
- (٢) سورة الشمس / ١٠.٩.٨.٧
- (٣) سورة التغابن / ١٤
- (٤) سورة لقمان / ١٤
- (٥) سورة الأنفال / ٦٤
- (٦) النظريات السياسية والإسلامية / للدكتور محمد ضياء الدين الرئيس، ص ٢٦٥.
- (٧) المرجع السابق، ص ٢٦٨-٢٦٩.
- (٨) سورة التوبة / ٣١
- (٩) سورة الأنفال / ٣٩٣

الالتزام والحرية في الأدب الإسلامي

هذه القضية شغلت النقاد كثيرا في الشرق والغرب، ففريق ينحاز إلى الحرية، وآخر ينحاز إلى الالتزام. وهناك في الوسط من يرون الحرية انقلاتا من القيم الفنية والجمالية والقيم الفكرية، وفريق يرى أن: الالتزام ضرب من القسر والإلزام لا ينبغي ان يلتفت إليه المبدع..

والحقيقة أن هذه المصطلحات النقدية وليدة الفلسفة، وظهرت نتيجة التأثير بالأيديولوجيات الحديثة في الأدب. التي تعكس التغيرات الاجتماعية العميقة السريعة لزماننا، ولهذا الغرض ينبغي للأديب أن يتفحص موقفه في العالم ومسئوليته إزاء البشر الآخرين، بحيث يصبح مدركا أن الطبيعة الحقيقية لفنه هي تركيز الانتباه على هذا الجانب من الواقع أو ذاك، كي يصدر حتما حكما عليه، ولهذا لا يمكن فصل الالتزام عن الأدب (١).

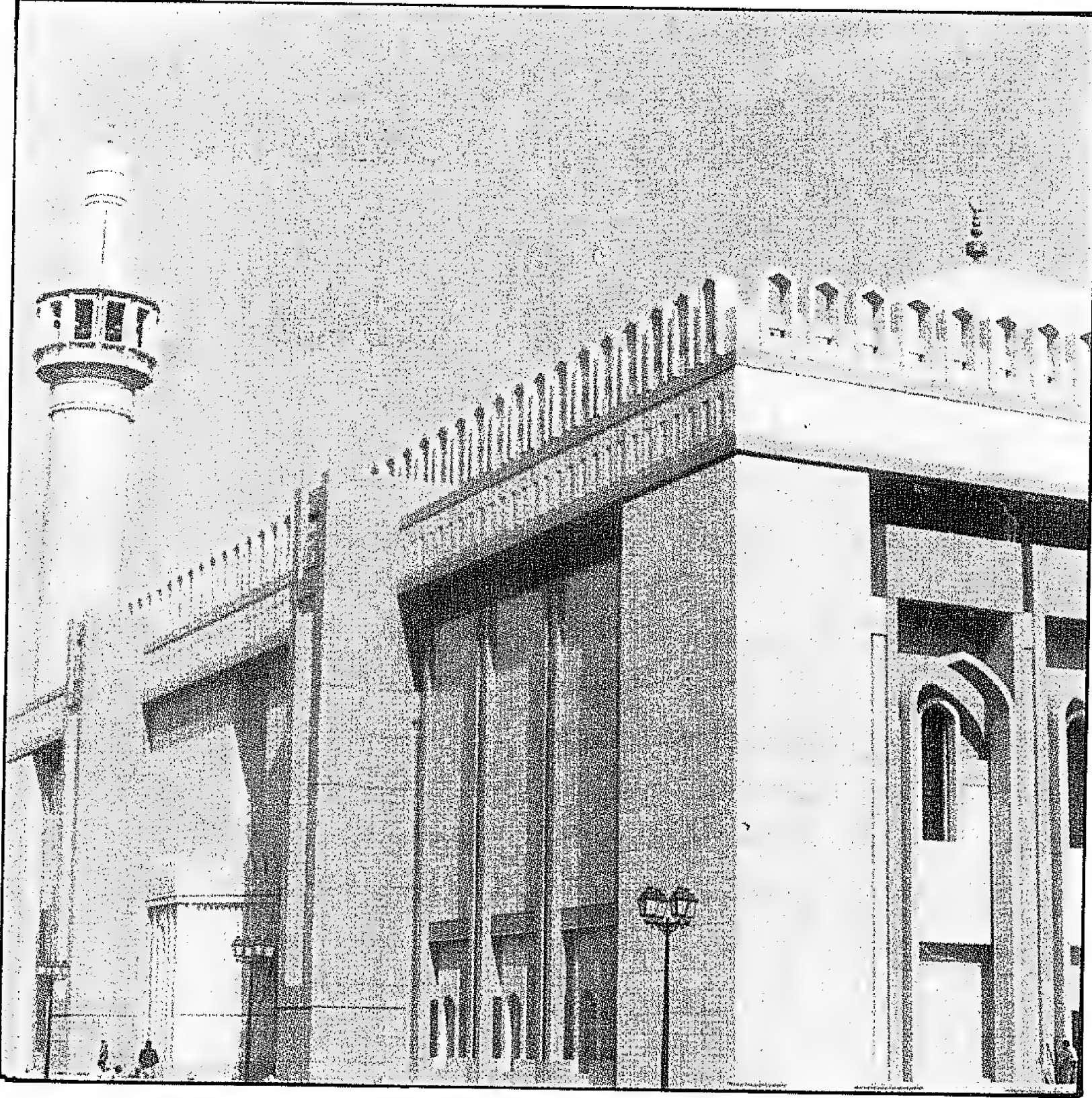


بقلم الاستاذ: كمال سعد محمد

مختلفة ونجحت نجاحا كبيرا في خدمة دعاواها الفكرية والفلسفية، بل والسياسية في كثير من بلدان العالم... فلم يكون التزام الاسلام في الأدب قسرا للموهبة وحجرا على الخيال والانطلاق في عالم الإبداع الأدبي والفكري!؟..

نقول لهؤلاء: الالتزام ليس بدعا في الأدب، بل إنه لا يمكن فصل الأدب عن

وخلال هذا الاضطراب النقدي لهذه المصطلحات في الآداب المختلفة وجه إلى الأدب اتهام بأنه: إذا التزم الإسلام أو العقيدة الإسلامية في رؤاه وإبداعاته أصبح ضربا من التجمد! وفرض الوصاية على انطلاق الأديب، وتحجيم إبداعه، وسلبه حريته وقيمه الجمالية... ونسوا أو تناسوا أن هناك كثيرا من الآداب المتعددة كالماركسية والوجودية والصهيونية... وغيرها نشأ وترعرع في أحضان فلسفية أو عقيدة



في الوقت نفسه - بين الجمال والفكر بين الإبداع والتصور، دعوة تستمد مقوماتها من القرآن الكريم نفسه، ومن السنة النبوية الشريفة قولاً وعملاً.. فلنقرأ قول الله (عز وجل) في سورة الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٧ ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾.

الالتزام، فهو ظاهرة نقدية إبداعية في كثير من الآداب العالمية.. وإذا كان الأدب الإسلامي: تعبيراً فنياً وجمالياً عن التصور الإسلامي.. فكيف يتم الربط بين التعبير الفني الجمالي، والرؤية أو التصور الإسلامي؟؟...

يقول الدكتور عماد الدين خليل (٢): الإلتزام ذلك هو الخيط الذي سيشد هذين القطبين (الإبداع، والرؤية) بعضهما إلى الآخر... فالدعوة إلى الإلتزام واعتباره الوسيط الضروري والطبيعي -

فها هي دعوة واضحة وصريحة للالتزام، فالشعر الذي لا يلتزم الإسلام ولا يفيء إلى ضلاله يعتبر شعرا كاذبا ويعتبر شاعره غاويا يهيم في الناس ولا يفعل شيئا..

فلا يقوى على المواجهة، ولا يؤثر في العقول، ولا يستلب الألباب والوجدانات، ولا يهدف إلى صنع شيء، فلماذا ذم الشعر..

أما الذين آمنوا من الشعراء، هم الذين فروا بشعرهم إلى مرافئ العقيدة وتقيؤوا ظلال الإيمان فالتزموا القيم والمبادئ السامية فهم الشعراء العالون الذين استطاعوا المواجهة، وامتلكوا العقول والألباب، فوعوا ما يقولون، فالتزموا ذلك في الحركة والفعل.

فالالتزام في الأدب الإسلامي لا يعني إلزاما، ولكنه طرح ومعالجة لكل ما يعتلج في النفس ويعاني منه الأديب في مجتمعه ومحيطه المزدهم بالمتناقضات (٣) ..

فالالتزام الذي دعا إليه القرآن الكريم في الآيات السابقة التزاما مرنا وموارا، وإلا أصبح القيد الذي يغل العمل الأدبي والمبدع، والجدار الذي يقف بمواجهة الإبداع والتبليس الذي يميل بالمعادلة الأدبية عن سويتها المطلوبة، ويجنح باتجاه التقرير الفكري على حساب القدرة الإبداعية.

فلذا توجب أن يكون الالتزام عفويا، متساوقا، منسابا، متدفقا، وألا تقوم علاقته بالإبداع الفني على القسر والتكلف والإكراه (٤) ...

والالتزام الأديب المسلم يتوجب كذلك أن يتألف مشعا في كل جزئية من جزئيات عمله الأدبي كما يقول الدكتور عماد الدين خليل: إن الدم الذي يتفجر في أوردة

كلماته وشرابينها ينبثق عفويا صافيا حلوا من باطنها ويتخلق معها لأنه يصدر عن الأديب الذي يعيش التجربة ولا يدعيها.

وفرق كبير بين أن يأتي الالتزام من فوق لكي يضبط التجربة بقلبه الصارم ورؤيته الجادة، وبين أن يتدفق الالتزام من باطن التجربة، أو يجري في أوصالها وهي تتشكل كما يجري السدم النقي في شرايين الأجنة، فيهبها الحركة والحياة..

والالتزام غير الإلزام (٥). فالإلزام هو أن يلتزم الأديب بأيديولوجية معينة أو بواقع اجتماعي معين، فهو على ذلك خال من الحرية ومؤثر بالسلب في روعة التعبير وصدقه الفني والفكري، وهذا ما يحدث عندما تفرض ضغوط على الكاتب أو الأديب...

فالالتزام في الأدب الإسلامي فريد ووحيد في مجاله، فلا هو بالالتزام الذي يتعلق بأذيال الطبقة في قلب الجماعة (الماركس) ولا يتعلق بأذيال الفرد (الوجودي)، ولكن التزام الأديب المسلم ذاتي وجماعي في الوقت نفسه ينبع من داخل الفنان، فيتبنى مساره بمحض إرادته أو كعقيدة، يشدهما إلى أعماق الإيمان الصادق (٦).

فها نحن نطمئن المتخوفين من الأدباء والنقاد على الإبداع وانطلاقه من المنظومات الفكرية والأطر العقائدية، بأن الالتزام بالإسلام في الأدب ليس نقيضا للحرية التي تنادون بها وتعزفون على أوتارها، فليس أدبنا الإسلامي نقيضا للحرية بمفهومها الصحيح التي تكون (حقيقة عندما يتحرر الإنسان من قيود الخوف وشهوة المال والجسد عندما ينطلق الإنسان من سجن المادة، وبطش

السلطة وأطماع الحياة، عندما ينتصر الإنسان على الأنانية المريضة، ويفك عن روحه وجسده حبائل الشيطان.. تلك هي الحرية.. (٧) التي نفرض ونطمئن إليها، فهي مرتبطة ارتباطاً بالعقيدة الإسلامية، وبالمسؤولية الكبرى الملقاة على عاتق الأديب المسلم..

إذن فليس هناك تضاد بين الالتزام في التصور الإسلامي والحرية بمفهومها الصحيح، فلا هي مفسدة له، ولا هو معطل لها، فالحرية من أهم وأبسط حقوق الإنسان. ورحم الله عمر بن الخطاب إذ يقول: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً...».

فالحرية فطرة ودين ولكن يجب أن تقيد لكيما تمتلك — كما يقول أحد النقاد الغربيين — وتقيد بقيود لا تعطل قيمتها الفنية والجمالية والإبداعية، لكنها قيود في صالح الحرية نفسها.. والحرية التي تمثل الجمال على هذا النحو هي: الحرية المقرونة بالأوزان والقوانين، لأن الحرية بدون هذه الأوزان والقوانين، تكون هي الفوضى عينها.. فالحر صاحب اختيار وانتقاء ومشية، وصاحب غاية (٨) ..

ومن ثم فالفن هو الاقتدار على الضبط والبراعة في إحسان التحرك واجادة التصرف والحركة في أضيق المساحات والمجالات وأدق الأطر دون المساس بها أو خدشها وتشويهها أو المرور عليها (٩) .. فلهذا تعد الحرية نبع الفن وبغير الحرية لن يكون هناك أدب ولا فن والتزامنا أخلاقي وعقدي (إسلامي)، لأنه

بمثابة طوق النجاة في خضم القيم المتصادمة في عالم اليوم. صداماً أفضى إلى الفوضى الأخلاقية والفكرية (فالفنان الحر هذا الذي تربطه علائق قوية بمثله

العليا وقيمه السامية ومبادئه الصادقة فالتزامه ينبع حراً من قلبه وبيئته وعقيدته، ولا تلزمه قوة في الوجود، فإذا شعر الفنان لحظة واحدة أنه يؤدي بفنه ضريبة عليه أن يؤديها وجوباً، فإن الذي سيبدعه ليس فناً.. بل إنه أصوات لبوق أجوف ليس له من أمره شيء، فلا حول له ولا قوة سوى أن يقول ما يملئ عليه (١٠) .. فليس الالتزام أن يعيش الأدباء المسلمون إحساساً واهتمامات متشابهة وتصورات وانفعالات نفسية واحدة فإن وحدة الفكر لا تعني وحدة الفن، فالأديب أولاً هو ابن ذاته والمعادلة المتحققة من لقاء الاقتناع الإسلامي أو العقيدة بالذات الإنسانية ستفجر حتماً في شكل فني جديد، وخيال جديد، ومسارات فكرية جديدة، لأن النفوس الإنسانية لا يمكن أن تتشابه، ومادام أحد طرفي المعادلة مختلفاً في كل مرة، فلا بد أن تكون نتيجة التفاعل دائماً مختلفة (١١) ..

فالإلتزام مادام منبثقاً من ذات الأديب ومن دأخله، فإنه لا يتعارض مع الإبداع، لأن الإبداع، ركيزته الأولى: الموهبة والموهوب قادر على الإبداع الملتزم حتى وأن ضيق الإلتزام حدود الإبداع،

فإنه لا يضيق به (فهو يحقق شموخاً إن فاتته الشمول.. فالإلتزام نفسه لا يمكن أن يستغنى أو ينفصل عن الإبداع) (١٢) ..

فالإلتزام بهذا المفهوم يفتح آفاقاً في وعي الأديب يستوعبها كل حسب مقدرته الفكرية والفنية والوجدانية، فيتوغل قدماً في تجربته الفكرية خطوة خطوة، وموقفاً موقفاً. وتجربة تجربة، حتى تقترب من التصور الإسلامي المجرد.. (١٣) ..

ادب اسلامي

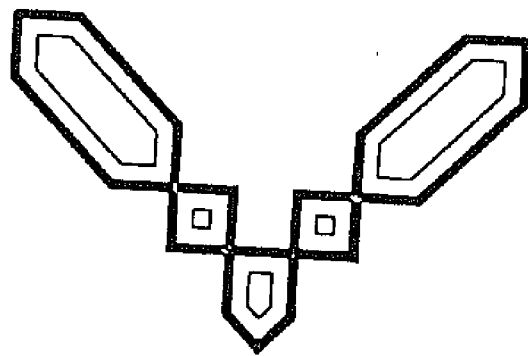
وبهذا يتسبع المجال أمام التمايز في
المواقف النفسية والوجدانية فيخلق
الأديب في هذه المجالات خلال الأطر الفنية
والجمالية المختلفة دون حجز أو قسر أو
فرض وصاية، أو انفلات من القيم الفنية
والجمالية.. كما يدعى المدعون (فإن
كلمات الصدق الورع والإيمان والرحمة
إذا جاءت بمفردها عارية من الإشراقات
الروحية «الفنية» التي يشعها البناء الفني
في العمل أصبحت مجرد كلمات مملّة لا
توحي بشيء) (١٤) ..

إنّ فالالترزام في الأدب الإسلامي لا
يحرّم الحرية أو يلغيها في إبداعاته أو
حتى يضيق أفاقها □

الهوامش

- ١ - الأدب الملتزم ص ٤ - ماكس أديرت ترجمة
سعدى يوسف - دار الهمداني - أولى - ١٩٨٤ - المعلا
(عدن).
- ٢ - حول مفهوم الالتزام د. عماد الدين خليل مقال
بمجلة الأمة القطرية عدد ٣٧

- ٣ - نحو آفاق شعر إسلامي معاصر ص ٩: حكمت
صالح - مؤسسة الرسالة ط ثانية - ١٩٨٢ - بيروت
- ٤ - مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ص ٨٤
د. عماد الدين خليل - الرسالة - أولى - ١٩٨٧ - بيروت.
- ٥ - حول الدين والدولة (مقالات في كتاب) ص ٥٥
د. نجيب الكيلاني ط النقاش - ثالثة - ١٩٨٢ - بيروت
- ٦ - نحو آفاق شعر إسلامي معاصر ص ٩ -
سابق..
- ٧ - مدخل إلى الأدب الإسلامي ص ٨٣ د. نجيب
الكيلاني - كتاب الأمة.
- ٨ - قضايا النقد الأدبي الحديث ص ٢٠ د. محمد
السعدي فرهود - دار الطباعة المحمدية - ثالثة - ١٩٧٩ -
القاهرة..
- ٩ - من قضايا الأدب الإسلامي ص ١١٨ د. صالح
آدم بيلو - دار المنارة ط أولى - ١٩٨٥ - جدة..
- ١٠ - فن الأدب ص ٣١٠ توفيق الحكيم - مكتبة
الأداب النموذجية - مصر.
- ١١ - الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد ص ٣٥
د. أحمد بسام ساعي - دار المنارة - أولى - ١٩٨٥ -
جدة..
- ١٢ - الأديب المسلم بين الالتزام والإبداع مقال
بمجلة الدارة السعودية عدد (٤) رمضان ١٤١١ هـ.
- ١٣ - مصطلح الأدب الإسلامي د. محمد اقبال
عروى - مقال بمجلة الجهاد الجماهيرية العربية الليبية
عدد (٩٥) السنة (٩).
- ١٤ - الإسلامية والمذاهب الأدبية ص ٢٥ د. نجيب
الكيلاني - مؤسسة الرسالة - ط الرابعة - ١٩٨٥ -
بيروت..



صفحات حزينة من التاريخ

شعر / أسامة كامل الخريبي

أما تطوي الصحائف بانتهاء
أرى يوماً مضى من غير داء
يسود صفحة أمس المضاء
وأجتر البكاء من البكاء
شفاها لا تكف عن الرثاء
لها وجه الزمان من الحياء
كما تمشي العفونة بالوباء
وآلاف تساق إلى البقاء
تلقح بالكلاب.. وبالظباء
وقد تلد المصائب في المساء
ومذبحة تدبر في الخفاء
على جرح يعز على الشفاء
وما نامت عيون الأشقياء
ومملكة تشيد من دمائي؟
تقام على المذابح والدماء
وإن صعد البغاة إلى السماء
وكم تنسى العقيدة في ادعاء
متى جهر المؤذن بالنداء
وتمتزج الحجارة بالإباء
رموز الإنتفاضة والفداء
على مرج الزهور وفي العراء
وقد بخل الأشاوس بالغطاء
مأس كم تعز على رثائي
فتختلط الدموع مع الدماء

أتاريخ المذابح والبالاء
أقلب فيك منذ وعيت علي
فما ألفيت غير هوان قومي
كأنني منذ نشأت طفقت أبكي
فصار الدمع قافيتي وشعري
مذابح في جبين الأرض يندى
«سراييفو» هوت والزحف يمضي
مسلايين تباد بلا مغيث
وأرحام النساء بكل فج
«وكوسوفو» الشقيقة في مخاض
«وسنجق» تشتكي خطرا وشيكا
«ومقدونيا» لها في القلب جرح
بلاد فوق كف الشوك نامت
أنسدلس تقام على حطامي
وايم الله ما نهضت بلاد
وعمر البغي في الدنيا قصير
يقول البعض: ألبان وترك
وقومي هم بنو الإسلام طرا
وفي القدس الشريف يثور شعب
ويجتث اليهود ليستريحوا
مئات من زهور القدس تذوي
هناك هناك فوق الثلج ناموا
وفي أرض الهنود يذوق شعبي
أرى صور المذابح في ضميري



وفي «بومباي» تعصف بالبقاء
وقد ذبحوا الألوف بلا عناء
وقد غرسوا المعاول في النساء
عبيدا للمذلة والشقاء؟
يواري بالإبادة والقضاء
تسد بوجهه سبل الشفاء
إليه من الوسائل والدواء
وأترعنا المراقص بالغناء
وناصبنا الشريعة بالعداء
(شفاء الروح في وحى السماء)
وفي لغتي جمود القرفصاء
وفي الأخلاق وهم الأدياء
وقد ملأوا الصحائف بالهراء
ونحن الحب في زمن الجفاء
وهم قوم المودة والإخاء
وزانتها الشريعة بالقضاء
وتتصل العروبة بالسماء
لكم فيه الخلود بلا مرأى
وخلصت القلوب من الرياء

* (سنجق - كوسوفو - مقدونيا) ثلاثة أقاليم يوغوسلافية ذات
أغلبية مسلمة - تنحصر بالترتيب من الشمال إلى الجنوب بين الصرب
واليوسنة.

* (أسام) ولاية هندية شهدت مذابح بشعة للمسلمين عام ١٩٨٣
وما زالت المذابح مستمرة إلى اليوم.

«فأسام» تجدد كل يوم
وقد طردوا الألوف بغير ذنب
وقد هدموا المساجد والزوايا
أحيى المسلمون بكل أرض
كأننا في جبين الأرض عيب
كأننا على الجسد المسجي
وكان البتر أيسر ما استراحوا
هلكنا فد تركنا السيف عمدا
وهنا مذ جعلنا الله ندا
وحاربنا الدعاة ومن يقولوا
ومن زعموا بأن الدين وهم
وفي سبل الفضيلة كل شر
أغاروا فوق مذياعى وفنى
ونحن الخير - ما رغمت أنوف -
وما استن التكافل غير قسومى
وما صان العدالة غير دينى
وفي لغتي بريق الوحي يسرى
فياقوم استعيدوا مجد دين
لكم فيه الكرامة ما اتحدثم

3
E
R

يَسْقُ عَلَيْهِمَا الْمَشَى

الاسم

۵۷۵

اللهم يسر أمورنا
واسر عيوبنا
واغفر لنا
إنك سميع مجيب

إلى طلاب المناصب

إلى الذين يلهثون وراء المناصب، ويطلبون ما ليس من حقهم، وما هم له بكفء، نسوق هذا الحديث الشريف: قال «صلى الله عليه وسلم»: «إنا والله لا نولي هذا العمل أحداً سألته، أو أحدا حرص عليه».

الأحمق

احذر الأحمق أن تصحبه كلما رقعتسه من جانب أو تصدع في زجاج فاحش فإذا عاتبته في يرعوى	إنما الأحمق كالثوب الخلق زعزعته الريح يوما فأنخرق هل ترى صدع زجاج يلتصق زاد شرا وتمادى في الحمق
---	--

إلى متى ؟

قال أبو العتاهية:
أراك امراً ترجو من الله عفوهُ
وأنت على ما لا يحب مقيم
فحتى متى تعصى ويعفو إلى متى؟
تبارك ربي إنه لرحيم

أصحب من يخوفك

وعظ العالم الفقيه أمير المؤمنين
الرشيد فقال له:
يا أمير المؤمنين لأن تصحب من
يخوفك حتى تدرك الأمن خير لك من
أن تصحب من يؤمنك حتى تدرك
الخوف.

إلى أصحاب النجوم

قيل لرجل ما نجمك؟ قال: النيس. فضحك الحاضرون، وقالوا: ليس في
النجوم والكواكب نيس. قال: بلى، قد قبيل لي وأنا صبي - منذ عشرين سنة -
نجمك الجدي - فلا شك أنه قد صار رئيساً منذ ذلك الوقت.

«أكبر من طاقة الإنسان»

بقلم الأستاذ / توفيق محمد سبع

صانعوها وحدهم.. فمن حقهم أن يحتكروها، أو يبيعوها بالثمن الباهظ.. ومن حقهم أن يحجبوها عن بعض الناس، ولذا اقترنت بالظلم والقهر والجبروت والاستبداد.. وتلك آفات تجعلها في صالح أصحابها أكثر من أن تجعل منها ثمرة عالمية لإسعاد البشرية جمعاء.

الحقيقة الغائبة

إن جهود البشر بالغة ما بلغت لن تكون وحدها صانعة للحضارة، ولا محققة للمنجزات العلمية.. لأن الإنسان جزء من الوجود الكبير - وما الكون كله إلا ساحة لنشاطه، ومجال لحركته، وميدان لحضارته، وبستان يزرع فيه أنضر الورود يستمد العون من ربه ليلهمه المعرفة والقدرة - ويمهد له أرجاء الأرض.. لكي يزرع ويحصد، وينشيء ويعمر، ويخترع ويبعد.. ولو شاء سبحانه لجعل من تلك الأرض جبلا خشنة وتلالا وعرة لا يستطيع جهد الإنسان بالغها ما بلغ أن ينتصر على هذه المعوقات.

ولو تركزت هذه الحقيقة في أذهان أصحاب الحضارات المادية لتواضعوا وقللوا من غرورهم وتناولهم!!

نظرة إيمانية

وليس هذا فقط هو ما يجعل جهد البشر في بناء الحضارة ضئيلا تافها.. بل

حقيقة تفرض نفسها

لا يستطيع أحد أن يتنكر لمنجزات العلم أو معطيات الحضارة بعد أن حققنا من النتائج المثيرة، التي أدت إلى تقدم الحياة، واطراد مسيرتها سياسيا واجتماعيا وطبيا واقتصاديا وإنسانيا فوق ما يطمح إليه إنسان القرن العشرين.

ولست بحاجة إلى تفصي هذه المنجزات فهي من الوفرة والسطوع بحيث لا تحتاج إلى بيان سواء في المجالات الحربية أو المجالات السلمية.

بيد أنني أعرض لأمر مهم أركز عليه بعناية واهتمام. وهو أن هذه المنجزات لم توفر للإنسان دواعي الأمن وعوامل السعادة كما ينبغي أن تكون!!

ففي ظلال هذه المنجزات كثر الشقاء، وساد الإحباط، وانتشرت الجرائم.. ذلك لأن هذه المنجزات مادية صرفة.. لا تصبحها نسمات الروح ولا بسمات الضمير الحي.. ويأبى الإنسان إلا أن يكون مادة وروحا كما فطره ربه.

وهذه المنجزات المادية لا تلبي هذه الفطرة الإنسانية المركبة.. ولو صاحبها تفوق روحي يلبي أشواق الروح لكانت الحضارة المثالية السديدة!!

وقد تكون هناك عوامل أخرى تجعل من هذه الحضارة مصدر شقاء ذلك أنها مغرورة.. تزعم أو يزعم أصحابها أنهم

حضارة

هناك ما هو أخطر لو نظرنا إلى الموضوع نظرة إيمانية.

ذلك أن عناصر الكون التي تخضع لتجارب الإنسان.. ومواده المختلفة المنبثة هنا وهناك وخاماته التي تستخدم في تحقيق الأهداف العلمية كل ذلك من صنع الله.. يقول سبحانه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ آية ٦ سورة النبأ.

ويقول: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ آية ١٢ سورة الجاثية.

ويقول: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ زَرْقًا لَكُمْ، وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ، وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ، وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانُ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ آيات ٢٢، ٢٣، ٢٤ سورة إبراهيم.

ويقول عز من قائل: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ سورة الحديد ٢٥ كل هذا الفيض الدافق من آيات التسخير وغيرها يعطي الدلالة القوية على أن جهد الإنسان المبذول في صناعة ليس إلا جانباً ضئيلاً من الحقيقة الكبرى التي يذهل عنها إنسان الحضارة المادية وهي أن العلم وحده لا يكفي، وجهد الإنسان مجرداً لا يعطي ثمرة... وليس من الحكمة أن يغتر صنّاع الحضارة بما قدموا من نماذج. ولو أتيح لهم حظ من إيمان لكانت النظرة متوازنة ولذهب عنهم هذا الخداع المادي الذي يعمي بصائرهم، فيبدد ثمرات حضارتهم!!

ولنقرأ معا هاتين الآيتين الكريمتين من سورة الزخرف، ولنعمق النظر في قوة الدلالة على صدق ما قدمنا من أن أخطر آفة تهدد حضارة اليوم هي إمعانها في الغرور بسبب جهلها بالحقيقة الكبرى.. وهي تسخير الكون للإنسان، لبيتكر ويخترع، ويحلل ويركب ويستغل طاقاته المتاحة في صناعة الحضارة.. مستخدماً تجاربه وعقله الذي هو منحة كذلك من الله العلي القدير.. وأيسر نظرة إلى ذلك تخفف من غلواء الإنسان المعاصر.. وتكشف أنه ليس إلا جزءاً يسيراً من هذا الكون الكبير الذي يموج بالأسرار والخوافي!!

يقول سبحانه: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ، لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ، ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ، وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ آيات ١٢، ١٣ من سورة الزخرف.

هكذا من خلال ما سبق من آيات.. يظهر جهد البشر قليلاً جداً في صنع الحضارات.. وأن هذا الجهد بجوار تيسير الله.. وما بثه في الكون من عناصر ومواد، وما سخر من دابة.. يبدو جهداً محدوداً لا يتيح لأصحابه أن يستبدوا أو يفتروا أو يشمخوا.

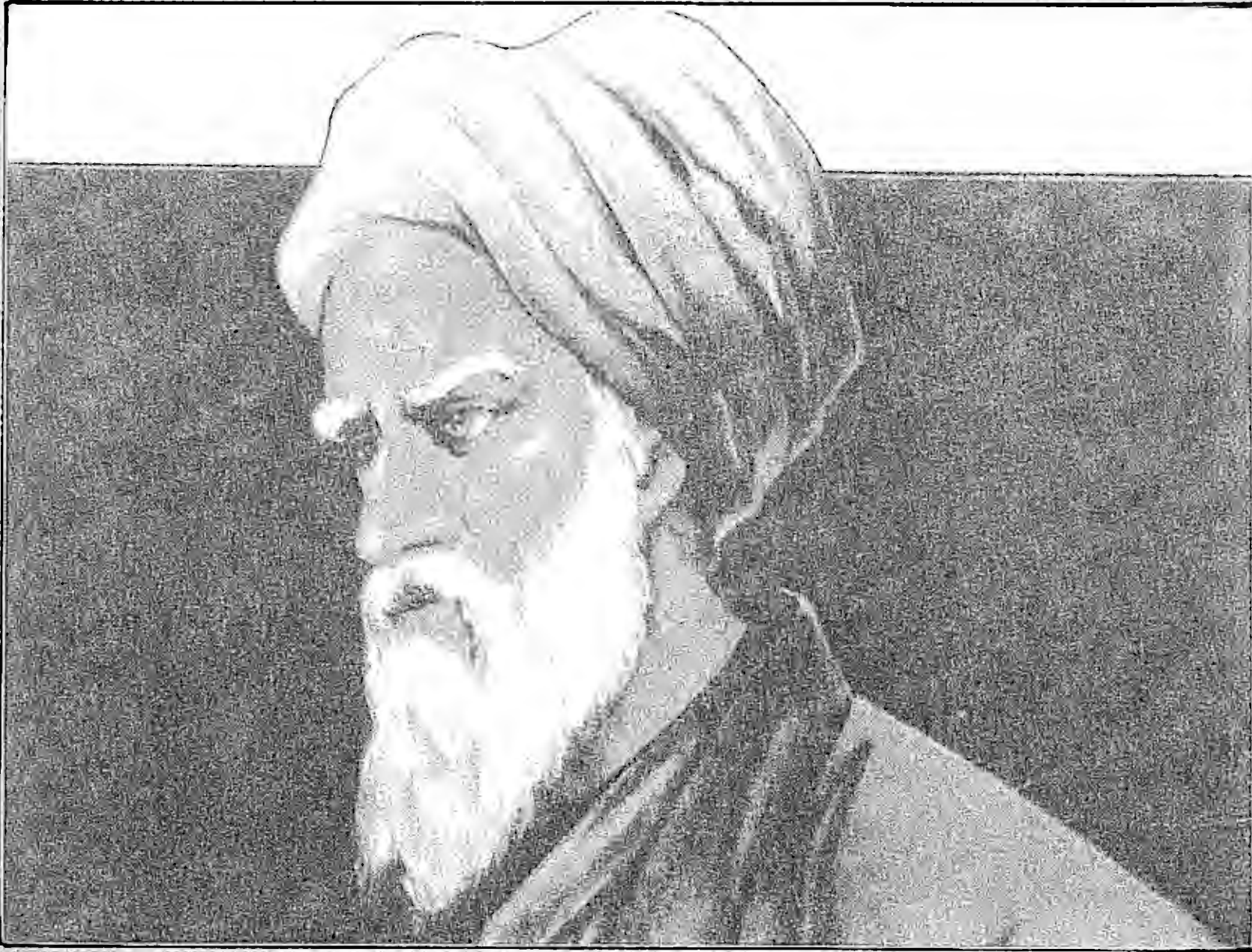
فالله عز وجل هو الذي مهد الأرض للإنسان وجعلها مجالاً لنشاطه.. وهو الذي هيأ وسائل الانتفاع بها، والاستفادة بعناصرها، وهي عناصر لم يخلق منها ذرة واحدة، ولا كان في استطاعته أن يتهدى إليها فضلاً عن أن يخلقها..

وقد مكنه الله من السيطرة على هذه العناصر بقوانين العلم ليتحقق إعمار

الأرض وصلاح الحياة وتلك هي وظيفة الإنسان التي خلق من أجلها ولكل أمة مواهبها واستعداداتها في هذا المجال. إن كل ما في الكون مسخر لنشاط الإنسان من سماء ونجوم وأنهار وحيوان فهل يعجزه بعد ذلك أن ينتفع بها ويسيطر عليها بل ويخضعها لإرادته بعلمه وتجاربه!

ذلك سهل ميسور إذا ما استغل الإنسان معارفه وتجاربه وعلومه في عملية الإبداع والابتكار في مادة تعينه وتدفعه وتثير مواهبه وملكاتة.. فإذا تم له ذلك فقد أدى واجبه وحقق رسالته.. فعليه أن يتجه إلى الذي أعانه وأمره بالشكر والثناء.. لا أن ينسى فضل ربه فيسرف في الغرور والادعاء لكن كيف يكافح الإنسان صانع الحضارة آفة

الغرور وعوامل الصلف والبغي؟ ذلك ما تجده واضحا صريحا في آيتي الزخرف.. ولنأخذ مثلا النموذج الأول الذي ترشد إليه الآية.. وهو نموذج خلق الأنعام.. فهي جميعا من صنع الله.. تمت بقدرته وعلمه.. وما علي الإنسان إلا أن يركب ظهورها منتفعا بها أو مستمتعا بجريها كما قال سبحانه: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ النحل ٨ فماذا بذل الإنسان من جهد في هذا الصدد؟ هل مجرد اعتلائه على ظهر الدابة أو امتطائه لصهوة الجواد يعطيه الحق في أن يغتر ويشمخ وينسى فضل ربه؟ يقول عز وجل ﴿لَتَسْتَوُوا علي ظهوره.. ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه. وتقولوا: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾



الزخرف ١٢ أي مطيقين قادرين.. هذا الذكر الخالص لله.. عند الاعتلاء على ظهر الحيوان.. يخلص الإنسان من عوامل غروره يذكره بحجمه الضئيل وجهده القليل لأنه لم يزد على أن ركب فاستوى على ظهر الحيوان.. لكن لماذا كان ذكر الله في الآية مقترنا بالاستواء على ظهر الحيوان؟ ذلك لكي يتنبه الإنسان إلى حجمه كلما أتيج له أن يمتلك ناصية الحضارات ويسيطر على منجزات العلم.. فهذا الوقت بالذات هو الذي تهاجمه فيه مركبات النقص، وجنون العظمة، وعوامل الخداع والغرور.. فإذا تحصن بذكر الله في تلك اللحظة احتفظ بتوازنه فوق القمة العالية وتذكر فضل ربه عليه!!

وليس المقصود فقط هو هذا النموذج من ركوب الحيوان بل إنه واحد فقط من النماذج المسخرة للإنسان.. فكل إنجاز للإنسان ينبغي أن يقترن بذكر الله ليباركه الله.. ويذهب عنه كيد الشيطان.. لأنه مهما يحقق ذلك الإنسان من نصر فهو مفتقر إلى فضل ربه مهما يذلل من قوى الطبيعة، ويحول مجرى المياه، ويبني السدود العالية، ويشق الترع والمصارف، ويحفر الأنفاق، ويحطم السدرة، ويصنع الصاروخ. ويخترع القنابل، لأن دوره في ذلك كله وفيما هو أخطر منه مما سيتحقق من منجزات.. دور ضيل جدا وثانوي للغاية.. أما جوهر الموضوع فهو من الله وإلى الله!!

نعم ما أحري الإنسان المعاصر المفتون بالمادة أن يهتف كلما أتيج له أن ينجح في تحقيق أمله أو أن ينتفع بثمرات جهده ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا.. وما كنا له مقرنين﴾ الزخرف ١٢.

إن ذلك هو شعار كل حضارة مثمرة

مباركة!! لأنه يـ.. الأمور إلى مصدرها الحقيقي - وبه يظل الإنسان علي تواضعه فلا يقتله غرور العظمة، ولا تجتاحه مركبات النقص، ولا تطغى عليه عوامل الاستبداد والبغي.. ولا يعبد حضارة صنعها بيديه.. وبهذا الشعار أيضا يتم الاعتراف الكبير بدور القدر في بناء الحضارة. وبه كذلك تتناسق الماديات مع الروحيات.. وبذلك تنسجم الحضارة مع قانون التسخير الإلهي.

من إحياء هاتين الآيتين

نعم.. ما أروع الإحياء الذي تعطيه هذه الآية.. لو أصغينا إلى همس الحكمة الكامن فيها ولم نتوقف عند ظاهر اللفظ.. إنها تحدد رسالة الإنسان في الحياة.. رسالته أن يجد في العمل ويواصل الكفاح ليتمكن من السيطرة على عناصر الكون فيحقق السيادة لنفسه والسعادة لجنسه وليكون جديرا بالاستخلاف في الأرض..

وذلك يقتضي شحذ المواهب وتحريك القدرات.. ليستعلي على عناصر الكون «لتستروا على ظهوره».. هذا هو دور الإنسان.. جهد وعمل وعرق في كون مهياً.. وعناصر موجود.. لم يكلف بما ليس في طاقته.. وبهذا الجهاد تتمايز الشعوب وتختلف الأقطار.. هناك شعوب نائمة لا تستغل ما خلق الله من عناصر.. ولا تحرك طاقاتها.. فهل يمكن لها أن تتقدم؟ أو تظفر برضوان الله؟

وقوله سبحانه ﴿ثم تذكروا نعمه ربكم إذا استويتم عليه﴾.

تقرير لحقيقة ضخمة لها أهميتها في حفظ توازن الإنسان تلك هي أن المنجزات الحضارية إنما تتم بإقرار الله وتسخير

حضارة

الحضارة.. بل فضل الله أكبر ومعاونته أعظم.. وذلك يستدعي أن يظل معتصما به ذاكرا إياه.

ولأن من طبيعة الإنسان الغرور وتجاهل النعمة ركزت الآية على ضرورة الإقرار لله بالفضل بالقلب واللسان.. ومتى؟ عندما يعتلي الظهر ويستوي على القمة.. وبذلك لا يختل ولا يهوى إن إشعاع الآية في الواقع يترامي إلى بعيد بعيد.. وهي أن نقر لله بالفضل عندما نوفق إلى اختراع نافع - وهو اتجاه يجعل الحضارات الإنسانية مسبحة عابدة شاكرة لا تحتكر، ولا تستغل، ولا تستخدم في القهر، والاستعباد.. وبذلك يظل الإنسان منسجما مع الملاء الأعلى.. ويأتي في النهاية إحياء قوي [وإنا إلى ربنا لمنقلبون].

وهو إحياء ينذر صناع الحضارات بأن المصير إلى الله.. مهما يطل العمر.. وتمتد الحياة وأنهم محاسبون على بغيهم وعتوهم..

وهذا الإنذار الرابع من شأنه أن يهز الضمير، ويحرك الوجدان ويرج النفس رجا عنيفا لتتنبه إلى مصيرها المحتوم فتصلح الفاسد وتقوم المعوج وتخلص النية لله.

والله يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

ثم بجهد البشر فواجب أن يذكر الإنسان ذلك ولا ينساه وبذلك تقترن الماديات بالروحيات!! فلا يصاب الإنسان بعمى البصيرة فتذهب حضارته مع الريح وذكر الله من ناحية أخرى وسيلة لطرد الشيطان الذي يحاول أن يزين للإنسان الغرور أو يسول له عبادة المادة كما سول لغيره من رواد الضلال.

وقوله سبحانه: ﴿وما كنا له مقرنين﴾

هو استكمال للحقيقة التي يجريها الإنسان على لسانه ويصدقها بقلبه ليتحصن ظاهرا وباطنا من كيد الشيطان.

فكأننا قوله سبحانه: ﴿ثم تذكروا نعمة ربكم﴾ تعني استحضر القلب وامتلأ الوجدان وقوله: ﴿وتقولوا: سبحان الذي سخر لنا هذا﴾ تعني نطق اللسان والاعتراف بصريح المقال ليكون ذلك أدعى لصالح شأن الإنسان.

والآية بمنطقها وإيحائها - توجه كل الحضارات المادية وجهة روحية لأنها تعالج في الإنسان نوازع الغرور وخداع النفس بعد أن يمتلك ناصية المادة ويسيطر عليها ليظل جوهره نقيًا بعيدا عن كل صلف وغرور ولذا اتجهت إليه تكفكف من غروره وتكبح من جماحه وتذكره أنه ليس وحده في صنع

الأمانة

بين القرآن والسنة

بقلم أ.د. : محمود محمد عمارة

فنزلت. فأمر صلى الله عليه وسلم عليا
برد المفتاح. والاعتذار اليه. فقال له
عثمان: أكرهت. فأذيت. ثم جئت ترفق؟
فقال علي:

إن الله تعالى قد أنزل في شأنك قرآنا.
فأسلم)

وسوف نخص فضيلة الامانة بمزيد
من العناية. وهي التي بدأ الله تعالى الأمر
بها.. لانها سليقة الإنسان الشخصية ..
بينما العدل هو: السلوك القوي والفعل
مع الآخرين.

مناسبة الآية لما قبلها

قبل هذه الآية الكريمة يقول تعالى:
﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها
أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا﴾.

ومعنى ذلك : انه تعالى بعد أن وعد
المؤمنين العاملين بالجنات وما فيها من
نعيم مقيم.. ذكر في الآية التي نحن بصدد
تفسيرها طليعة الأعمال التي بها تنال
الجنة.. وهي: الأمانة والعدل.

يقول الحق سبحانه:

﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات
إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن
تحكموا بالعدل إن الله نعماء يعظكم به
إن الله كان سميعا
بصيرا﴾ النساء/ ٥٨
تمهيد:

الأمانة . والعدل. من أسس التمدن
الإنساني:

ذلك بأن بقاء الأمة منوط بما يلي:

أ - حسن التعامل .

ب - توخي المنفعة.

وروح ذلك : الأمانة . والعدل.

قلو حرمت الأمة الأمانة .. لفست
أحوالها. وطمع فيها من يسومها خسفا.
ويستبد بها عسفا. ويسلط عليها الفقر
والعوز. والذل المعجز.

ولو ذهب فيها العدل .. لذهبت الثقة .
فقل النتاج .. وعرضت الأمة نفسها
للزوال. في معترك لا يبقى فيه إلا أولو
العزم من الرجال.

سبب نزول الآية الكريمة

(منع عثمان بن طلحة مفتاح الكعبة.
فلوى على رضى الله عنه يده. وصلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها.

اخلاق اسلامية

معنى الأمانة

الأمانة تعني : القوة..

والأمين : القوي. لأنه يوثق بقوته.

ومنه ناقة أمون : أمانة . وثيقة الخلق.

قد أمنت من الضعف. وهي التي أمنت العثار والإعياء.

وفي الأثر : الزرع أمانة والتاجر فاجر :

فالزرع أمانة. لسلامته من الآفات التي تقع في التجارة من التزويد في القول.

والحلف.

والمفروض في المسلم ان له من ضميره

حارسا يقظا يمنعه من الاستجابة لدواعي الإغراء من حوله.. ومن داخله.

فالنفس والهوى .. والشيطان

والدنيا.. كلها تتنادى بالانحراف.. وبهذا

الإنسان تحت سطوة الإغراء ليخون..

فاذا تجاهل ذلك الإغراء .. ومضى

لسبيله. منفذا أمر ضميره.. على حياء

إيمانه.. فذلك هو الانتصار.. وهذا هو

المؤمن القوي الأمين.

استعمالات الأمانة

وردت الأمانة في القرآن على خمسة

أوجه:

الأول : في الدين والديانة:

﴿وتخونوا أماناتكم﴾ الأنفال / ٢٧

الثاني : في المال والنعمة :

﴿ولا تكن للخائنين خصيما﴾

النساء / ١٠٥

الثالث : في الشرع والسنة:

﴿وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا

الله من قبل﴾ الأنفال / ٧١

أى إن تعرضوا لخيانتك في المستقبل

بالأذى. فقد خانوا الله من قبل بالكفر.

فأمكن منهم في بدر.

أو : إن تركوا الأمانة في السنة. فقد تركوها في الفريضة (راجع بصائر ذوي التمييز ١٥٢/٢)

الرابع : الخيانة بمعنى الزنا : ﴿وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ يوسف / ٥٢

الخامس : بمعنى نقض العهد والبيعة:

﴿وإما تخافن من قوم خيانة﴾ الأنفال / ٥٨ أي نقض عهد. هذا تفصيل الخيانة في الأمانة.

ويرد لفظ الأمانة على وجهين:

الأول : بمعنى الفرائض : ﴿إنا عرضنا الأمانة﴾ الأحزاب / ٧٢

الثاني : بمعنى العفة والصيانة : ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ القصص / ٢٦.

أساس الأمانة

يقول صلي الله عليه وسلم:

(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته:

فالامام راع ومسئول عن رعيته. والرجل راع في أهله. وهو مسئول عن رعيته. والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيته. والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته)(رواه البخاري)

والحديث الشريف يشير إلى عموم المسئولية : من الخادم.. إلى رأس الدولة. ولعل زيادة ضمير الفصل في جانب الزوج.. والزوجة.. والخادم.. علاج لما يمكن ان يكون في البيت من تسبب يحمل على التنصل من المسئولية الفردية. وتعليقها بالأطراف الأخرى داخل البيت أو خارجه..

اخلاق اسلامية

فالأب .. والأم .. والخادم .. كلهم مسئولون مسئولية مباشرة: كل فيما يخصه .. اما بالنسبة لرئيس الدولة فمسئوليته مقرررة لا تحتاج إلى لفت نظر بمثل ضمير الفصل المذكور مع الآخرين. وعن هذه المسئولية : يأخذ الضمير وضع الاستعداد .. حماية للأمانة.

أهمية الأمانة

في الآية الكريمة دليل أهميتها:
أ - فحرف التوكيد «ان» على رأس الآية الكريمة يبادر فيؤكد ضرورة الاستمسك بها.

ب - ولفظ الجلالة «الله» يوحى بالرهبة والخشية من عقبي التفريط فيها.

ج - ثم إن الخطاب مباشر منه تعالى للناس كافة (يأمركم) دون توسيط الرسول صلى الله عليه وسلم. الذي تنتهى مهمته بالبلاغ.

د - ثم هو تعالى يأمر الناس جميعا: من عنده الأمانة والمجتمع الذي يراقب ويتابع ويساعد على التنفيذ.

ثم هو تعالى يأمر بالأداء... بفعل المضارع المفيد استمرار الوفاء بحق الأمانة لتظل شارة الأمة التي تريد لنفسها البقاء.

ثم هو الأداء إلى أهل الأمانة : فجارا .. كانوا . أو أبرارا. فالأمانة في الاسلام كالعدل : مطلقة لا نسبية.

وترتفع قيمة الأمانة إلى حد لا يغني بذل الحياة عنها:
عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال:

(القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها. إلا الأمانة) (من حديث رواه أحمد) ثم تتسع دائرتها لتشمل المؤمن والكافر.. والبر والفاجر.

قال ميمون بن مهران : (ثلاثة يؤدين إلى البر والفاجر:

الأمانة . والعهد . وصلة الرحم) وذلك سر حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على التذكير بها. والتركيز عليها في كل موعظة:

عن أنس رضي الله عنه قال: (ماخطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قال:

لا إيمان لمن لا أمانة له. ولا دين لمن لا عهد له) (رواه أحمد) ومن هنا اشترط فيمن يتولى أمور المسلمين أن يكون قادرا على الوفاء بحق الأمانة في تدبير أمورهم .. وليس كل مسلم صالحا لها.

عن ابي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال : فضرب بيده على منكبي ثم قال:

ياأبا ذر: إنك ضعيف. وإنها أمانة. وإنها يوم القيامة خزى وندامة. إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها) (رواه مسلم)

(إن الكفاية العلمية أو العملية ليست لازمة لصالح النفس:

فقد يكون الرجل رضي السيرة. حسن الإيمان.

ولكنه لا يحمل من المؤهلات المنشودة مايجعله منتجا في وظيفة معينة. ألا ترى إلى يوسف الصديق؟

إنه لم يرشح نفسه لإدارة شئون المال بنبوته وتقواه فحسب. بل بحفظه وعلمه

اخلاق اسلامية

أيضا: ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ يوسف / ٣٥

وأبو ذر لما طلب الولاية لم يسهه الرسول جلدا لها. فحذره منها.

والأمانة تقضي بأن تصطفي للأعمال أحسن الناس قياما بها. فإذا ملنا عنه إلى غيره - لهوى أو رشوة أو قرابة - فقد ارتكبنا - بتنحية القادر وتولية العاجز - خيانة فادحة (خلق المسلم ٥٣)

معنى جمع الأمانة

تطالبنا الآية الكريمة برد الأمانات..
اذن فهي أمانات.. لا أمانة واحدة..
أ - أمانة مع الله تعالى .. بحسن عبادته.

ب - ومع العباد : الأبرار والفجار (الأسرة .. الجار .. الحاكم..)
ج - ومع نفسك.

فمن الأهمية بمكان أن تكون أمينا على أسرتك بحسن رعايتها..
ومع جارك بحفظ أسرارهِ والمصارعة إلى مساعدته. ونجده.

ومع الحاكم بنصحه.. وبالتي هي أحسن.. فإن أسأت في الوسيلة فأنت خائن.. فإن مخاشنة الحاكم القادر على التنكيل بك فتنة للنفس.. وإذا كنت تعتقد أنك ربح .. فقد واجهت اعصارا.. وتذكر قول القائل.

ايا ضاربا حجرا بالعصا
ضربت العصا أم ضربت الحجر

الأمانة بين الترغيب والترهيب

رغب صلى الله عليه وسلم في الأمانة فقال:

(تقبلوا إلي سنا أتقبل لكم بالجنة: اذا حدث أحدكم فلا يكذب. واذا وعد فلا يخلف. واذا ائتمن فلا يخن) (رواه أبو يعلى والحاكم والبيهقي)
وفي الترهيب منها يقول:

(أربع من كن فيه كان منافقا خالصا. ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها:

إذا ائتمن خان. وإذا حدث كذب. وإذا وعد غدر. وإذا خاصم فجر) (رواه البخاري ومسلم)

فإذا اقتربت بك الأمانة من الجنة بل وأدخلتك فيها.. فإن على رأس ما يبعدك عن الجنة ويدعك إلى نار جهنم دعا: الخيانة..

من أجل ذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول:

(اللهم إني أعوذ بك من الجوع. فإنه بئس الضجيع..

وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئس البطانة) (رواه أبو داود)

ومعنى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم يعلم أمتة كيف تحافظ على دنياها بالشعب.. وكيف تحافظ على دينها بالأمانة..

وكيف تجعل من مثل هذا الدعاء الوافي شعارا لها تتجه به إلى ربها ليصون لها دينها ودنياها.

دلالة التعبير بالأهل

أنت مطالب برد الأمانة إلى أهلها..
فأنت لست أهلا لها.. وإنما هي استثناء عندك.. انها عارية مستردة..

وقد تتجاهل فتظن أنك أهلها.. فتجدها.. وحينئذ فهي بنت غير شرعية

اخلاق اسلامية

.. فعد بها الى أهلها.. الذين تعبوا في تحصيها.

وحتى النصيحة : لقد انتصحت انت بما نصحك به غيرك.. فلا تبخل برد الجميل الى غيرك.. برد هذه النصيحة إليه لينتفع بها مثلك.. اي ان النصيحة امانة عندك.. فأخرجها.. وعد بها علي المحتاج اليها..

(لاتجبوا الحكمة عن أهلها فتظلموهم.. ولا تمكنوا منها من ليس أهلا لها.. فتظلموها)

لقد ضاق معنى الأمانة وضمير في اذهان الناس فقصروه على باب الودائع وضرورة الحفاظ عليها.. ثم ردها إلي ذويها.

مع ان ذلك شعبة واحدة من شعب الأمانة.. ومجال ضيق من مجالاتها.. وفي الأثر:

المؤمن مؤتمن..

والمجالس أمانة..

والمؤذن أمين على صلاة الناس.

وصيامهم.

واذا كانت المجالس امانة فلا يعاد

مايجرى فيها من قول أو فعل.

فكان ذلك أمانة عند من سمعه.. أو رآه.

إلي غير ذلك من صور النشاط الإنساني.

من مجالات الأمانة:

الأمانة مع الأهل

واخطر مجالات الأمانة ما كان للزوج

مع زوجته:

إن الزوج ليعلم من اسرار زوجته.

وعيوبها ما لا يعلمه أبوها ولا أمها ولا

إخوتها. ومن ثم كانت الأمانة أكد في حقه بمقدار مايعلم من أسرار:

وقد نبه صلى الله عليه وسلم إلى هذه الخطورة بقوله: (إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة: الرجل يفضي إلى امرأته. وتفضي إليه. ثم ينشر سرها) (رواه مسلم) إن الزوج هو الذي باشر ورأى.. ومن ثم فهو مصدق دون أن يطالب بالدليل.. ومن هنا تأتي الخطورة لو أذاع الأسرار.

وربما ظل الأمر سرا إلى أجل قريب.. ثم يحدث الخلاف.. فتفوح الروائح الكريهة.. ويتطاير الشرر الذي يصيب الأولاد.. ويتهدد سمعتهم.

وفي تحذيره صلى الله عليه وسلم من ذلك تروى اسماء بنت يزيد انها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. والرجال والنساء قعود عنده. فقال:

(لعل رجلا يقول ما فعل بأهله.

ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها.

فأزم القوم — أي سكتوا مشفقين — فقلت:

أي والله يارسول الله!!

انهم ليفعلون.. وانهن ليفعلن!!

قال : فلا تفعلوا.. فان مثل ذلك مثل

شيطان لقي شيطانة. فغشيتها والناس

ينظرون) (رواه أحمد)

ان القيادة هنا غير معزولة عن القاعدة..

بل هي تعيش معها.. وتتحسس عيوبها بغية علاجها.. وهكذا احس الرسول منهم عادة غير لا ثقة ربما تورطوا فيها متساهلين متجاوزين.. فألح إلى هذه العادة الذميمة.

فسكت القوم أسفين وجلين حين

انكشف الغطاء عن سوء مايفعلون.. وهو

ما صرحت به اسماء بنت يزيد شهادة

اخلاق اسلامية

وهكذا يبلغ الحرص على حق الزوجة في أمور قد تدق عن الافهام فلا تدركها.. وبذلك وقى الإسلام الأسرة المسلمة من الانهيار الذي لحق أمما أخرى كاليهود: تركوا التجميل لنسائهم.. فزنت نساؤهم!

أمانة التجار

قد يظن التاجر الجشع ان تحصيل الرزق يتم بالسعي وحده.. ناسيا تقدير الله سبحانه وتعالى.. من أجل ذلك ينطلق كالمسعود في كل اتجاه.. مفسدا بهذا الشعار طعم الحياة.. ثم لا يأتيه في النهاية الا ما قدر له من رزقه. الذي يطلبه.. كما يطلبه أجله.

مخاطر الجشع

ولهذا الجشع المندفع في غيبة الإيمان آثاره الضارة في عالم الضمير.. وعالم الواقع:

١ - ان الربح الوفير قد يغري بالتنازل عن حق الإنسان في الكرامة.

٢ - عدم تحكيم الشرع في تحصيل الرزق.. ومن ثم لا يحتاط في كسبه الذي قد يكون حراما ما حقا للبركة.

٣ - التحامل على زملاء المهنة ليستأثر بالزيائن دونهم.

٤ - كثرة الإيمان الكاذبة ارادة ترويج سلعته.. وهو ما أشار إليه قوله صلى الله عليه وسلم: (الحلف منفقة للسلعة. ممحقة للبركة) (أبوهريرة: في الصغير ٣٨٣٠)

يقول المناوي:
(أي اليمين الكاذبة على البيع: منفقة

بأن ذلك واقع من الجنسين معا.. ومن رحمة الرائد هنا انه طوى صفحة الأمس.. وحذر من معاودة الفعل مستقبلا: (فلا تفعلوا..) ثم هز ضمائرهم هزة أيقظتها على شناعة هذا المسلك.. الذي يشبه شيطانا مع شيطانة في لقاء على قارعة الطريق!!

واذا استوى الرجل والمرأة في تحمل مسئولية حفظ السر.. فان الرجل بحكم طبيعته وجراته ومخالطته للناس.. أكبر مسئولية كما يفيد تقديم الزوج في الذكر في حديث اسماء الأنف. وهو اثر الناس على الاطلاق لو أذاع سرا من مصلحته هو أن يصاب:

عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة: الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه ثم ينشر سرها) (رواه مسلم) ولقد كان العربي يتغنى بالأمانة ويغالي بحفظها.

قال شاعرهم:

ألم تعلمي يا اسم ويحك انني
حلفت يميناً.. لا أخون يميني
اي: من ائتمنني
وكان للعرض تقديره الخاص:

قال الشاعر:

وأغض طرفي ان بدت لي جارتي
حتى يوارى جارتي مأواها
وقد صقلها الإسلام.. ووصل بها المسلمون - وبخاصة في مجال الأسرة - إلى قمة عليا.

فقد كان ابن عباس يقول:
اني أحب ان اتزين لزوجتي كما أحب
ان تتزين لي.

اخلاق اسلامية

﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم﴾

البقرة/ ٢٢٤

واذن .. فلماذا يحلف هذا التاجر .. بل لماذا يكثر الحلف بمناسبة وغير مناسبة؟ ان احدا لم يفرض عليه أن يحلف؟ فلم الإصرار إذن؟

ثم .. إنه مادام واثقا بجودة سلعته. وتفوقها. واعتدال ثمنها بالنسبة لسلع زملائه.. فلم لا يترك السلعة تعلن عن نفسها.. دون أن يستغل اسم الخالق سبحانه.. والذي ينبغي ان يسان فلا يستغل في مساومات الأسواق؟

وإلى جانب ذلك : لماذا تميز هو بالحلف دون غيره من التجار المجاورين؟

الحقيقة المرة

وهنا يصل المشتري الى الحقيقة التي تفرض نفسها فرضا:

أن هذا التاجر — دون غيره — لا شك يخفي بكثرة الحلف عيبا في سلعته. وعندئذ تهتز ثقة المشتري به.. ثم تنهار.. وهي رأس مال التاجر! ولم يبق الا أن يتخذ المشتري قراره بالانصراف عن هذا التاجر الخداع. الى غيره ممن لم يجعلوا الله عرضة لأيمانهم.

وهنا تنحسر موجة الربح إلى الصفر.. إلى جانب الحسرة على عملاء يراهم بعينه يديرون ظهورهم له.. مقبلين على غيره من منافسيه.. فتحترق أعصابه في الوقت الذي تحترق فيه ثروته..

واذن .. فسوف يضطرب في يده الميزان .. ولن يحسن التخطيط بمزاجه المعتل وعقله المختل..

أي : مفعلة من نفق البيع : راج. ضد: كسد. أي مزيدة.

وممحقة : مفعلة من المحق. أي : مذهبة للبركة).

معادلة سهلة

ومعنى ذلك : ان التهالك على جلب الرزق عن طريق الحلف لون من الدعاية للسلعة ليكثر طلابها. كما ان المرأة تتزين ليكثر خطابها!

لكن الحديث الشريف يؤكد : ان الحلف الخداع وان حقق ربحا. لكنه في النهاية خسارة تذهب بالبركة.

ولكن .. ماتفسير هذه المعادلة التي تبدو للوهلة الأولى عسيرة على الفهم؟

ان الحلف بالله تعالى لون من الدعاية.. بالتكرار.. وشأن المسلم دائما: انه من خدعنا بالله انخدعنا له.. ومعنى ذلك: انه سيقبل على السلعة تحت تأثير هذه الدعاية المكرورة.. وعندئذ يكثر ربح البائع.. بل وتتضخم ثروته.. ثم يملئ له الربح الوفير.. فيزداد عتوا..

الحساب الختامي

ولكن العبرة بالحساب الختامي الذي لن يكون ابدا في صالح هذا التاجر الخداع: فسوف تستيقظ نفس المشتري يوما.. ثم تتفتح عيناه على حقيقة ما يرى..

ولا شك ان تبادل المعلومات بين ابناء الحي المخدوعين سوف تنتهي إلى اسئلة عريضة تبحث عن الجواب الشافي على النحو الآتي فيما يشبه محاكمة غيابية لهذا التاجر الخداع: ان كثرة الحلف مذمومة شرعا بدليل قوله تعالى :

اخلاق اسلامية

مفتاح الرزق

لقد اراد هذا التاجر وأمثاله فتح أبواب الرزق بغير مفاتيحها.. من معصية الله تعالى .. ولو عالج هذه الأبواب بطاعة الله تعالى والشفقة على الإنسان.. لتغير الموقف.

يقول ابن الجوزي في هذا المعنى:
(يا فاتح أبواب المعاش بغير مفتاح التقى. كيف توسع طريق الخطايا. وتشكو ضيق الرزق..)
لو اتقيت. ما عسر عليك مطلوب.
مفتاح التقوى يقع على كل باب.
مادام المتقى على صفاء التقى. لا يلقي حينئذ أذى.
فان انحرف عن التقى .. التقى بالكدر.
فلما توليتم عنا .. تولينا.

لا تزال بحار النعم على الخلق في الزيادة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) ويحك:
انما خلقت الدنيا لك. افيبخل عليك بما هو ملكك؟
انما في طبعك شره . والحمية أوفق.
يا أعز المخلوقات علينا . ارض بتدبيرنا.

ليس العجب تغذي المولود في حال الحمل. بدم الحمل. لاتصاله بالحي. انما العجب أن البيضـة اذا انفصلت من الدجاجة. فمن البياض يخلق الفرخ. وبالمخ يتغذى. فقد اعطى المخلوق زاده قبل سفر الوجود.
اذا انفقت بيضة الغراب. خرج الفرخ أبيض.

فتنفر عنه الأم . لمباينة لونها.
فيبقى مفتوح الفم.. والقدر يسوق الي

فيه الذباب.. فلا يزال يتغذى به حتي يسود لونه. فتعود الأم!

ألهم الله النملة ادخار القوت .. ثم ألهمها كسر الحب قبل ادخاره. كي لا يئب. والكسفرة. وان كسرت قطعتين تنبت. فهي تكسرهما اربعاً.
وفي كل شيء له آية

تدل على انه الواحد
لو رأيت العنكبوت حين تبني بيتها.
لرأيت صنعة تعجز المهندس:
انما تطلب موضعين متقاربين.. بينهما فرجة .. يمكنها مد الخيط اليها. ثم تلقى لعابها على الجانبين. فاذا احكمت المعاهد. ورتبت القمط كالسد. اشتغلت باللحمة. فيظن الظان ان نسجها عبث.

كلا .. انها شبكة للبق والذباب.
وانها اذا اتمت النسج انزوت إلى زاوية. ترصد رصد الصائد. فاذا وقع في الشبكة شيء . قامت تجني ثمار كسبها فاذا أعجزها الصيد. طلبت لنفسها زاوية.. ووصلت بين طرفيها بخيط. ثم علقت نفسها بخيط آخر. وتنكست في الهواء. تنتظر ذبابة تمر بها. فاذا دنت منها. رمت نفسها اليها. فأخذتها. واستعانت على قتلها بلف الخيط على رجلها. افتراسها علمت هذه الصنعة بنفسها؟

أو قرأتها على أبناء جنسها؟
افلا تنظر إلى حكمة من علمها؟
لقد نادى عجائب المخلوقات على نفسها. ترشد الغافلين إلى الصانع. غير ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾

فليحذر الإنسان

هذا طرف من حكمة الصانع الرازق

اخلاق اسلامية

المدبر.. في مملكة الحشرات.. فليتنبه
الإنسان.. وليحذر ما وراء الغفلة من
خسران مبین..

ان التاجر المستغل..

كالعالم المتكبر..

كالعامل المهمل..

كل اولئك يبيع الياقوت.. بالحصي!

انهم يستبدلون الذي هو ادنى:

الاستغلال.. والكبر.. والاهمال..

بالذي هو خير:

القناعة.. والتواضع.. والجد..

ولايجمل بالمومن ان يطلب الرزق

بالحيلة والخداع.. والحلف الكاذب.. وانما

لنسعى إليه بالوسيلة الشريفة:

فاذا اتى — وهو آت لا محالة — فذلك

فضل الله تعالى.. واذا بدا انه تأخر قليلا..

فان لنا في طاعة الله تعالى خير عوض.

إن للشيطان مسالكه الدقيقة الخفية

في مجالات البيع والشراء.. وكـان

الصالحون يتعوذون من السوء.. عندما

يدخلون السوق.. حيث يستثير الشيطان

غريزة حب المال المتمكنة في كيان

الإنسان.. النزاعة إلى التملك ولو من

طريق حرام.. ولذلك سد الرسول صلى

الله عليه وسلم منافذ الشيطان.. فنهى

عن الخداع.. والخيانة..

قال صلى الله عليه وسلم: (من حمل

علينا السلاح فليس منا. ومن غشنا فليس

منا) رواه مسلم وفي رواية «من غش»

وهي ابلغ من الأولى. من حيث تنديدها

بالغش. بغض النظر عن دين من تغشه.

مر رسول الله صلى الله عليه وسلم

على صبرة - كومة - طعام. فأدخل يده

فيها. فنالت اصابعه بلالا. فقال:

ما هذا يا صاحب الطعام؟

قال : أصابته السماء يا رسول الله.

قال:

افلا جعلته فوق الطعام حتى يراه

الناس! من غشنا فليس منا)

واذ يتدخل صلى الله عليه وسلم

مباشرة ليصلح ما افسد الشيطان.. فقد

كان يعلم الرجل القليل الحيلة حتى لا

يخدع من قبل الشيطان منهم: ذكر رجل

لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه

يخدع في البيوع؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(من بايعت فقل لا خلا به)(متفق عليه)

اي لا خداع.

وقد كان في الأسواق من لا عمل لهم

الا خداع الناس بطرائق شتى ومنها

النجش وهو: ان يزيد الرجل في السلعة.

لا يشترئها. ولكن ليغير غيره فيوقعه فيها.

وذلك قوله صلى الله عليه وسلم:

(لاتناجشوا)(متفق عليه).

وأصل النجش: الاستتار. لانه يستتر

قصده. ويقال للصائد: ناجش..

لاستتاره.. والنجاش كثير النجش.

والمقصود بهذه التوجيهات النبوية

المباركة دلالة التجار على طريق الربح

الوفير.. والحلال في نفس الوقت:

وفي الحديث:

الأمانة غنى: أي سبب الغنى:

فالرجل اذا عرف بالأمانة كثر

معاملوه. فصار ذلك سببا لغناه.

قال الاعشى:

لقد شهدت التاجر الأمّا

ن مسرورا شرابا

أي: الأمين..

من بركات الكسب الحلال

اخلاق اسلامية

لم يكن هم سلفنا الصالح أن يأكلوا ويتمتعوا.. مسترسلين مع الآمال في امتلاك الدنيا اللاهية..

انهم لم يطلبوا الشهرة.. ولا اندفعت بهم الشهوة وراء المناصب.. أو الثروة.. ولكن الهمة البعيدة تجاوزت هذه الغايات القريبة.. الى الغايات البعيدة.. فلم تقنع بما دون النجوم.

ومن هؤلاء سعد بن ابي وقاص رضى الله عنه.

قال : يا رسول الله: ادع الله ان يجعلني مستجاب الدعوة. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ياسعد: أطلب مطعمك. تكن مستجاب الدعوة.

والذي نفس محمد بيده: ان العبد ليقتذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل الله منه عملاً أربعين يوماً.

وايما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به.

ان رغبة سعد رضى الله عنه تتجه به الى أعلى في محاولة لتوطيد صلته بربه سبحانه وتعالى. والتي يرجو ان يكون بها في محل رضا ربه تعالى.. بحيث إذا دعاه.. أجابه سبحانه..

لكنه رجل واقعي.. يحس بضالة حظه من العبادة.. فيلجأ اليه صلى الله عليه وسلم ليحبر بالدعوة المباركة ما نقص من عمله.. ليتحقق أمله..

وكما قال صلى الله عليه وسلم لطالب الجنة: أعنى على نفسك بكثرة السجود.. فإنه يقول لسعد: أطلب مطعمك. تكن مستجاب الدعوة..

ومعنى ذلك : ان الرسول صلى الله عليه وسلم .. يفسح الطريق أمام الآمال لتبلغ مداها.. لكن الوصول إلى المأمول مشروط بان يغير الإنسان ما به من

عوج.. حتى اذا صلحت نفسه.. كانت قاعدة صالحة للانطلاق.. وذلك قوله تعالى ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ فاطر / ١٠

ومن الأمور التي تفسد النفس.. فينتكس دعاؤها : أكل الحرام.. ان اللقمة الحلال تخلص صاحبها من عقدة الذنب: فاذا هو آمن .. سعيد.. منبسط النفس.. مقبل على الحياة بكل كيانه.. قادر بهذه السعادة ان يسعد الآخرين.. بعلمه.. وعمله.. اللذين انطلقا من قاعدة سليمة.. فرفعها الله تعالى إليه... وتأكدت بذلك صلته بربه.. فكان بحرصه على الحلال.. مشمولاً بتوفيق الله تعالى.. فهو سبحانه طيب لا يقبل الا الطيب..

نذكر هذا.. ونتأمل بعض اناس يتمزقون لأنهم يدعون فلا يستجاب لهم. ولو أنهم فعلوا مايوعظون به فأكلوا الحلال.. لسقطت الحواجز بينهم وبين الإجابة والا.. فسوف يظل طريق الإجابة مسدوداً وستظل مقصوص الجناح مادمت على حالك مستسهلاً الحرام.. حتى على مستوى اللقمة.. ومايساويها مما لا يلتفت إليه أحد:

ان الورقة تأخذها من ديوان عملك.. والمكاملة الشخصية عبر الهاتف الحكومي..

والسيارة المسخرة لصالح المسئول ذاهبة آية..

كل أولئك قد فقد من طول الألفة دلالاته المخيفة على ما في أنفسنا من استمراء للحرام اليسير.. والذي يجرنا الى ارتكاب الكبير.. وقد تنجسوا بالاحتياط من الأسد.. ولكن عشرين نحلة قد تقتلك! فاذا سددنا بهذا التساهل طريق الإجابة.. فلا نلوم إلا

اخلاق اسلامية

لقد وصلت به الأمانة حدا أنه كان يملك كمية كبيرة من الزيت.. فرأى فأرا يقع فيه.. فكب الزيت كله على الأرض!

ثم انه لم يكن يقبل الا المال الحلال.. ويرفض ما كان فيه شبهة ولو كان وفيرا.. كان اذا جاءه درهم مزيف امسك به. حتى لا يروج في السوق. حتى اجتمع عنده يوما اربعمائة درهم..

الثرى .. والثريا

وأين من عثمان وابن سيرين رضي الله عنهما.. أين منهما ذلك التاجر الجشع الذي أشار اليه الحديث الشريف: (بئس العبد المحتكر: ان أرخص الله الأسعار حزن.. وان أغلاها فرح) فهو اناني بطبعه.. غير شاعر بالآلام الآخرين.. يسحب السلع من السوق ليتنافس الناس في شرائها بثمن مرتفع..

وهو سعيد قرير العين بهذه الأزمة المفتعلة التي اختلقها هو بسوء تدبيره. ولكن الله تعالى له بالمرصاد: يسلبه البركة في ماله وولده. في الوقت الذي يصير جالب السلع للناس ميسرا له أمره. مباركا له في ماله وولده.

منشأ هذا السعار

قضية الرزق من أهم القضايا التي تثير في قلب الإنسان انفعال الخوف على قوته.. وقد يشتد هذا الخوف.. فيحمل الإنسان على بذل كرامته من أجله.. ولكن الإسلام يلاحق هذه اللفتة — عبر الأحاديث الشريفة — ببيان أن الرزق بيد الله وحده.. ليطامن الإنسان من خوفه..

أنفسنا.. ان طعم المعصية في الأمر الصغير كطعمها في الأمر الكبير.. وأعظم العيون إبصارا تحجبها قشة! وبعد: فهذا هو ذا صلى الله عليه وسلم يقسم على صيرورة اللقمة الحرام نقمة على أخذها. ذلك بانه لا يأكلها.. فيهضمها.. فتسري في بدنه عاقية.. فذكرا. فشكرا.. وانما هو يقذفها في جوفه كرة ملتهبة يصير بها رمادا.. وليس للرماد صوت مسفوع.. ولا عمل مرفوع.

ابن سيرين التاجر الصدوق

كان الكاتب الروسي «تولستوى» يقول: «اعطني نظرية.. اية نظرية.. تجعلني أفخر بانسانيتي.. تجعلني أزداد حبا للسلام. والخير. وسيادة الأخلاق.. اعطني اية نظرية تجعل دموعي جاهزة على خدي. إذا جرححت أصبع لطفل صغير. تجعلني مستعدا لأن أضحي دائما بكل ما في يدي. من أجل مشهد جميل اخلاقي» ونحن لا نقدم للكاتب نظرية هي حبر على ورق.. وانما نقدم له.. وللدنيا كلها واقعا حيا.. يجعل من الأخلاق هدفه الأعلى.. بغض النظر عن ما يتنافس فيه المتنافسون من عرض هذا الأدنى..

نقدم له «ابن سيرين» كواحد ممن صنعهم الإسلام على عينه.. فكانوا بالأمانة تاجا على جبين الحياة: كان ابن سيرين تاجرا غنيا.. لكنه أفلس أخيرا.. وقضى بقية عمره يلاحقه الغرماء.. حتي أودع السجن بعد عجزه عن سداد الديون.. ولكن لماذا تراكمت عليه الديون؟

اخلاق اسلامية

وليحتفظ بكرامته.. متسلحا بالشجاعة في مواجهة الحياة.. فلا يستسلم لها. في ظل يقين جازم بأن تذلل للآخرين.. وإراقة ماء وجهه في طلبه لن يسوق اليه الرزق المقسوم له سلفا..
(وخير من اللهفة على الرزق. والشقاء المستمر بالتطلع للمزيد منه: الرضا بما يقع منه للإنسان. واليقين بزحمة الله له. فقد جعل الله فيهما الراحة والفرج للإنسان. وجعل في السخط: الحزن والهم له)

إلى ساحة الرحمة

وعلى البائع .. كما على المشتري أن يتعرضا لمساقط الرحمة.. من طريقها وهو السماح: قال صلى الله عليه وسلم: (رحم الله عبدا سمحا إذا اشترى سمحا إذا باع سمحا إذا اقتضى). وتظهر سماحة البائع فيما قرره علماؤنا:

- أ - ترك الخشونة في الخطاب.
- ب - تلافي المشاجرة.
- ج - الالتزام بالتسعيرة المقررة.
- د - عدم خلط البضاعة الجديدة بالبضاعة القديمة.
- هـ - عدم إثارة السلعة الرديئة بالبيع حتى يتخلص منها أولا. وذلك بخداع المشتري حتى يقبلها.
- أما سماحة المشتري فمن مظاهرها:
- أ - عدم التشدد في المساومة.
- ب - لا يشعر البائع بالتعالي عليه. حيث أثر بضاعته بالشراء. دون غيره من زملائه التجار
- فاذا كان هناك دين فان السماحة تفرض:

- أ - الترفق في الطلب.
- ب - انتظار لحظة اليسار.. بلا تعنت.
- ج - لا يمن ولا يؤذي. والمقصود الكلي: ترك الشح الذي اذا تمكن .. ساء به الخلق. وصعب البر على النفس. فيسوء التصرف.

معنى الدعاء بالرحمة

وقد دعا صلى الله عليه وسلم بالرحمة لمن كان متسامحا.. وان الرحمة في نتائجها لتفوق كل ربح مادي يحققه التاجر غصبا.. لانها تعنى: يسر وصول الخير الى البائع والمشتري.. جزاء يسرهما في التعامل.. واذا كان الجزاء من جنس عمل الإنسان.. أقبل عليه.. واشتاق إليه.

من ثمرات التسامح

- كان عثمان . وكان ابن سيرين من التجار الذين كسبوا المال من حله. ثم تحروا في انفاقه مصارفه الشرعية فحققوا بهذا الالتزام مايلي:
- أ - بارك الله لهم في أرزاقهم وأولادهم.
- ب - يسر لهم الحصول عليه.
- ج - أثابهم الله تعالى بما تسامحوا وبما أثروا جنات تجرى من تحتها الأنهار.
- هذا .. في الوقت الذي يغتنى فيه تجار محتكرون قساة الأكباد. غلاظ القلوب.. لكنهم حرموا هذا الخير.. وما أغنى عنهم كسبهم شيئا .. وإلا فأية سعادة تلك التي يحسها تاجر جشع تتضخم ثروته على

اخلاق اسلامية

الدقة في اختيار الموظف المناسب

قال صلى الله عليه وسلم: (من استعمل رجلا على عصابة. وفيهم من هو أرضى لله منه. فقد خان الله ورسوله والمؤمنين) (رواه الحاكم) وعلى هذا الأساس جرت سنة الخلفاء: عن يزيد بن ابي سفيان قال: قال لي أبو بكر الصديق حين بعثني إلى الشام: يا يزيد: ان لك قرابة عسيت ان تؤثرهم بالإمارة.

وذلك أكثر ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ولي من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة. فعليه لعنة الله لا يقبل منه صرفا - أي توبة - ولا عدلا حتى يدخله جهنم) (رواه الحاكم) والدقة في اختيار الموظف المحقق أهداف الوظيفة يوفر على الدولة متاعب الانحراف مستقبلا.. بقدر ما يعفيها من سخط القادرين الأحقاء بالوظيفة.. إلى جانب ما يصيب دولاب العمل من خلل.. الاعتذار عن العمل اذا لم يثق بقدرته على انجازه شرعا:

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه على الصدقة فقال: يا أبا الوليد: (اتق الله.. لا تأتي يوم القيامة ببيعير تحمله له رغاء. أو بقرة لها خوار. أو شاة لها ثغاء - صوت الغنم -).

قال: يا رسول الله: ان ذلك لكذلك. قال: أي والذي نفسي بيده.

قال: فوالذي بعثك بالحق. لا أعمل على شيء أبدا (رواه الطبراني في الكبير وإسناده صحيح) ونرى في الحديث:

حساب الآخرين من المطحونين..

فهل يستقيم أمر جسم ترهل.. وحوله أشباح هم حصاد مسغبة دبرها الجشعون.. وهبهم يدلون بعافية تسرى في دمائهم.. ولكن لا قيمة لعافية مخصومة من عافية المجتمع كله.. وليت شعري.. كيف يتذوق طعم العافية عضو سليم.. في جسد مشلول؟! إن صلاح النفس في الدنيا يكون بالقرآن الكريم..

وصلاح المجتمع كله ببذل المال.. وليس بذل المال أن تخرج من جيبيك قرشا تسد به جوعة محتاج.. ولكنه بالإضافة إلى ذلك: إتاحة الفرصة لغيرك - اذا كنت تاجرا - ليعيش مثلك.. ثم ليقف إلى جانبك من بعد. يشد من أزرك من أجل مجتمع هو في حاجة إلى كل أبنائه العاملين.

أمانة الموظف:

ونقصد بالموظف كل من ولي أمرا يأخذ عليه راتبا مهما كان حجم العمل صغيرا أو كبيرا ونقول ابتداء:

المفروض في الدولة المسلمة أنها: تدبر للعاطل عملا.. فاذا عمل.. منحته أجره بالعدل.. فاذا عجز.. جبرت عجزه بمعونة هي حقه.. فاذا شاب وقفت إلى جانبه.. ولو كان يهوديا!

وعلى العامل ان يدفع الثمن أمانة فيما أسند إليه من عمل!

فما هي حدود هذه الأمانة: وقبل ذلك ماهي مسئولية الحاكم عن اختياره للموظف؟

اخلاق اسلامية

مع ملاحظة ان من أنس من نفسه القدرة على عمل ما له ان يعرض نفسه.. يقول سبحانه:

﴿قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ يوسف / ٥٥ ولا بأس من أن يبلغ الحاكم بمن تؤهله مواهبه لإنجاز عمل ما اذا خفى لسبب ما: ﴿قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ القصص / ٢٦ إنها القوة الجسمية المحروسة بالأمانة.. والقدرة العلمية المحروسة أيضا بالأمانة تعرض نفسها. أو يعرضها غيرها.. لتأخذ نصيبها من العمل من أجل أمتها حتى لا تكون طاقة معطلة. فإذا قبل. فواجبه:

الاقتصار على الراتب المتفق عليه ابتداء ولا حق له فوق ذلك: (قال صلى الله عليه وسلم: من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا. فما أخذ بعد ذلك فهو غلول) رواه أبوداد أي خيانة. فمن أخذ من الديوان أو المدرسة: قلما أو ورقة.. ومن ركب السيارة في مصلحة شخصية. أو أخذ حتى ابرة.. فهو خائن:

(قال صلى الله عليه وسلم: من استعملناه منكم على عمل. فكتمنا مخيطا فما فوقه كان غلولا يأتي به يوم القيامة)

فإذا حقق الموظف ثراء من وراء وظيفته فليحاكم بقانون: من أين لك هذا كما فعل صلى الله عليه وسلم مع ابن اللثبية.. وليكن الحساب عسيرا ردا لغيره.

أهمية العدل:

يقرر علمائنا أن العدل في الشهادات والمنازعات الفكرية:

أن عبادة رضى الله عنه رشح لوظيفة محصل للصدقات.. وأراد صلى الله عليه وسلم ان يبين له طبيعة العمل وحدود مسؤوليته التي قد تسوقه يوم القيامة الى مثل هذا المصير الرهيب.. وفوجىء عبادة بما اعد للخائنين.. واحس في نفسه ضعفا يمنعه من تحمل الأمانة بنجاح رغم انه غير متهم.. فقرر عزل نفسه مقدما.. فرارا من هذا المصير.

لايحق للحاكم إكراه أحد على وظيفة

فاذا رفض المرشح تسلم الوظيفة تخرجاً.. وحفاظاً على دينه فليس من حق الحاكم ان يكرهه عليها: عن أبي مسعود الأنصاري رضى الله عنه قال:

بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعيا - جامعا للصدقة - ثم قال: (انطلق ابا مسعود. لا ألفينك تجيء يوم القيامة على ظهرك بعير من إبل الصدقة له رغاء قد غلته.

قال: فقلت: اذا.. لا أنطلق. قال:

اذا.. لا أكرهك) (رواه أبوداد).

فاذا باشر العمل وأحس بعجزه عن اتمامه بشروطه فليطلب إعفاءه من منصبه.. جاء في حديث رواه مسلم وغيره بعد ما حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاقبة الخيانة: (... قام إليه - صلى الله عليه وسلم - رجل أسود من الأنصار يقول الراوي: كأني انظر إليه فقال: يا رسول الله: اقبل عني عملك. قال: وما لك؟

قال: سمعتك تقول كذا وكذا)

اخلاق اسلامية

أ - أعلى قمم الصحة النفسية.

ب - آية تؤكد حضارة الأمة.

ج - كلمة الحق في موضعها.

تجلى بها الظلماء. تسكن في ظلها
الأحقاد. تقطع الطريق على الظلم
واستمراره. وقد تقع أمة في فساد العقيدة.
والتهافت في الشهوات. وهي أمراض يمكن
التخلص منها.

أو تخفيفها ببديل هو : العلم. والعمل.
فلا يعجل بهلاك الأمة.

أما إذا غاب القول العدل. والفعل
العدل. فهو الذي يصيب الأمة في قلبها.

وهناك أمم كثيرة. فاسدة العقيدة.. لكنها
تعدل .. فتنجح .. وأمم أخرى سليمة
العقيدة.. لكنها تفشل.. لغياب العدل
فيها.

وقد فهمت أمم غيرنا ما للعدل من
قيمة فحرصت عليه.. فأجل الله هلاكها..
ويذكرون في ذلك:

إن قائد السيارة اخطأ خطأ واحدا على
مدي نصف قرن من الزمان.. ولما عرضت
قضيته على المحكمة. توجه الى القاضي
برجاء حار. أن يحكم ببراءته. حتى تظل
صحيفة أعماله بيضاء من غير سوء.
وليظل قدوة طيبة لأبنائه واحفاده.

ولأن القاضي مؤمن بالعدل.. فقد حكم
عليه بالغرامة.. حتى لا يחדش قيمة
العدل.. ولأن القاضي إنسان.. فقد تطوع
ودفع الغرامة من جيبه هو!!

وإذا حرصت أمم الأرض على التمكين
لقيمة الأمانة والعدل.. بمعناهما القومي
الضيق.. فما أخرى أمة الإسلام أن تجعل
منهما شرعة ومنهاجا. □



لا ظلم.. ولكن

قال تعالى: ﴿ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين.
وإن كذبوك فقل لي عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما
تعملون. ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون.
ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون. إن الله لا يظلم
الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ الآيات ٤٠ - ٤٤ من سورة يونس.



هموم داعية

يقع كتاب «هموم داعية» لفضيلة الشيخ محمد الغزالي في (١٦٥) ورقة من الورق الأبيض المتوسط وهو من إصدار دار القلم دمشق. وأيضاً دار البشير - القاهرة والمؤلف الشيخ الغزالي غني عن التعريف فهو من العلماء القلائل الذين يتعاملون مع الواقع ويبدون آراءهم في القضايا المطروحة على الساحة. ومن بين كتبه الكثيرة اخترنا هذا الكتاب «هموم داعية».

يكشف هذا الكتاب قطاعاً من العلماء لا يجاوز ما يقولونه حناجرهم وذلك لأن تعصبهم لغير القرآن شديد وأفاقهم العلمية والعملية ضيقة، وهم في حقيقة أمرهم أعوان للكفار على هذا الدين وأهله - إما جهلاً منهم أو عن عمد مديري يشغلون الناس بقضايا لا تضر ولا تنفع. وهم مع ذلك متعصبون لافتراءات ليست من كتاب الله ولا من سنة رسوله الصحيحة الموثقة.

فيقول الشيخ في هذه الفئة في كتابه تحت عنوان «ضرورة العناية بالقرآن الكريم»: «ولست أقرر جديداً في هذا الميدان، والذي أراني مضطراً إلى التنبيه إليه هو ضرورة العناية القصوى بالقرآن نفسه فإن أناساً أدمنوا النظر في كتب الحديث واتخذوا القرآن مهجوراً، فنمت أفكارهم معوجة وطالت حيث يجب أن تقصر، وقصرت حيث يجب أن تطول، وتحمسوا حيث لا مكان للحماس وبردوا حيث يجب الثورة! نعم من هؤلاء من ظن الأفغانين من أتباع أبي حنيفة لا يقلون شراً عن الشيوعيين أتباع كارل ماركس لماذا؟ لأنهم وراء إمامهم لا يقرؤون الفاتحة (فاتحة الكتاب)!!»

ثم يقول فضيلته: والذهول عن المعاني الأولية والثانوية التي نضج بها الوعي المبارك لا يتم معه فقه ولا يصح دين.

وذكر أبو داود حديثاً واهياً جاء فيه عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تركب البحر إلا حاجاً أو معتمراً أو غازياً في سبيل الله تعالى،

كتاب الشهر

فإن تحت البحر نارا وتحت النار بحرا» هذا الحديث الضعيف المردود خدع به الإمام الخطابي، وعلل النهي عن ركوب البحر بأن الآفة تسرع إلى راكمه ولا يؤمن هلاكه في أغلب الأمر! والكلام كله باطل فقد قال المحققون: لا بأس بالتجارة في البحر... وما ذكره الله تعالى في القرآن إلا بحق قال الله عز وجل ﴿وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ «النحل ١٤»

ثم يقرر الغزالي «أن الغفلة عن القرآن الكريم والقصور في إدراك معانيه القرآنية أو الدقيقة عاهة نفسية وعقلية لا يداويها إيمان القراءة في كتب السنة - فإن السنة تجيء بعد القرآن، وحسن فقهها يجيء من حسن الفقه في الكتاب نفسه وقد ذكر ابن كثير أن الإمام الشافعي قال: «كل ما حكم به الرسول ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، فكيف يفقه الفرع من جهل الأصل؟».

ثم ينتقل بنا الشيخ إلى الواقع وإلى أمثلة واقعية ويعرض أمثلة من الحوار بينه «الغزالي» وبين أفراد ومجموعات من الناس يقضون سحابة عمرهم في دراسة السنن وصلتهم بالقرآن واهية وبصرهم جهة آياته كليل وهم لذلك لا يحسنون وضع الأحاديث في مواضعها العتيدة من كتاب الله. وبقوا سطحيين في فهم القرآن الكريم. بل قالوا بما يخالف القرآن وأي شذوذ أشد من مخالفة الرأي؟!

ويطلب منهم الشيخ أن يشرحوا المقررات الإسلامية وبيان الحقائق الثابتة من كتاب الله وما صدق من حديث رسوله فقط، ولا يقيموا أحكاما أو يخالفوا أو يقاطعوا وهم على غير معرفة بكتاب الله..

ويعرض فضيلته صورة أخرى فيقول:

«إن هناك مشتغلين بالعلم الديني قاربوا مرحلة الشيخوخة ألفوا كتباً في الفروع، وأثاروا معارك طاحنة في هذه الميادين ومع ذلك فإن أحدا منهم لم يخط حرفاً ضد الصليبيين أو الصهيونية أو الشيوعية إن وطأتهم أشد علي الأخطاء بين أمتهم وبلادهم أشد تجاه الأعداء الذين يبغيون استباحة بغيتهم، بأي فكر يحيا أولئك؟» ويقول الشيخ في موضع آخر:

إن تعلم الصلاة - وهي الركن الأول في الإسلام - لا يستغرق دقائق معدودات.. ولكن التدريب على اقتياد دبابه أو طائره أو غواصة يحتاج إلى زمان طويل.. فبأي فكر يطلع علينا القرن الخامس عشر «الهجري» وجمهورنا جاهل في فنون الجهاد، وبارع في الحديث حول تحية المسجد، ووضع اليدين في الصلاة ومستغرق في قضايا جزئية.

«إن هناك علماء - هم في حقيقتهم عوام - لا شغل لهم إلا هذه التثرثرات والتقعرات.. وقد أضاعوا أمتهم، وخلفوا أجيالا من بعدهم لا هي في دنيا ولا هي في دين!!»

وعلى الطرف الآخر أناس يسعون لفصل العروبة عن الإسلام يستنجدون بالصليبيين وهي أعدائهم والملحدين من الشيوعيين وهم أعداء الله والمسلمين.. ويتساءل الغزالي هل أقول «إن العرب لا يقرؤون وأنهم يجهلون ذلك حقا؟» ما أظن!!

ثم يؤكد فضيلته في كتابه «هموم داعية» أن قضية فلسطين خاصة يستحيل تجريدها من طابعها الإسلامي والديني.. إن الذين يبعدون الإسلام عن معركة فلسطين يشاركون في إبادة أمة وإزالة دين ويحولهم أجمعين إلى لاجئين بدون وطن وبدون دين..

كتاب الشهر

ويحدد الغزالي: الفساد السياسي كمرض قديم في تاريخنا وسبب كل علة، وهو يعرض في هذا الكتاب لأحوال المسلمين قبل الهزائم التاريخية الكبرى، وكيف أن التمهيد لها جاء خلال انصياع أمة المسلمين لحكام ورؤساء مستبدين منحرفين.. وعندما كانت الخلافة على أيام عمر بن الخطاب عبثاً ومغرماً ومسؤولية كبيرة، تقدم المسلمون وسادوا العالم وطهروا الأرض من الفساد والانحطاط وعندما تحول الحكم إلى الملك العضوض والاستبداد السياسي وخمدت أصوات الدعاة إلى الحق انفسح المجال لعارضي الأحاديث الذين يخطبون السنة الشريفة خبط عشواء ولفقهاء الفروع الذين خدعوا العوام بسلعهم وأوهموهم أنهم يشرحون لباب الدين وشعب الإيمان الكبرى، وهم في الحقيقة يذكرون تفاصيل ثانوية يكثر فيها الأخذ والرد ولا تمس جوهر العقيدة أو الشريعة وزاد الطين بلة أن فقهاء الفتنة غرفوا من أموال السلطة وأعلنوا حرباً غير شريفة على من يخالفهم..

ويقول الغزالي: «وعلى أهل المسؤولية الإسراع في جمع القوى وسد الثغرات، وحشد كل شيء لاستنقاذ وجودنا المهدد!

إن أي أمرىء يشغل المسلمين بغير ذلك إما منافق يمالئ العدو ويعينه على هزيمتنا، وإما أحمق يمثل دور الصديق الجاهل ويخذل أمتة من حيث لا يدري وكلا الشخصين ينبغي الحذر منه وتنبيه الأمة إلى شره.

ويعتبر الغزالي أن المليار مسلم الموجودين الآن أغلبهم أصفار... ولا بد من المصارحة الحاسبة بحقيقتهم الدينية المظلومة.

نعم لا بد من كشف القناع عن هذا الخداع حتى نستطيع الدفاع عن بيتنا المستباح وحقوقنا المهددة.

﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة﴾ الأنفال ٤٢ نريد أن نعرف من له دين ينتسب إليه حقاً ويحامي عنه في الضائقات ومن فرض عليه وصف لا يقدره قدره.. وحاشاي أن أكفر مسلماً أو أفسق مخلصاً ولكن الحساب الذي لا بد منه أمام هجوم متتابع لا يغني من رده الادعاء ولا يسد ثغراته الكذب..

وهو يعرض المسلم الحقيقي كإنسان ينطبع إيمانه على عمله وخلقه متعلقاً بالآخرة لا يبيع دينه بعرض من الدنيا..

والحقيقة أنه تظهر بين صفحات هذا الكتاب صورة للعمل الإسلامي المطلوب وهو الجهاد بكل أبعاده.. فالجماعات والحكومات والأفراد الذين يتولون الذين كفروا ويحسبون أنهم على شيء ويشغلون الناس بقضايا فرعية مزيفة إنما يخدعون أنفسهم ويخدعون الأجيال القادمة.. وهم في عملهم هذا يحاكون الذين يحاربون الإسلام تحت اسم الأحرار أو التقدميين.. كلا الفريقين يحاربون الإسلام وأمتة الكبرى استعادة لجاهليات يزدرىها العقل وتعافها الفطرة

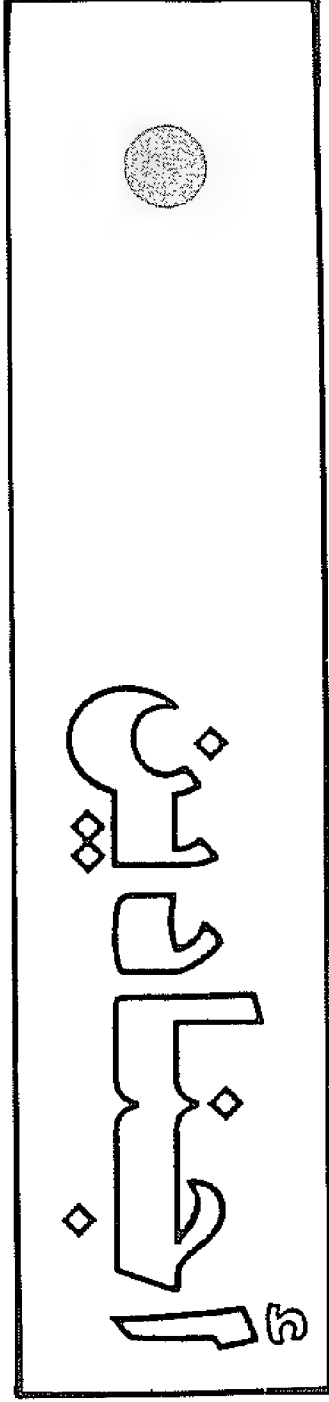
ويعقد الكتاب مقارنة واجبة بين الجهود الضائعة المحبطة للمنتسبين إلى العروبة المتمسكين بعبادة الأرض والتراب إذ غفلوا عن القوة الحقيقية التي رفعت العرب طليعة المسلمين ونصرتهم على القوى الأعظم وقتها وكان نتيجتها أن انضمت الشعوب والأمم تحت راية الإسلام وذلك بالجهاد في سبيل الله.

وبيع الدنيا وشراء الآخرة وكونوا الأمة الإسلامية الخالدة المنتصرة.

تاريخ اسلامي

تقدمة :

بدأ ظهور الدولة الإسلامية في منطقة ضيقة في الطرف الغربي لجزيرة العرب، ثم سرعان ما امتدت هذه الدولة وانتشر نفوذها حتى غمر الجزيرة العربية كلها وتعداها إلى مختلف بقاع الأرض، فشمّل من آسيا بلاد الشام والعراق وما إليهما من الشمال ثم اتجه إلى الشرق متنقلاً من إيران إلى الهند والصين وجاوة والملايو واليابان، ومن أفريقيا شمل مصر وبلاد النوبة والسودان والحبشة وأوغندا وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش وكثيراً من البلاد، وفي أوروبا امتد الإسلام عبر جبل طارق حتى جنوب فرنسا ثم إلى البلقان وسواحل بحر أوروبا من طريق البسفور وبحر مرمرة والدردنيل، كما نفذ إليها من طريق سيبيريا الغربية، ومالبت الإسلام حتى عم معظم بلدان العالم، وأصبح المسلمون يمثلون القوة الأعظم والحضارة الأرقى.. لماذا؟!!



الحركة التي قهرت امبراطورية الروم

الأستاذ : سعيد كامل معوض

والانقسام يتسلل إلى جموعهم، وبدأ الإسلام يتراجع ليفسح المجال لكثير من الأفكار والفلسفات، التي لم يكن لها ذكر أيام كان المسلمون على صلة وثيقة بربهم المعز، وعندما كانوا يستمسكون بحبل الله المتين، ويرجعون كل أمورهم إلى كتابه الخالد - القرآن الكريم - وسنة نبيه الشافية!، والسؤال الآن: لماذا تراجع المسلمون؟! هل لقلّة أعدادهم؟! هل

والناظر إلى خريطة العالم الإسلامي بالأمس القريب، والناظر إلى خريطته اليوم تملأ قلبه الحسرة وتملك لبه الحيرة.. فما عاد المسلمون هم القوة الأعظم، وما عادت حضارة الإسلام هي الحضارة الأرقى!، بل تأخر المسلمون كثيراً كثيراً عن ركب الحضارات الأخرى التي كانت تنهل من ينابيع الحضارة الإسلامية، ودب الضعف والوهن في نفوس بني الإسلام، فبدأوا يفقدون ربوعهم الواحد تلو الآخر، وبدأ التشتت



لضعف إمكاناتهم؟! هل .. هل؟! ألف هل تضخم علامة الاستفهام فتزيد الحيرة وتضيف إلى نفوسنا الندم والحسرة! والواقع المؤلم المرير أن السبب الحقيقي لتراجع بنى الإسلام هو بعدهم عن الإسلام! نعم لقد بعد المسلمون عن الإسلام وأهملوا أسلحته الماضية التي كان النصر حليفهم حين استخدامها.. أهملوا التوكل على الله، وتوكلوا على أعداء الله وأعدائهم.. هؤلاء الذين لا يعنيههم إلا البحث عن وسائل تدمير الإسلام

والمسلمين .. فيا للعجب العجيب، ويا للحظ العاثر، ويا للعار عندما يسلم المسلم إلى عدوه نفسه وعقيدته يلهو بهما كيفما شاء ووقتما يريد!، فمالنا لا نعود إلى الله ليعود إلينا الله؟! صرخة سأظل أصرخها فقد تجد صدى في النفوس!!... وهيا معنا عزيزي القارئ نستعرض موقعة أجنادين التي قهر فيها المسلمون - على قلة أعدادهم وعتادهم - إمبراطورية الروم وجيوشها القاهرة الظافرة دائماً!

تاريخ اسلامي

أحداث تمهيدية للمعركة:

عندما هاجر الرسول من مكة إلى المدينة وضع اللبنة الأولى في بناء صرح الدولة الإسلامية الشامخ، وأصبحت زعامة الرسول السياسية، وقيادته للدولة، كزعامته الدينية وأهليته لحمل الرسالة التي خصها به وخصه بها ربه عز وجل، وأراد الرسول أن يوحد شبه الجزيرة العربية تحت لواء حكومته في المدينة، وأن يظل العرب بظلال الإسلام، ولكن قبائل العرب في شمال الحجاز كانت تعتدي على قوافل المسلمين، تساندها في ذلك دولة الفرس ودولة الروم وهما أقوى قوتين حينئذ، ولم يقف الرسول والمسلمون مكتوفي الأيدي إزاء هذه الاعتداءات المتكررة، فأمر الرسول بتجهيز سرية مقاتلة قوامها ثلاثة آلاف مقاتل على رأسهم زيد بن حارثة، ونصح الرسول جنده إذا قتل زيد أن يولوا قيادتهم لجعفر بن أبي طالب، فإن قتل فالقيادة لعبد الله بن رواحة، وخرجت سرية الحق وخرج الرسول القائد يودعها، وسارت السرية في طريق الشام فقابلتها جيوش الحدود الغسانية على مسافة بضعة أميال شمال المدينة، فنشبت معركة بين الفريقين انتصر فيها المسلمون انتصاراً ساحقاً، فنقل الغساسنة أخبار هذه السرية وهذا النصر إلى حلفائهم من الروم، فقام «تذارق» شقيق الإمبراطور «هرقل» بتجهيز جيش جرار للقضاء على الحملة المسلمة!

- ووصل المسلمون إلى «معان» فعلموا بخبر جيش الروم فمازادهم ذلك إلا إيماناً واحتساباً، ودخلت السرية «البلقاء» فالتقت بجيش الروم عند قرية

«مؤتة» في جمادى الأولى من السنة الثانية للهجرة، واستمات المسلمون في القتال يبتغون إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، وتساقط قوادهم الواحد تلو الآخر، فاستشهد زيد بن حارثة، ثم جعفر بن أبي طالب، ثم عبدالله بن رواحة، وهم القادة الثلاثة الذين حددهم الرسول، فقاد المسلمين خالد بن الوليد الذي استطاع بذكائه وسعة حيلته النجاة بمن تبقى من جنوده والانسحاب إلى المدينة. حيث قابلهم بعض المسلمين بعبوس وغضب قائلين لهم: «يا فرار.. في سبيل الله!»، فرد عليهم رسول الله قائلاً: «ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله» وصدق الرسول فكانت للمسلمين صولات وجولات مع كفار الروم، وبرغم هزيمة «مؤتة» إلا أن هذه الغزوة كانت درساً مفيداً ومقدمة لفتح الشام والقضاء

على دولة الروم، فبعد فترة قصيرة من غزوة مؤتة بعث الرسول عمرو بن العاص على رأس جيش لقتال القبائل الشمالية المقيمة على حدود الشام، فلما وصل عمرو وجد أن قوته قليلة مقارنة بخصومه، فبعث إلى الرسول طالباً المدد، فأمدّه الرسول بحملة يقودها أبوعبيدة ابن الجراح، وانتصر المسلمون، ودخلت معظم قبائل الشمال في الإسلام في نفس العام.

.. وبعد فتح مكة ووقعة «حنين» أخذ الرسول في الاستعداد لحرب الروم، وفي صيف السنة التاسعة للهجرة أعلن الرسول الجهاد، وخرج الرسول يقود المقاتلين، فلما بلغ «تبوك» صالحه أهلها، كما صالحه أهل «أذرح» و«جرباء» في شرقي الأردن، وأهل «مقنا» بالقرب من

تاريخ اسلامي

«أيلة» (العقبة حالياً) .. وكانوا من اليهود فمنحهم الرسول حرية العبادة على أن يؤدوا الجزية، وأثناء إقامته في تبوك بعث الرسول بفرقة من الجيش بقيادة خالد ابن الوليد إلى «دومة الجندل» فأسر خالد أميرها النصراني، وأتى به إلى الرسول في المدينة، فصالحه الرسول على أن يؤدي الجزية.

ورغم ذلك ظلت حدود شبه الجزيرة العربية غير آمنة بسبب تحرش الروم والقبائل الموالية لهم من العرب واليهود بالمسلمين، فرأى الرسول بعد عودته من حجة الوداع أن يوجه إلى الروم حملة جديدة تقهر جبروتهم.

وفي السنة الحادية عشرة للهجرة تجهزت الحملة يقودها ابن شهيد مؤتة أسامة بن زيد بن حارثة، لكن الأجل لم يمتد بالرسول فانتقل إلى الرفيق الأعلى تاركاً عبء قيادة الأمة لأبي بكر الصديق رفيقه في الغار الذي انتخبه المسلمون خليفة لرسول الله. وبمجرد تولي أبي بكر القيادة، شقت بعض قبائل شبه الجزيرة

العربية عصا الطاعة وارتدت عن الإسلام، فما كان من أبي بكر إلا أن بعث بمن يؤدب هؤلاء العصاة المرتدين، ووسط تلك الخطوب التي واجهها أبوبكر رأي بعض المسلمين تأجيل حملة أسامة ابن زيد إلى الروم، إلا أن أبا بكر أصر على تسيرها، وسار أسامة فغزا قبيلة «قضاة» في أطراف الشام.

وبدأت أركان الدولة الرسلامية تتوطد، وفرغ أبو بكر من محاربة أهل الردة المنشقين، فسير الجيوش إلى أطراف شبه الجزيرة العربية لتشتبك مع الفرس والروم.. وتقدمت الجيوش الإسلامية، وتوالت أنباء انتصارات خالد بن الوليد،

والثني بن حارثة على جيوش الفرس في العراق، وفي الوقت نفسه أمر أبو بكر بتجهيز جيش لفتح الشام، وجعل عليه خالد بن سعيد بن العاص، ولما هاجم خالد الروم في أطراف الشام وجد أن جنود الروم أكثر قوة وعدداً، فعاد إلى المدينة طالباً المدد، وفي مستهل شهر صفر من السنة الثالثة عشرة من الهجرة عقد أبوبكر الألوية لأربعة من قواده:

– الفرقة الأولى وعلى رأسها عمرو بن العاص ووجهتها فلسطين.

– الفرقة الثانية وعلى رأسها يزيد بن أبي سفيان ووجهتها دمشق.

– الفرقة الثالثة وعلى رأسها شرحبيل ابن حسنة ووجهتها الأردن.

– الفرقة الرابعة وعلى رأسها أبوعبيدة ابن الجراح ووجهتها حمص.

وفي «وادي العربية» جنوبي البحر الميت التقى المسلمون والروم في أول لقاء حقيقي مباشر، وانتصر المسلمون انتصاراً حاسماً جعل جنود الروم يرتدون نحو غزة وتبعهم المسلمون، ورأي عمرو بن العاص ضرورة توحيد جيوش المسلمين في صف واحد.. وكتب بذلك إلى أبي بكر الذي رد عليه قائلاً: «اجتمعوا فتكونوا عسكرياً واحداً»

ولما رأى الروم انتصارات المسلمين المتتالية، قدم إمبراطورهم إلى حمص، وأخذ يعد العدة للقضاء على المسلمين قضاء مبرماً، فأرسل المسلمون إلي أبي بكر يفصلون له الموقف، ويطلبون

النجدة، فبعث أبو بكر إلى خالد بن الوليد في العراق يأمره بالتوجه فوراً إلى بلاد الشام كي يحسم الأمر.

وعبر بادية مهلكة بين العراق والشام، وبعزيمة ماضية وإرادة صلبة، وصل

تاريخ اسلامي

العنيد، وهرب «تيودور» إلى حمص، وتراجع هرقل إلى أنطاكية، وفر جنوده إلى طبرية.

هكذا كانت موقعة أجنادين فتحاً

عظيماً من فتوح الإسلام، فبعدها استولى المسلمون على «لد» و«عمواس» و«يافا» وباقي أنحاء فلسطين. ثم تمت بعد أجنادين موقعة «اليرموك» التي استولى المسلمون بعدها على كل بلاد الشام.

ويصف الضحّاك بن عروة هذه الموقعة الخالدة فيقول: «والله لقد دخلنا العراق ورأينا جنود كسرى، فما رأينا أكثر من جنود الروم، ولا أكثر من عددهم وسلاحهم، فنزلنا بازائهم، فلما كان الغد بادرت الروم نحونا، فلما رأيناهم وقد ركبوا، أخذنا على أنفسنا وتأهبنا، وإن خالداً ركب وجعل يتخلل الصفوف ويقول: اعلموا انكم لستم ترون جيشاً للروم مثل هذا اليوم، فإن هزمهم الله على أيديكم، فما تقوم لهم بعدها أبداً قائمة، فاصدقوا في الجهاد، وعليكم قائمة دينكم، وإياكم أن تولوا الأدبار فيعقبكم ذلك دخول النار، واقرنوا المواكب، ومكنوا المضارب، ولا تحملوا حتى أمركم بالحملة، وأيقظوا هممكم».

وكان الضحّاك هذا بطلاً من أبطال تلك المعركة الفاصلة في تاريخ الإسلام وبعد عزيزي القارئ فلنطرح السؤال الذي طرحناه في بداية هذه السطور من جديد: لماذا يتراجع المسلمون؟! ولنبحث معاً عن الجواب؟!

خالد إلى حيث وجهه أبو بكر، وبدأت انتصارات خالد في «حوران» و«مرج راهط» حتى وصل إلى «الثنية» بالقرب من دمشق، وهناك ركز راية العقاب - وهي راية سوداء كانت لرسول الله - فسميت لذلك «ثنية العقاب»، ومنها ارتحل خالد إلى الدير (المعروف الآن بدير خالد) ثم سار حتى نزل على قناة بصرى.. وعليها أبو عبيدة بن الجراح، ويزيد ابن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، فاجتمعوا وأمروا خالداً عليهم، وحاربوا بصرى وفتحوها وصالحوا أهلها على دفع الجزية، وكانت بصرى أول مدينة من مدن الشام تفتح في خلافة أبي بكر.

أجنادين :

وسار خالد على رأس الجيوش إلى «أجنادين» وهي بلدة بين «الرملة» و«بيت جبرين» في فلسطين، وهناك انضمت جيوش خالد إلى جيش عمرو بن العاص، لتواجه جيش الروم بقيادة «تذارق» شقيق «هرقل» وتقول روايات التاريخ إن جيش المسلمين لم يكن يماثل نصف جيش الروم الذي كان يزيد على التسعين ألفاً! والتقى الحشدان في اليوم السادس من شهر جمادي الأولى سنة ثلاث عشرة للهجرة، وانتصر جند الله بعد أن أبلوا بلاء حسناً.

وتقول روايات التاريخ إن في هذه الموقعة قتل من الروم ما يزيد على الخمسين ألفاً وتفرق من بقي منهم وتشرّدوا في بقاع الأرض.. أما المسلمون فقد سعد بالشهادة منهم أربعمئة وخمسون بطلاً أو يزيد قليلاً. وفي هذه الموقعة قتل «الأرطوبون» حاكم فلسطين

أضواء على «الاجتهاد والتقليد»

بقلم : عبدالفتاح حسين الزيات

من الأمور البالغة الدقة والتي تؤخذ بتؤدة وترو. مسألة الاجتهاد في الأمور التعبدية، ومبعث الدقة في هذه المسألة أنها تخص أقدس ما يمتلك الإنسان وهو عقيدته: ولذلك لابد من الضمانات الكافية حتى يكون الاجتهاد بحسب ما أمر به الشرع. بلا إفراط أو تفريط.

ولا يجوز بأي حال من الأحوال أن يتذرع متذرع بأن العصر الذي نعيشه أحوج ما يكون إلى الأخذ بمبدأ الاجتهاد لأي سبب. وعند أول بادرة، اعتمادا على مآلديه من حصيلة علمية قد لا تؤهله لتحمل تبعه هذه المسألة الخطيرة. ومبعث العجب في هذه الأيام ظهور كثرة من المفتين الذين يملأون الشوارع في بعض البلاد الإسلامية، فما تكاد تسأل أحدا منهم أي سؤال إلا وأجابك عنه في الحال وكأنه مكشوف عنه الحجاب، ورحم الله علماءنا السابقين الذين كانوا يطلبون مهلة حتى يحضروهم الجواب أو يحضرونه مستقبلا.

ومما لا شك فيه أن أشد ما تبثلى به أمة أن يقع التضارب والتضاد بين أصول شريعتها نتيجة الفهم الخاطيء والإفتاء بغير علم. وحتى يستبرئ المرء لدينه وتتضح الأمور على حقيقتها ولمعرفة الخطأ من الصواب في مسألة الاجتهاد نقول وبالله التوفيق: الاجتهاد مأخوذ من الجهد والمشقة وإعمال العقل، هذا من ناحية تعريفه اللغوي، أما عند الفقهاء فهو بذل الطاقة والسوسع في تحصيل حكم شرعي عملي بطريق الاستنباط وله شروط:

الأول: أن يكون المجتهد ذا فطنة تمكنه من استنباط الأحكام الشرعية.
الثاني: صحة إيمانه بمعرفة الباري - سبحانه وتعالى - وصفاته وتصديق النبي - صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به من عند الله.
الثالث: أن يعرف القرآن بمعانيه لغة وشرعا، وأن يعرف معاني المفردات والتراكيب وخواصها في الإفادة. وبالتالي فلا بد أن تكون لديه خبرة كافية بعلم اللغة من نحو وصرف، وأن يعرف المعاني المؤثرة في الأحكام ويعرف أقسام اللفظ من خاص وعام ومشترك ومجمل ومفصل ومشكل ومحكم وخفي ونص ومؤول وغير ذلك مما لابد منه في مثل هذه الأمور بحيث يمكن الرجوع إلى أي من ذلك إذا اقتضى الأمر.

فقه أسلا هي

الرابع: أن يعرف السنة متنا وسندا وحال الرواة والجرح والتعديل، وغير ذلك مما يقدح في الحديث أو يقويه.

الخامس: معرفة القياس بشرائطه وأحكامه وأقسامه والمقبول منه والمردود.

السادس: أن يكون على علم بمسائل الإجماع حتى لا يفتى بغير ما انعقد الإجماع عليه.

السابع: أن يكون عالما بالناسخ والمنسوخ علما يمنعه من الوقوع في الحكم المنسوخ.

الثامن: أن يكون عدلا، وهذا شرط في غاية الأهمية لقبول فتواه.

التاسع: أن لا يكون اجتهاده واقعا في مقابلة نص قاطع أو إجماع.

هذه شروط عامة وهامة لكل من يتصدى للاجتهاد في وقتنا الحاضر، فمتى تحققت هذه الشروط أو على الأقل الخمسة الأولى منها في أى من المسلمين. أصبح لزاما على من يسمعه أن يأخذ برأيه ولا إثم عليه.

فمتى أفتى مجتهد في مسألة وسواء كان هو المقصود أو غيره من المجتهدين سقط الوجوب عن الكل لحصول المقصود، ويكون مندوبا إذا كان في حكم شرعى من غير سؤال فيه أو مع السؤال ولكن قبل نزول الواقعة المسئول عنها، ويكون حراما إذا كان البحث في مقابلة دليل قطعى من نص أو إجماع لذلك فإن الاجتهاد بشروطه المتقدمة وهى شروط أساسية له، يعتبر من الأمور الدقيقة خصوصا في مسائل العقيدة، وذلك حتى لا يتصدى له كل مدع أو دخيل. فتضطرب الأمور، وتختلط المسائل وتصبح مصادرنا الشرعية في مهب رياح الأهواء والأغراض والنزعات الفردية.

فهل يوجد في زماننا هذا المجتهد الذى تنطبق عليه شروط الاجتهاد المطلوبة، لقد قالها الإمام الغزالي، فهو يرى (أن الزمن خلا عن المجتهد) لماذا؟

لانصراف الناس عن التبحر في العلوم الدينية واشتغالهم بالعلوم الآلية أو المادية حتى من اشتغل بالعلوم الشرعية فإنما يشتغل بالنذر اليسير ليكون طريقا للكسب، وقل في الناس من يتعلم العلم للعلم أو يبحث مسألة من المسائل. قصدا إلى إحقاق حق يدعو إليه، ولا يمكن تعميم الحكم وحال الناس ما ترى وأكثر أبناء الأمم ممن يقصدون دور العلم إنما يقصدونها للحصول على شهادات تمكنهم من الوصول إلى طريق الوظيفة، نعم إن باب الاجتهاد مفتوح، وهذا من يسر الإسلام وسماحته، ولن يغلق لأن أحدا لا يملك إغلاقه، وهذه رخصة أنعم الله بها علينا، حتى لا تضيق بأحكام الشريعة فنضل أو نزل، وليس هناك أى سبب علمي لإغلاق باب الاجتهاد.

نعم هناك ما يسمى بالاجتهاد المطلق. وهذا أغلق في القرن الرابع ومازال علماء يحاولون فتح رتاجه ولكنهم يعجزون أحيانا ويفلحون أحيانا ولكن بقدر ضئيل جدا، وهذا النوع من الاجتهاد وهو المتعلق بالأمور الدنيوية من وجهة النظر الشرعية حتى لا يتخذ ذريعة للاحتيال باسم الدين.

فهل هناك من المجتهدين مثل أبى حنيفة الذى قال له أبو جعفر المنصور ما رأيك في دماء أهل الموصل - وكان قد أخذ عليهم عهدا بأنهم إذا خرجوا عليه أبيحت دماءهم - فقال ابن تفرمة والآن وقال فلان. وفلان.

وقال أبو حنيفة: هل إذا شرط رجل إذا أعطى رجلا آخر حق القتل. أله أن يقتله؟ إن هذا شرط لا يملكونه، لأن أنفسهم بيد الله. ولا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزانى

والمرتد المفارق للجماعة، أو قاتل نفس فسادا في الأرض. فبأى حق تستحق دماءهم: فعمل أبو جعفر بقول أبي حنيفة: ولكن على مضض، نعم لو كان المجتهدون على شكل أبي حنيفة فأهلا بهم فنحن محتاجون إليهم ويجب أن يفتح على يديهم باب الاجتهاد وعلى مصراعيه. أما التقليد فهو العمل بقول من ليس قوله حجة: وعلى ذلك فالعمل بقول النبي صلى الله عليه وسلم - ليس تقليدا والعمل بالإجماع ليس تقليدا بل إن التقليد في المسائل الشرعية واجب على غير المجتهد لقوله تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون) وهو عام في جميع من لا يعلم فيجب عليه سؤال من يعلم، وقد جرى العرف من قديم الزمان على استفتاء غير العالم للعالم والأخذ عنه من غير تكبر، وليس من الضروري أن يكون المسئول مجتهدا مطلقا بل يجوز لمجتهد المذهب الذي هو (المطلع على مآخذ الأحكام وله ملكة الاقتدار على استنباط الفروع من الأصول التي مهدها أمامه) أن يفتي فيما يسأل عنه بمذهب إمامه من غير نقل لكلام إمامه حرفيا وتقبل فتواه على ذلك ما دام مشهودا له بالعلم والعدالة، وقد انعقد الإجماع على ذلك وأخذ كثير من العلماء يفتون وإن لم يكونوا مجتهدين اجتهدا مطلقا في جميع العصور من غير اعتراض.

أما من أفتى ناقلا ما حفظه أو وجده في كتب المذهب فهذا لا يعتبر مقلدا وإنما يعتبر ناقلا، وهو في هذه الحالة أشبه بالراوي، الذي تشترط له العدالة والضبط والحفظ وعليه في هذه الحالة أن يفتي بالراجح لا بالمرجوح، لأن العمل المرجوح إتباع للهوى وخضوع للأغراض الشخصية وذلك محرم شرعا ويحرم الأخذ به.

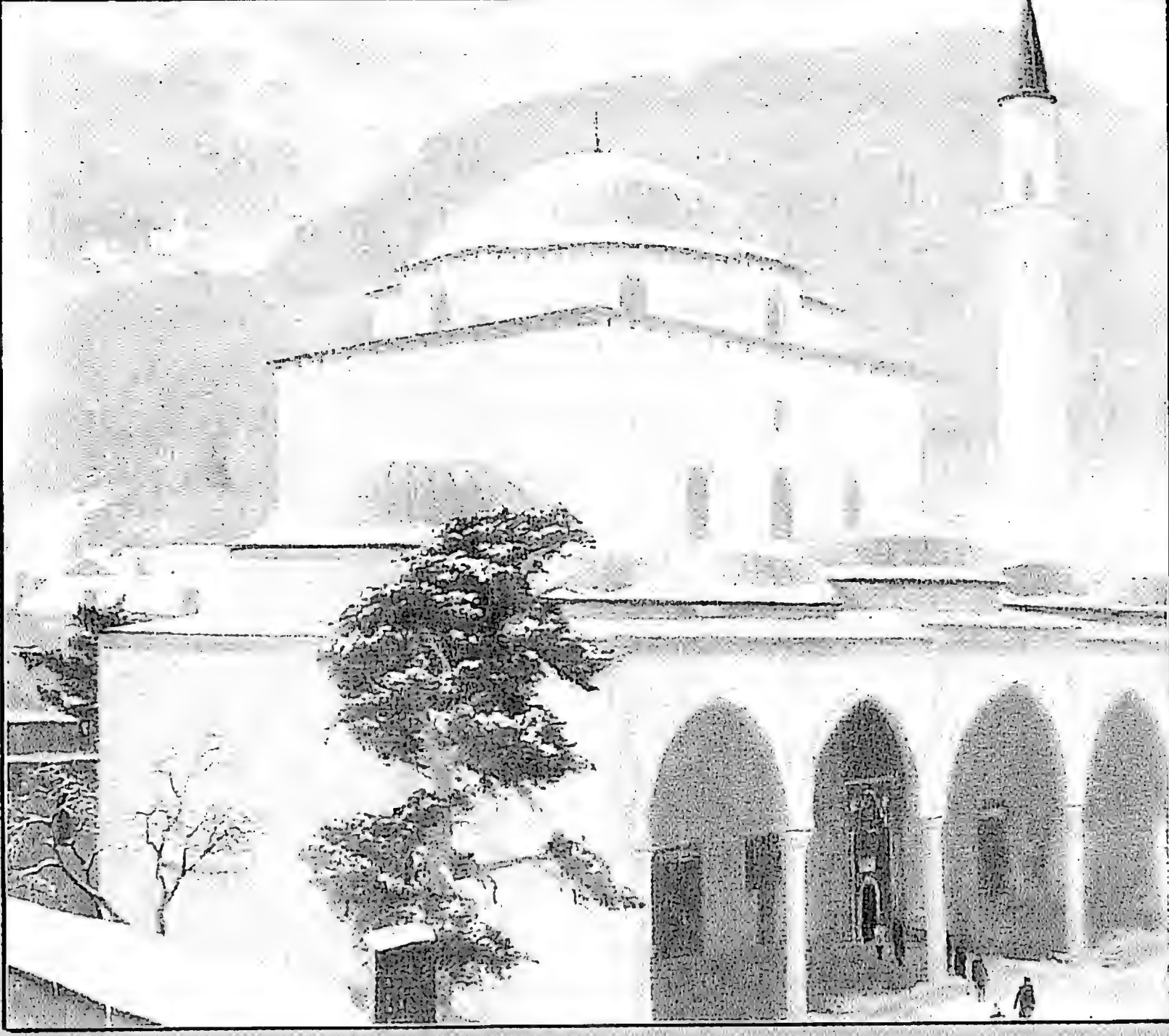
وحتى في التقليد لابد أن يكون المقلد فقيها، لأن من يسأله سوف يأخذ عنه وهو لذلك لابد أن يكون على درجة من الفقه تؤهله لتحمل هذه التبعية، وعلى ذلك لابد له من معرفة حال من يفتي بقوله بأن يعرف حاله في الرواية ودرجته في الدراية وطبقته من الفقهاء.

ولا يخفى أن الفقهاء طبقات منهم طبقة المجتهدين اجتهدا مطلقا، ومنهم طبقة المجتهدين في المذهب، ومنهم طبقة المجتهدين في المسائل التي لا رواية فيها عن صاحب المذهب وهؤلاء لا يخالفون إمامهم لافي الأصول أو الفروع ولكنهم يستنبطون الأحكام من المسائل التي لانص فيها عنه علي حسب الأصول التي قررها.

وهناك من طبقة المقلدين الذين لا يستطيعون تمييز الغث من السمين. أو حتى المدلول الشرعي للمسألة، وهؤلاء لا يجوز تقليد هم أو الأخذ عنهم، وكيفية معرفة هذه الطبقة أن يقع التضارب والتناقض في أقوالهم وأن يكون حكمهم في المسألة على غير أساس من دليل يقويه: أو أن يكون من أخذ عنه مجهولا اسما وعلمًا.

وعلى الجملة فإن الواجب على من يتصدى للفتوى مقلدا مذهباً أو إماماً أن يتبع الراجح من الآراء والأقوال ولا يتبع المرجوح بأي حال، وأن يعرف مراتب الراجح. قوة وضعفاً ويتروى في الإجابة حتى لا يقول على الله غير الحق.

من هذا يتضح أن مسألة الإفتاء في الدين من المسائل الحسوية والخطيرة التي يلزم لها استعداد خاص لا يتوافر لعامة الناس، وأن الوقوف على الحلال والحرام لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم الذين بحثوا ونقبوا وتحققوا. حتى تكونت لديهم أحكام شرعية تطمئن نفوسهم إليها قبل أن يخرجوا بها إلى الناس.



فعلى الذين جعلوا من أنفسهم مفتين بغير علم أن يتقوا الله في دينهم، وأن يتركوا هذا الأمر لأهله فهم به أحق وأعلم.
عليهم أن يتقوا الله فهذا خير لهم ألف مرة من أن يحرموا حلالاً أو يحلوا حراماً لا لشيء إلا أن يقال عنهم إنهم مفتون.
عليهم أن يعلموا أن قراءة كتاب من الكتب المتأخرة غير المحققة، منه يأخذون معلوماتهم وعنه يأخذون فتاويهم ليس حجة لهم بل قد يكون حجة عليهم لأن الفتوى قد تتغير بتغير الأحوال، فلا جمود للنص ولا خلود للفتوى.
ومن قال لا أدري فقد أفتى

الإحسان من الأخلاق التي أحبها الله سبحانه ودعا إليها وتخلق بها رسله الكرام وصفوة من عباده.. وهو منزلة رفيعة وخلق سام يدعو أهله لمقابلة كل شيء بأحسن منه، حتى السيئة يأمر الله عباده بمقابلتها بالحسنة... ولن يطبق عامة الناس ذلك ففيهم نفوس أماره بالسوء ولهم أهواء... لذا قضى الله بأن هذه المنزلة لا يلقاها على الثأر وبذا ينالون محبة الله وتكريمه. وكم جاء في أي الذكر الحكيم: ﴿أن الله يحب المحسنين﴾. وليس العجب من فقير مسكين يحب محسنا إليه إنما العجب من محسن يحب فقيرا مسكينا.. (١).

والإحسان يشمل المجتمع والفرد والدولة ولن تقوم تربية راشدة إلا إذا غرسنا معنى الإحسان في النفوس على أنه من محاب الله تعالى.. (٢).

المحسنون أهل محبة الله ومعيته

أولا : الإحسان مع الله

بقلم الاستاذ / عاطف شحاته زهران

جوامع الكلم التي أوتيتها صلى الله عليه وسلم... (٣).

أما إحسان العبادة فهو يعنى الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود سبحانه.

وقد سجل القرآن الكريم عباداتهم في آيات خالدة ترسم المنهج الذي ساروا عليه فقال: ﴿إنهم كانوا قبل ذلك محسنين. كانوا قليلا من الليل ما يهجعون. وبالأسحارهم يستغفرون.

وهو إحسان عبادته ومراقبته في كل حال كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام قال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» متفق عليه.

قال النووي: «معناه أن تراعى الآداب المذكورة إذا كنت تراه ويراك لكونه يراك لا لكونك تراه فهو دائما يراك.. وهذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين.. وهو عمدة الصديقين وبغية السالكين وكنز العارفين ودأب الصالحين وهو من

وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ﴿الذاريات: ١٦ - ١٩﴾

فقد منعهم تعلقهم بالله وعبادته من النوم.. وهم إذا ناموا هبوا بعد قليل ونفضوا عنهم كل شيء وجدوا للخلوة بالله ومناجاته سبحانه ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعا﴾ السجدة/ ١٦ فإذا جاء السحر إذا هم يستغفرون الله لتقصيرهم في عبادته خشية أن يرد الله عليهم قيامهم، فهم من الذين أثنى عليهم فقال: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة أنهم إلى ربهم راجعون﴾ المؤمنون/ ٦٠ فالاستغفار جعل ختاماً للأعمال الصالحة كلها... الصلاة والحج وقيام الليل، وتختتم به المجالس فإن كانت ذكراً كان كالطابع عليها وإن كانت لغوا كان كفارة لها.

وكان بعض الصالحين إذا صلى صلاة استغفر من تقصيره فيها كما يستغفر المذنب من ذنبه.. (٤).

ذل الفتى في الحب مكرمة وخضوعه لحبيبه شرف

إن قوما غرتهم العبادة أو حرموا الإخلاص فيها فحرموا ثوابها ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ الفرقان/ ٢٢.

أما هؤلاء فيعترفون بتقصيرهم دائماً.. ولا عجب فهم يوقنون أن الله هو الذي هداهم وأعانهم على عبادته.

خرج صلة بن أشيم رضي الله عنه في جيش إلى كابل فنزل الناس عند العتمة فصلوا ثم اضطجع صلة، فقال أحدهم لأرقبن عمله، فالتمس غفلة الناس فقام ودخل غيضة فيها أشجار كثيفة قريباً

منا فدخل الرجل على أثره فرآه توضأ ثم قام يصلي. وجاء أسد فدنا منه فلما سجد قلت: الآن يفتسه فجلس، ثم سلم وقال: أيها السبع اطلب الرزق من مكان آخر. فولى وله زئير تصدع منه الجبال، فما زال كذلك يصلي حتى كان عند الصبح جلس فحمد الله تعالى بمحامد لم أسمع بمثلاً ثم قال: اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار ومثلي يصغر أن يجترىء أن يسألك الجنة. قال: ثم رجع وأصبح كأنه بات على الحشايا وأصبحت وبني من الفترة شيء الله به عالم.. (٥).

ثانياً: الإحسان إلى الناس

لا يليق بمن تعامل مع مولاه بالإحسان أن يسىء إلى الناس قولاً أو عملاً.. والمحسن عرف من كتاب الله ومن سنة نبيه أن الإحسان إلى الناس باب لمرضاة الله سبحانه.. ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ يونس/ ٢٦ وجزاؤهم على إحسانهم من الله إحساناً. ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ الرحمن/ ٦٠.

وهم أهل معية الله سبحانه ﴿وان الله لمع المحسنين﴾ العنكبوت/ ٦٩ وهم أهل رحمته أيضاً ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ الاعراف/ ٥٦.

وهذه آية أخرى توضح سيرتهم وتحدد أخلاقهم.

قال تعالى: ﴿الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ آل عمران/ ١٣٤.

فكر اسلامي

فالآية حددت لهم معالم ثلاثة:

أولاً: الإنفاق في السراء والضراء:

ومن العجب أن تتصدر هذه الصفة ما سواها. مع أن الله أخرها في سورة الذاريات لمسيب الحاجة هنا.. فالحالة حالة حرب ونشر الدعوة، أما هناك فهم عابدون مستغفرون.. ويبقى الإنفاق من لوازم المحسنين على كل حال، فالمال فتنة وزينة ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ التغابن / ١٦.

وقال عز وجل: ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ البقرة / ١٩٥.

فالمسلم عضو في مجتمع متكامل يألم لألمه ويسعد لسعادته.. يرى غيره يبذل روحه في سبيل الله فكيف يضمن بماله وهو يبتغي سعادة الآخرة؟ إنهم ثابتون على البذل ماضون على النهج.. السراء لا تبطـرهم فتلهيهم والضراء لا تضجرهم فتنسيهم.. إنما هو الشعور بالواجب في كل حال والتحرر من الشح والحرص ومراقبة الله وتقواه.. (٦).

كيف يكون في مصاف المحسنين من يرى في الناس محتاجاً فيتخلى عنه؟ انه يعرف أن المال لله والله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وذلك من شكرها الذي هو قيد لها من التحول.. وشكر الإله يزيد النعم.

ثانياً: الكاظمين الغيظ

كظم غيظه إذا سكت عليه ولم يظهره لا بقول ولا بفعل.

قال المبرد: تأويله أنه كتم على امتلائه منه. يقال: كظمت السقاء إذا ملأته وسددت عليه.

وهم الذين يكفون غيظهم عن الإمضاء ويردونه في أجوافهم قال سبحانه: ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ الشورى / ٣٧.

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا» رواه ابن أبي الدنيا.

قال سبحانه: ﴿ادفع بالتى هي أحسن السيئة﴾ المؤمنون / ٩٦. وقال: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ النحل / ١٢٦.

إن الغيظ وقر على النفس حين تكظمه وشواظ يلفح القلب ودخان يغشى الضمير فأما حين تصفح النفس ويعفو القلب فهو الانطلاق من ذلك الوقور والرفرفة في آفاق النور والبرد في القلب والسلام في الضمير (٧)

ثالثاً: والعافين عن الناس

قد تكظم غيظك ولكنك تحقد وتنتظر فرصة للتأثر.. أما المحسن فيكظم في عفو محتسباً الأجر عند الله الجواد الكريم ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ الشورى / ٤٠.

أما نفسه وحظها من التأثر فلا مجال لها.. إنه أمات نفسه الأمانة بالسوء، فلم يعد يهتم بما سيقوله الناس عنه بل ماذا سيكون مصيره هناك.. وفي أي درجة

فكر اسلامي

سيكون؟ إن الإحسان جعله خلقاً آخر.
قال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ
اللَّهَ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ المائدة / ١٣.
وقد قيل: ما عاملت من عصى الله فيك
بمثل أن تطيع الله فيه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«من سره أن يشرف له في البنيان وترفع له
الدرجات فليعف عمن ظلمه ويعط من
حرمه ويصل من قطعه» رواه الحاكم في
المستدرک وصححه.

جاءت جارية ميمون بن مهران
بصحفة فيها مرقعة حارة وعنده أضياف
فعثرت فصبت المرقعة عليه فأراد ميمون
أن يضربها فقالت الجارية: يا مولاي
استعمل قول الله «والكاظمين الغيظ» قال
لها: قد فعلت، فقالت: اعمل بما بعده
«والعافين عن الناس» فقال: قد عفوت
عنك، فقالت الجارية: «والله يحب
المحسنين» قال ميمون: قد أحسنت اليك
فأنت حرة لوجه الله تعالى (٨).

قال الرازي: والإحسان إلى الغير إما أن
يكون بإيصال النفع إليه أو بدفع الضرر
عنه فإيصال النفع المراد بقوله: «الذين
ينفقون في السراء والضراء» ورفع الضرر
عن الغير إما أن يكون في الدنيا بكظم
الغيظ وإما أن يكون في الآخرة وهو المراد
بقوله: «والعافين عن الناس» فصارت
هذه الآية من هذا الوجه دالة على جميع
جهات الإحسان إلى الغير.. (٩).

الإحسان صور ومواقف

قدم القرآن الكريم صوراً تتجلى فيها
أخلاق المحسنين.. وجههم إليها القرآن
لكي يوتوا قدوة لغيرهم في مجالات الخير..

فبعد أن نهى الله عن أكل الربا وتوعد
بالمحق من تعاملوا به وجه لما يجب أن
يكون عليه المسلمون من تعامل، وقدم
البديل الإسلامي الصحيح للربا فقال:
﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة
وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم
تعلمون﴾ البقرة / ٢٨٠

فالمرابي يمتص دماء الناس ويسعى
لزيادة ماله بكل طريق غير مبال بغيره،
أما المحسن فيقرض قرضاً حسناً وينظر
المعسر أو يحط عنه، إنه صورة تبرز ما في
الإسلام من سمو خلقي وحرص على
مصلحة المجموع.. إنه يسعى لينال حظ
المحسنين عند الله « وما عند الله خير
أوبقى»

وفي مجال القصاص والديات يوجه
القرآن لما ينبغي أن يقدم على غيره، فإن
كان القصاص حقاً فهناك ما هو أولى

﴿فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع
بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾ البقرة
/ ١٧٨ أي إن عفا ولي المقتول عن
القصاص وارتضى الدية.. وانظر لروعة
التعبير القرآني الذي عبر عن الغريم بالأخ
إبرازاً لمعنى المصالحة وأنها قلبت الشر
الأكيد إلى حب وطيد، والتباعد إلى تقارب
وتآخ... وفي الآية الكريمة إيماء بقيام
الصفاء مكان الجفاء والمودة مكان العداء
فلا تثار ولا عدوان ولا مكان لنزغ
شيطان (١٠).

أما مجال العلاقات الأسرية فليكن
الإحسان هو السائد بين أطرافها فلا مانع
من التنازل عن بعض الحقوق أو
التساهل أحياناً ليبقى الإحسان مظلاً
تلك العلاقات.. وما أقساها من حياة حين

تخلو من الإحسان! قال سبحانه: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ البقرة/ ٢٣٧.

فالتمسك بالحق ليس عيباً.. أما التنازل عنه أو عن بعضه أحياناً فذلك شأن أهل الإحسان وهذا هو المنتظر والمقبول في مثل هذه الأحوال، فإذا تعذرت الحياة بين الزوجين، وتنافرا إلى الحد الذي لم يبق معه أمل في حياة آمنة يغشاها السكن والمودة وأصبح الطلاق هو آخر الدواء هنا في هذا الجو الملبد بوجه الله أيضاً إلى الإحسان: ﴿فَأَمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحَ بِإِحْسَانٍ﴾ البقرة/ ٢٢٩.

لا تفكر في تبديد حق من حقوقها أو إجبارها على ما يضر بها.. وأخلاق المحسنين تملئ عليك حتى في هذا الموقف الحرج أن تعاملها بكل خير وهذا ما قدر الله.

﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ هل هناك أعجب من ذلك؟ وقد قيل: ليس الإحسان أن تحسن لمن أحسن إليك ذاك مكافأة إنما الإحسان أن تحسن لمن أساء إليك...

وختاماً:

إن الله سبحانه وتعالى حباناً بتلك القيم وضمن لأهلها سعادة الدارين فإذا رأينا غير ذلك فلأن القوم لم يقدرُوا قيمة ما بأيديهم ولم يحسنوا الإفادة منه.. فلم يحسنوا إلى أنفسهم.. فتأخروا بدل أن يتقدموا، وقد سجل التاريخ بفخر

لأسلافنا تقدمهم وانتصاراتهم لما عرفوا قدر هذه القيم.. فلما تخلى عنها هنا على الله وعلى الناس..

«فالرسالات العظيمة تنجح عندما تجند لها المواهب العظيمة وهذه المواهب تبدأ بتعود النظام وتنمية الملكات واستكشاف القدرات والخبرات والتجاوب مع فطرة الله في الانفس والآفاق والكراهية الشديدة للتبليد والكسل والعجز والكراهية الأشد للفساد ورؤية الفوضى تدس أصابعها في كل شيء فتجعل العامر بلقعا والدين تواكلا وتخلفا وانهزاما أمام إلحاد مقدمات وشهوات جموح». (١١) فما أحوالنا للإحسان في كل مجالات حياتنا وعلى كل المستويات.. رزقنا الله الإحسان وأعزنا بالإسلام وهدانا لكل خير. □

المصادر

- ١ - ابن القيم - الفوائد ص ٥١
- ٢ - محمد الغزالي - المحاور الخمسة للقرآن الكريم ص ١٩٨.
- ٣ - ابن حجر العسقلاني - فتح الباري ج ١ ص ١٤٦.
- ٤ - ابن رجب الحنبلي - لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص ٢٢٨ و ٢٢٩
- ٥ - ابن القيم - اغاثة اللفهان من مصايد الشيطان ص ٨٥.
- ٦ - سيد قطب في ظلال القرآن ج ١ ص ٤٧٥.
- ٧ - نفس المصدر والصفحة.
- ٨ - تفسير القرطبي ج ٤ ص ٢٠٧
- ٩ - تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب ج ٤ ص ٤٥٨.
- ١٠ - ابن الخطيب أوضح التفاسير ص ٣٣.
- ١١ - محمد الغزالي المحاور الخمسة ص ١٩٩.

الصحة الاجتماعية في الإسلام

الصحة الاجتماعية: تعبير يقصد به أن يكون الانسان متوافقا مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه والتوافق مع النفس يعنى ان يكون الانسان قادرا على التعامل معها والسيطرة عليها فتكون حياته خالية من التوترات والصراعات النفسية التى تقترن بعناصر القلق والضيق والشعور بالذنب وهو يواجه المشكلات بطريقة موضوعية فينعم بحياة مستقرة هادئة ويشعر بالرضا والاقبال على العمل والانتاج ويزداد ارتباطه بالحياة وبالعمل والتعاون لخير الجماعة وتقبله راضية مرضية، حالات لا يغشاها الاحتكاك والتشكي والشعور بالاضطهاد وبدون ان يشعر بحاجة الى السيطرة او العدوان على من يقترب منه أو برغبة ملحة في إطرأهم او استمرار عطفهم او طلب المعونة منهم.

* بقلم الاستاذ: علي القاضي

وضعه رب العالمين العالم بنفوس خلقه ما يصلحهم وما يصلح لهم وهو لذلك منهج فطري يسر للقلوب السليمة والنفوس المستقيمة التى تهتدي الى الطريق السوي.

وهذا المنهج هو بمثابة العروة الوثقى التى تربط بين افراد الامة الاسلامية مهما اختلفت اجناسهم ولغاتهم وزيهم واللوانهم واشكالهم، نور يضىء قلب المسلم فيتعرف طريقه ويوضح له الحقائق ويبين له ما هو مقبول وما هو

والانسان لا يستطيع ان يعيش في مجتمعه عيشة راضية مرضية الا اذا استطاع ان يتعامل في المجتمع على اساس من الفهم والتقدير وبذلك يكون اقدر على ضبط نفسه في المواقف التى تثير الانفعال فهو لا يثور ولا يتهور لاسباب تافهة ولا يعبر عن انفعالاته بصورة طفلية الى جانب قدرته على معاملة الناس له بصورة واقعية لا تتأثر بما تصوره له افكاره عنهم، ولذلك يوصف المتوافق اجتماعيا بأنه ناضج انفعاليا.

الاسلام والصحة الاجتماعية:

منهج الصحة الاجتماعية في الاسلام

* المحاضر بكلية اللغة العربية والدراسات الاسلامية طشقند / اوزبكستان

مرفوض في نظر الاسلام وما هو حلال وما هو حرام من خلال الشريعة ويمكن به قلب المؤمن فلا يطيع هواه ولا تغلبه الشهوات ويقنع عقل المسلم فلا يستجيب للمناهج الاخرى وهذا المنهج فيه الكمال والثبات والصدق والشمول والعمومية.

والفرد يخاطبه الاسلام بدون وساطة ويعطيه حقوقا ويلقى عليه تبعات تبرز في النهاية كيانه الفردي المستقل فله حق الملكية الخاصة وهو عضو عامل في المجتمع، والجماعة يخاطبها الاسلام كذلك ويعطيها حقوقا ويلقى عليها تبعات تبرز كيانه المترابط من الشورى والدعوة الى الخير والبعد عن كل ما حرم الله.

وقد اثبتت الدراسات النفسية ان القيم الروحية تجنب الفرد الوقوع في الخطأ وبالتالي تخفف منه حدة التوتر الذي يسببه له تصارع الدوافع والاتجاهات وما يؤدي اليه من مشاعر الذنب الناتجة عن ارتكاب الاخطاء.

والانسان يشعر بالامن النفسي حينما يسلك سلوكا مقبولا نابعا من قانون اخلاقي يستند الى الدين ففي ضوء هذه القيم يعيش الفرد في اطار نفسي وفكري يستمد منه دائما أنماطا سلوكية سليمة وبالتالي صحة اجتماعية سليمة.

والمسلم الذي يتمسك بقيم الاسلام يجد سندا قويا يلجأ اليه اذا ضاقت الامور به وشعوره بهذا السند المتين يكون باعنا له على الاطمئنان النفسي يقول الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ الاسراء / ٨٢.

فالقرآن شفاء من القلق ومن الحيرة ومن الاضطراب ذلك لان المسلم يحس بأن الله يرعاه فيحس بالراحة

والاطمئنان والامن وذلك يبعده عن اليأس والقنوط. والى جانب ذلك فان الاسلام له قيمه البعيدة عن قيم الناس في المجتمعات المختلفة فالمال والجاه ليس لهما اهمية كبيرة، ثم ان المسلم اذا اراد شيئا في هذه الحياة فانه لا يسأل الا الله ولا يلجأ الا الى الله. قال تعالى ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّٰهُ بِهِۦ بِعُضُكُمۡ عَلٰى بَعْضِ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٍ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاَسْأَلُوْا اللّٰهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ النساء / ٣٢.

والاسلام يجعل المسلم يحس بكيانه وبأهميته في الحياة لانه خليفة الله في الارض يحق الحق ويبطل الباطل وينشر العدل والامن بين الناس ويحس بأن الكون وما فيه صديق له وقد سخره الله له قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْاَرْضِ جَمِيعًا﴾ البقرة / ٢٩. فهذا يجعله في راحة نفسية كما يجعله اقدر على التكيف مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه.

والاسلام يقوى عوامل الصحة الاجتماعية المتمثلة في القدوة الصالحة والترغيب والملاينة وقد قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْاَمْرِ﴾ آل عمران / ١٥٩. لان الافراط في العقاب أو اللوم قد يفضي بالفرد الى حالة من اليأس وعدم الاكتراث، وقد ترتب على الصحة الاجتماعية التي تحققت في المجتمع الاسلامي الاول ان دخل الناس في دين الله افواجا لانهم وجدوا في صاحب الدعوة الرجل الذي يعرف نفسه ويسير في الطريق المستقيم ووصلت الصحة

صحة اجتماعية

الاجتماعية وسعادة الافراد والجماعات في المجتمع الاسلامي الى درجة تهفو اليها نفوس الناس في الشرق والغرب على السواء.

مظاهر الصحة الاجتماعية:

وللصحة الاجتماعية مظاهر يراها الناس ويحس بها الافراد والجماعات ومنها:

التوازن:

وهو القاعدة الكبرى للصحة الاجتماعية في الاسلام ذلك ان الغلو كالتفريط يخل بالتوازن ويتمثل التوازن في بدايته في السلبية بالنسبة لله سبحانه وتعالى وفي الايجابية بالنسبة للبشر.

والسلبية: بالنسبة لله الخالق ميزة للمسلم ذلك ان التسليم المطلق لله

والطاعة لاوامره ونواهيه هو تسليم الحب والاجلال قال تعالى: ﴿قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ آل عمران / ٣١. بل ان المسلم يستمد ايجابيته تجاه الناس والاحداث من تسليمه لله سبحانه وتعالى. والسلبية بالنسبة لله تعالى تظهر في سلوك المؤمن في العبادات بمعناها الشامل

للزمان والمكان والتي تجعل الدنيا كلها معبداً للمؤمن ويظهر هذا في قوله عليه الصلاة والسلام: «ان من الذنوب ذنوباً لا تكفرها الصلاة ولا الصيام ويكفرها السعي على العيال» وفي قوله «لان يمشي احدكم في حاجة اخيه خير من ان يعبد الله شهراً في مسجدي هذا».

والايجابية: بالنسبة للبشر تعنى الا يكون المسلم امعة يسير في اتجاه الناس صواباً او خطأ بل انه ينصح ويوجه ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو الى الله على بصيرة.

والايجابية في حقيقتها التقاء النظام الواعي الذي يستهدف السيطرة على الحياة ويوجهها طبقاً لحاجات الفرد وحاجات المجتمع البشرى كله، ومن التوازن ان يكون الانسان وسطاً في كل اعماله ومن ذلك التوسط في الانفاق قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ الاسراء / ٢٩. ومن ذلك ايضا التوسط في اقامة الشعائر وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم:

«ان اتقاكم واعلمكم بالله انا ومع ذلك فاني اقوم وانام واصوم وافطر واتزوج النساء هذه سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني» البخاري.

الرجل والمرأة:

وقد جعل الاسلام الصلة بين الرجل والمرأة قائمة على التوازن ووضع لها ضوابط:

أ - ضوابط شخصية: وتتمثل في الاستقامة على قوانين الفطرة الطبيعية، حياة الطهارة والعفة والتقوى قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ النور / ٣٣.

ب - ضوابط اجتماعية: وهي تتمثل في غض البصر بالنسبة للمرأة وللرجل على السواء، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ

صحة اجتماعية

يغضوا من ابصارهم ويحفظوا
فروجهم ﴿النور/ ٣٠﴾ وقال تعالى:
﴿وقل للمؤمنات يغضضن من
ابصارهن ويحفظن فروجهن﴾ ﴿النور/
٣١﴾ وحرم الاسلام خلوة الرجل بالمرأة
الاجنبية.

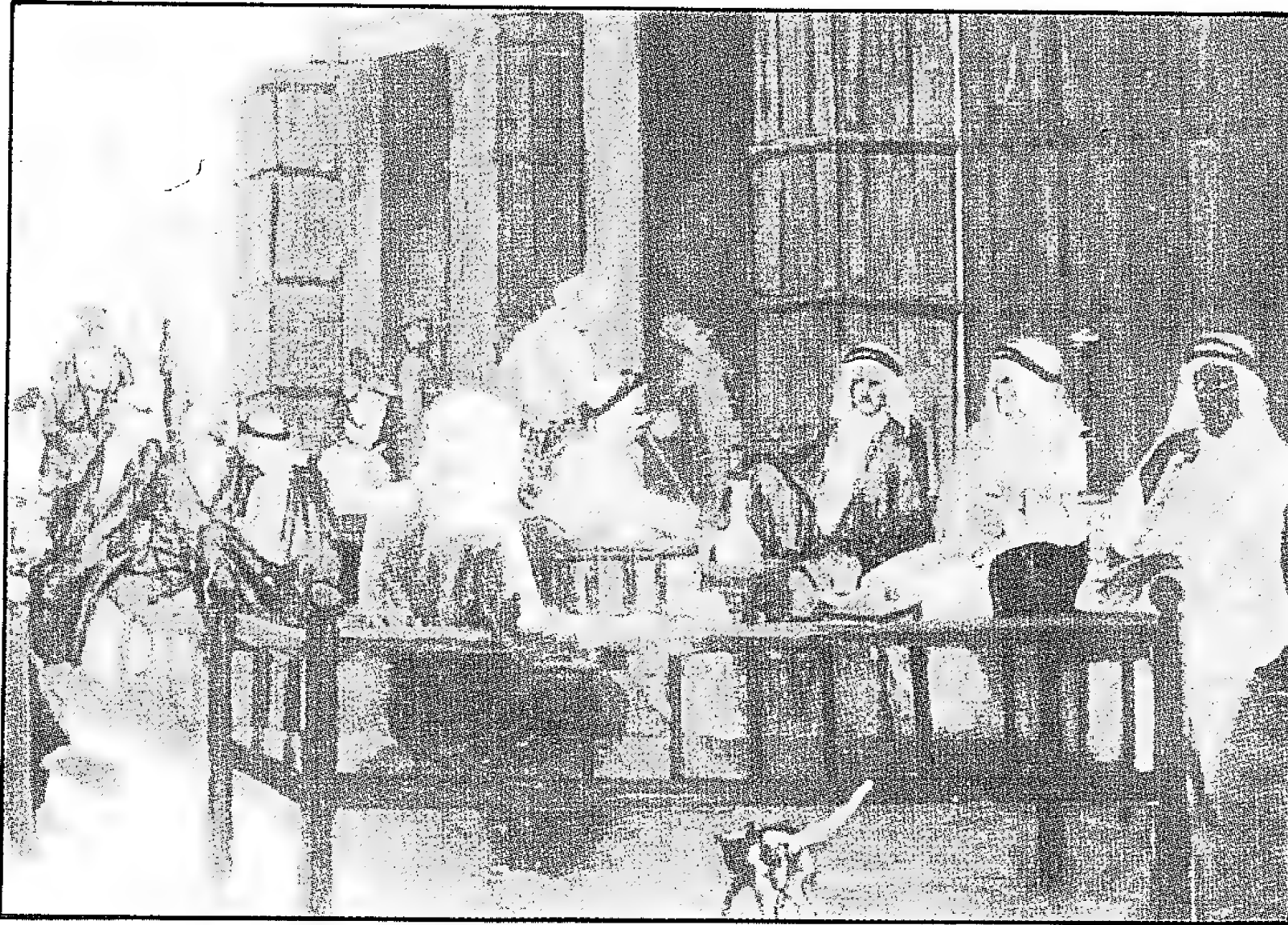
وحدة المجتمع:

ومن مظاهر الصحة الاجتماعية وحدة
المجتمع واعتصامه بحبل الله وعدم
التفرق فالمؤمنون اخوة وهم كالبنيان
المرصوص يشد بعضه بعضا، وكالجسد
الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له
سائر الاعضاء بالحمى والسهر، والمسلم
اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه.
والتناصح بين المسلمين من مظاهر
الصحة الاجتماعية على ان يكون لله

ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم،
وكذلك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
فمن واجب كل مسلم رأي منكرا ان يغيره
بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم
يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان.
ووحدة المجتمع الاسلامي تستلزم

العدالة الكاملة والمساواة الحقيقية بين
الناس جميعا. كما تستلزم الشورى
وطلب العلم طوال الحياة بحيث لا يبقى
في المجتمع الا عالم او متعلم والله
سبحانه وتعالى يقول: ﴿يرفع الله
الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم
درجات﴾ المجادلة/ ١١.

ومن مظاهر الصحة النفسية العمل
الصالح الذي يحقق وظيفة المسلم في
الحياة والمسلم مطالب بالعمل الدائم
حتى يلقي الله وكل ذلك في ميزان



صحة اجتماعية

اثر الصحة الاجتماعية:

المجتمع الاسلامي يبني لاهداف يحققها كل فرد في حياته كما يعنى لما بعد الحياة.

والغاية من هذا كله تحقيق سعادة الفرد والمجتمع في الدنيا والاخرة، والمجتمعات الغربية المعاصرة مع تقدمها في العلم والانتاج فانها تفتقد السعادة الحقيقية لانها تفقد الامن الداخلي كما تفتقد الامن الخارجي.

وهى في حاجة الى نهج جديد يحقق ما تفتقده ويجعلها تحس بالاطمئنان وهذه رسالة المسلمين قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ اُمَّةٌ يَدْعُونَ الى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ آل عمران / ١٠٤، وقد لاحظ المستشرق الفرنسي ادوار نوفتيه مدير جامعة جنيف الصفات الموجودة في المسلمين والتي تدل على الصحة الاجتماعية فقال:

«الاسلام ينتشر بوساطة المسلمين انفسهم فالمسلم على وجه العموم مؤمن قوى العقيدة وتلك خاصية من خصائص الدين الاسلامي ان يستحوذ على نفس المؤمن بكلية وجزئته في الحياة، فيسعد الافراد ويسعد المجتمع كله ويتبع هذا المنهج من يريد ان يسعد من المجتمعات الاخرى التى تسير الى الهداية» وصدق الله العظيم القائل ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ اِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد / ٢٨ □

حسناته مادام يبتغي به وجه الله يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «انما الاعمال بالنيات وانما لكل مرء ما نوى» البخاري.

وحتى اذا كانت الساعة وفي يد المسلم فسيلة فاستطاع الا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك اجر كما في الحديث الذي رواه احمد.

فالكفاية في العمل والانتاج في حدود ذكاء الفرد وقدراته المختلفة تجعل الانسان يطمئن الى ادائه لوظيفته في الحياة والقدرة على ضبط النفس، وتحمل المسؤولية تجعل الانسان يشعر بالسعادة حين يواجه مشكلات الحياة بالحكمة.

الصحة الجسمية والنفسية:

ومن مظاهر الصحة الاجتماعية ان تكون صحة افراد المجتمع الجسمية سليمة من الناحية التكوينية اذ ان الامراض قد يكون سببها عدم التكيف كالقلق والخوف والشعور بالذنب ومنها ان يشعر افراده بالراحة النفسية فيستطيع افرادهم تخطى العقبات وحل المشكلات بطريقة موضوعية وبذلك يمكنهم الصمود حيال الازمات والشدائد وضروب الاحباط المختلفة دون ان يختل ميزانه ودون ان يلجأ الى اساليب ملتوية غير ملائمة لحل ازمته.

التناغم

طارق عبدالفتاح شديد

دلف سامي إلى حجرته الخاصة المكتظة بالكتب، أو «صومعته» كما يحلو له أن يسميها، متأبطا حافظة أوراقه ومجموعة الصحف والمجلات والكتب الجديدة التي ابتاعها وهو عائد من الجريدة.. مسح كتبه - المتراسة في أنيقة ونظام، والتي تغطي فراغات الحجرة - بنظرة إعجاب حانية.. ألقى ما يتأبطه فوق مكتبه.. أنار «كشاف القراءة» وهم بتصفح المطبوعات الجديدة.. ووقعت عيناه على ساعة المكتب أمامه.. كانت عقاربها متعانقة معلنة انتصاف الليل.. نذت عنه شهقة مذهشة:



- «مرت ساعتان علي خروجي من مكتبي بالجريدة، ولم أكتب بعد، بل ولم أستقر على فكرة الموضوع الذي سأسلمه غدا لرئيس التحرير كي ينشر في زاوية (الرأي الحر) لهذا الأسبوع»..

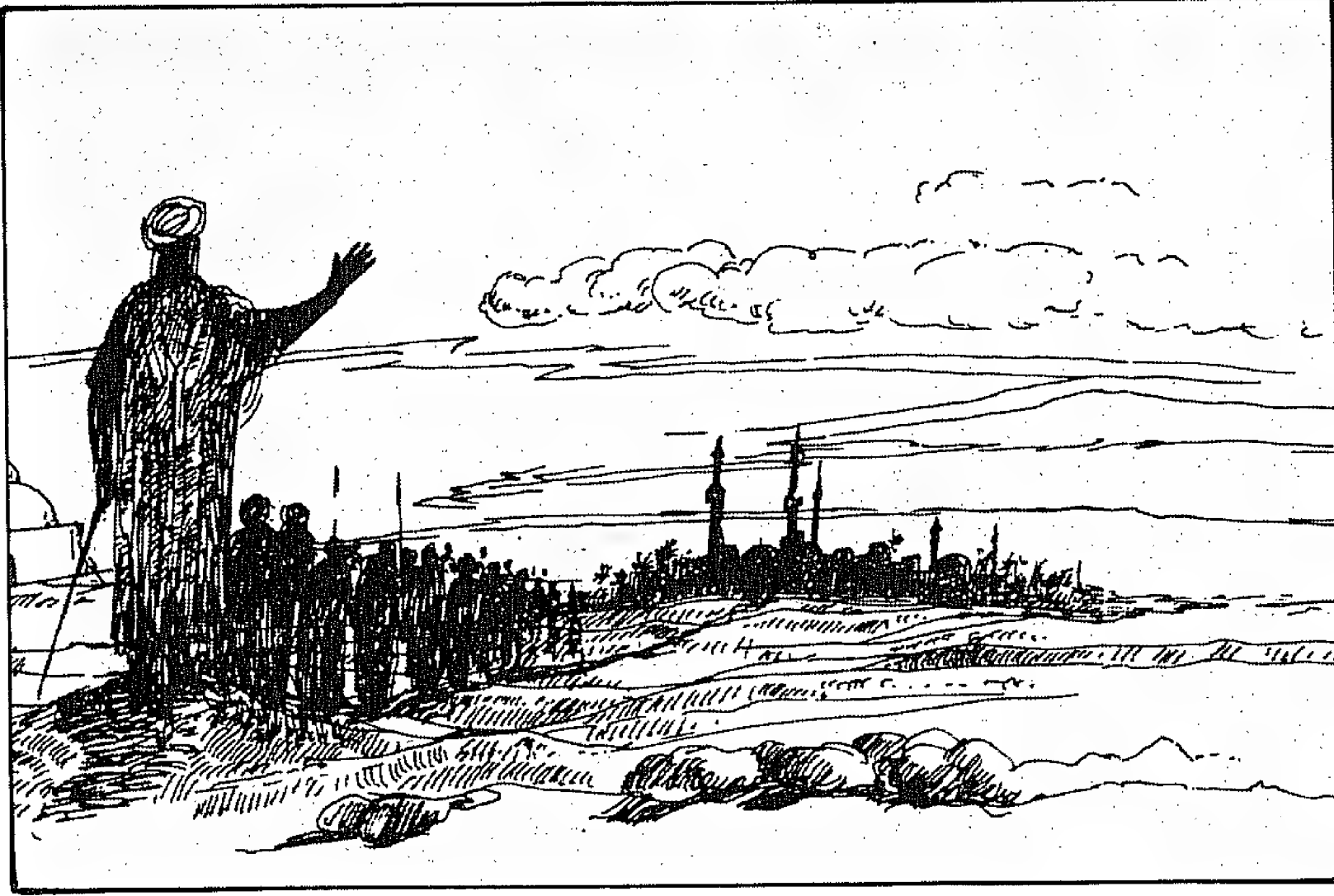
أزاح المطبوعات الجديدة جانبا.. تلقف قلمًا من المقلمة، واستل أوراقا بيضاء من حافظة أوراقه.. انكب عليها يريد أن يسودها حتى يثبت لرئيس التحرير أنه أهل للثقة التي خصه بها دون زملائه.. وأخذ يشجع نفسه علي الكتابة:

- «هيا ياسامي.. لقد أتاحت لك فرصة ذهبية، ستكتب زاوية (الرأي الحر) الموقوفة علي كبار المفكرين، والتي ظل رئيس التحرير يرفض مساهمة أي عضو من أسرة التحرير فيها، حتى ولو كان في مرتبة رئيس قسم»..

فقد استدعاه اليوم رئيس التحرير وطلب منه الاتصال بالأساتذة المفكرين المتعاملين مع الجريدة، ورغم عكوف سامي على الهاتف أكثر من ساعة، فلم يفلح في انتزاع وعد من أحدهم بكتابة زاوية (الرأي الحر) لهذا الأسبوع، فهذا مشغول بإعداد بحث سيلقيه في مؤتمر سيعقد قريبا، وذلك يضع اللمسات الأخيرة على كتاب جديده وثالث عازم علي السفر غدا للمشاركة في أعمال ندوة، ورابع مرتبط بموعد الليلة ولا يستطيع كتابة سطر واحد..

وظل سامي يقلب صفحات مفكرته حتي استنفد كل الأسماء التي تحوز ثقة الجريدة، ولم يبق أمامه إلا اسم ذلك «الدعي» الدكتور «ع. ك» - كما كان يسميه - الذي يتاجر بعلمه،

قصة قصيرة



ويتعامل مع الناس بزهو وعجب شديد بنفسه، مما يتنافى وكونه مفكرا مسلما، فهو يتذكر صورته المتعالية عندما كان يأتي إلى الجريدة ليتقاضى أجر مقالاته ولا يلقي بالتحية على أحد.. وما زال يتذكر أصداء الصوت الممجوج لذلك الدعي خلال الاتصال الأول - والآخر - معه على الهاتف يطلب منه الإذن بمحاوره صحفية حول إحدى القضايا، فكان رده البارد الذي أذهل سامي وأربكه: «كم ستدفعون في مقابل ذلك؟»!! بعد أخذ ورد طويلين عزم سامي على الاتصال به قائلا لنفسه: «فلتكن موضوعيا (!) ولتأخذ منه علمه، ودعك من سلوكه الشخصي»!، بيد أن صوت زوجة الدكتور، عندما جاءه علي الطرف الآخر من الخط، بدد آخر محاولاته، فالدكتور «عامر كريم» قد أدخل إلى المستشفى لإجراء عملية جراحية (!) .. دعا له بالشفاء العاجل، وهو يخاطب زوجته، وتمنى أن يهديه الله ويستوعب درس هذا الابتلاء بعد أن أغلق سماعة الهاتف!

حكى سامي لرئيس التحرير محاولاته الفاشلة في استكتاب أحد المفكرين البارزين، ففاجأه رئيس التحرير بقوله: «تكتب أنت المساهمة واستلمها منك غدا..»

ظن في البدء أن رئيس التحرير يمزح معه، لكن سرعان ما انقشعت سحائب ظنه أمام جدية ملامح رئيس التحرير وتواصل حديثه: «يا سامي ثقني فيك كبيرة، فأنت مثال للصحفي المسلم الواعي المجتهد»..

خرج سامي من مكتب رئيس التحرير ولسانه يلهج بعبارات الشكر والامتنان، وقلبه مثقل بالفرح الممزوج بعبء المسؤولية.. ظل طوال طريقه إلى بيته يستعرض الأفكار التي جرت العادة علي معالجتها في هذه الزاوية، ليستبعدا تباعا: فلن يكتب عن تخلف شعوبنا الإسلامية وتشرذمها وتنأحرها وتبعيتها وتكالب الأمم عليها نتيجة بعدها عن منهج الإسلام وشريعته، ولن يخوض في حديث عن الدم المسلم المستباح والمسترخض من القريب

قصة قصيرة

والبعيد، ولن يتكلم في علاقة الإسلام بالغرب وحضارته المعاصرة، ولن يعرض لأزمة الحرية وحقوق الإنسان في أمتنا، ولن يتحدث عن الغزو الثقافي والأخطار المحدقة بهويتنا، ولن يتناول الأمراض الاجتماعية الخطيرة التي استشرت في جسد أمتنا وتحول دون صحتها ونهوضها الحضاري، ولن... ولن... هكذا استمر يتذكر ويستعيد، وحتى لحظة جلوسه إلى مكتبه في (صومعته) كان لا يزال يجهل أي موضوع سيطرق في زاويته المرموقة..

ومع أنه أمسك بقلمه وانحنى فوق أوراقه فارضاً على نفسه وضعية الكتابة - على أمل أن تترفق به الأفكار فتهدئ عليه سخية - إلا أنه مكث لحظات طويلاً عاجزاً عن خط حرف واحد، فنهر نفسه قائلاً: «ماذا بك يا سامي؟! ألم تعد قادراً على طرح فكرة ومعالجتها؟!.. هل استفحل العقم في عقلك وفي خيالك إلى حد شل يدك عن الكتابة؟!.. لكن هذا التوبيخ لم يأت بالمردود المرتجى.

خطر بذهنه أن يصنع لنفسه «فنجانا» من القهوة ينبهه ويشحن ذاكرته، وبعد أن احتسى قهوته في تودة - محاولاً بين رشفة وأخرى للممة شوارد أفكاره - وجد قلمه مازال جامداً في يده، والأوراق أمامه تتحداه ببياضها الناصع..

حاول مرة أخرى بحزم وقبض بعزم على قلمه، وخط في أعلى ورقة بيضاء كلمتي: «الرأي الحر»، ومع أنه ظل قابضاً على القلم بالعزم فقد تعذر عليه تسطير كلمة واحدة أخرى.. نظر في حلق إلى «رأس» القلم، وضغط بأصابعه على «جسمه» وكأنه يحاول إرغام كلمة - قد انتصبت في حلق القلم - على الخروج، ولكن الكلمة في عنادها متشبثة! شعر سامي بصداخ خفيف يغزو رأسه.. قام وابتلع قرصين لصد الغزو، ثم عاد إلى أوراقه يشجع نفسه: «هيا يا سامي، اعصر دماغك وفكر ملياً.. ولكن يبدو أن الفشل قد صار حليفه!..

تلصصت عيناه بقلق على ساعة المكتب أمامه: «أووه!!.. زفر بها في حدة وغضب.. طارت على إثرها عصافير اليأس واخترقت رأسه، وتسلفت رويداً رويداً عبر شرايينه إلى جميع خلايا جسده.. لقد صار الليل شيخاً هرماً ولم تبرز بعد فكرة جديدة، ولم يطلق هو سراح قلمه.. شعر بخدر عميق يسري في عروقه.. تسارعت نبضات قلبه.. تفصد جبينه عرقاً بارداً.. أحس باختناق شديد.. اندفع نحو شرفة «صومعته» يتلمس نسيمات تسعفه.. صافحت وجهه نفحات ربيعية ناعمة، فأحس شيئاً من الانفراج.. سبج ببصره في أرجاء القبة السماوية المرقطة بقطع الألماس اللامعة.. أعمل عدسته التدبرية، فاستدعت هذه اللقطة الباهرة - في مخيلته - لوحة السماء نهاراً، وتعجب.. كيف أن رسول النور - منذ إشراقه - يحجب عن بصره العالم الأكبر كله، فيصبح أعمى لا يراه، وعندما يغيب رسول النور ويحل الظلام، يصبح أهدى، ويكون للعالم الأكبر أبصر!..

اتسعت عدسته التدبرية حين تمركز نظره على القمر شبه المكتمل والمائل نحو المغيب: «هذا الوجه الوضاء الذي ألهب خيال الشعراء، وأجج عاطفة المحبين علي مر العصور، ثبت أنه قناع زائف يرتديه الوجه الذي هو ظلام، وتراب، وصخر، وخلاء، وصمت، ووحشة رهيبة مديدة».. ثم تسائل: «هل هذا الوجه الساكن المتجهم يعبر عن حقيقة الذات القمرية؟!.. تلاشى إحساسه بالاختناق.. شعر بالدماء تتدفق في شرايين التواصل الكوني داخله..

قصة قصيرة

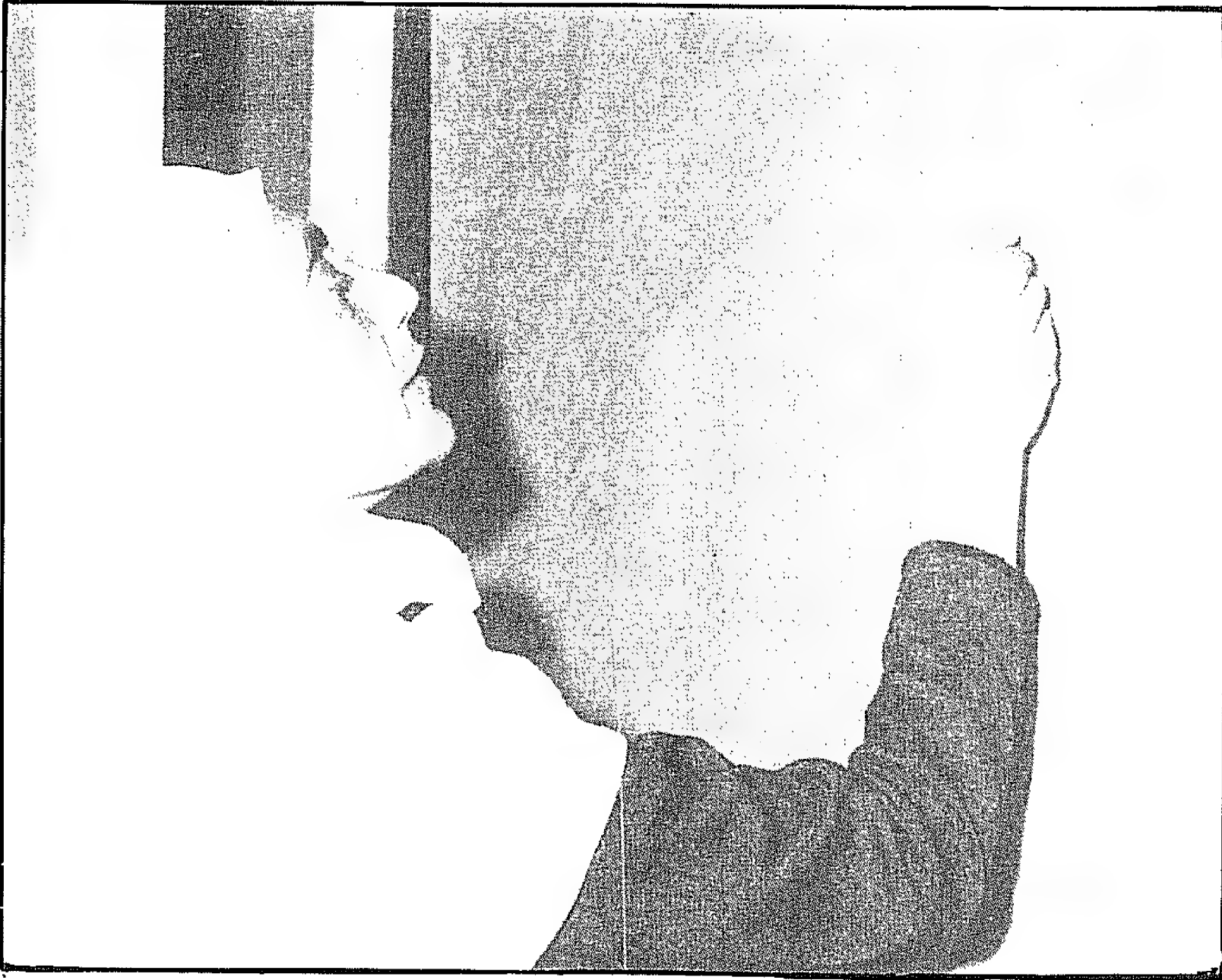
وخيل إليه كأن خيوطا نسجت بين ذاته والقمر كذات عابدة ساجدة: «قاموس هذه الذات القمرية اللغوي يستوعب جميع مفردات (التسبيح والقنوت) التي نعرفها والتي لا نعرفها، ولكننا نحن الجهابذة المغرورين بقطرات علمنا المحدود لا نفهم كيفية تسبيحها المتفرد (!).. هذا القمر العابد يستبشر بنا حين ننسجم معه تسبيحيا، ويكاد يتفطر كلما سمعت أذنه المرهفة أحاديثنا الجاحدة، وكلما بصرت عيونه النافذة تصرفاتنا الآثمة، إنها الغيرة التي تسكن قلبه الساجد الأواب، كم حزن هذا القلب حينما رأى أول أقدام بشرية تطأه هي أقدام الجحود والضلال، وأول علم يزرع فوقه هو علم الشرك والطاغوت، فكم تمنّاها أقدام العرفان والطهارة، وعلم التوحيد والهداية!»

هذا التواصل مع إيقاعات القمر القانت الأواب جعله يتذكر فجأة أنه لم يؤد صلاة العشاء، فقد ترك مكتبه في الجريدة دون أن يصليها في جماعة مع بعض زملائه كما تعود.. انسل من الشرفة عازما الوضوء.. أحس بعد إسباغه الوضوء بارتياح طرح عن كاهله أحمالا ثقيلة.. افترش سجادة الصلاة.. وقف بين يدي ربه تغمره بحار الخشوع.. سجدت جميع خلاليه تسبيحا وقنوتا.. رفرفت روحه محلقة عبر أجوائها النورانية.. شعر بانسجام الأنغام النابعة من ذاته مع المعزوفة الكبرى للكون الأواب من حوله..

ما أن فرغ من صلاته، وشرع في العودة إلى مكتبه لتحرير الزاوية العصية، حتي انهمرت عليه الأفكار المنتظرة: «أزمة النخبة الثقافية والسياسية في عالمنا الإسلامي».. «خطر الاستغراب والمستغربين».. «محنة المسلم مع حضارة العصر».. «أمة اقرأ متي تقرأ؟».. «المسلمون والخروج من دائرة رد الفعل إلى دائرة الفعل الحضاري»..

أوقف سامي سيل الأفكار المتدفق عليه، مندهشا من الجذب الذي حل بذهنه طويلا، وفشله المرير في قنص فكرة واحدة، ثم انشبال الأفكار عليه بمجرد عودته إلى ذاته العابدة، وتجاوبها مع إيقاعات الكون القانت.. تناسى الأفكار الجديدة.. مكث يتأمل تجربته ويبلور أفكارها: «إذن، فالإنسان السوي المتفوق، المتوحد، المتسامي، يتحقق في مرونة تثير الدهشة والإعجاب حينما يلتزم بمنهج الخالق.. ووجود هذا الإنسان سيحل جميع مشاكلنا المزمنة تلقائيا.. فما أمس حاجتنا إلى ذلك الإنسان الذي ينشده الإسلام.. الإنسان الذي يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، يضحك ويبكي، يمزح ويجد، ويتوقد ذكاء، يتألق أخلاقا، يشع نظافة جسدية وجمالا روحيا، يتضوع محبة وألفة وودا، يثور كالبركان إذا اقتضى الأمر أن يثور، ويصبر كالجبال الرواسي إذا اقتضى الأمر أن يصبر.. إنسان لا تفارق البسمة شفثيه حتي وهو يبكي، ولا النور والوضاء عينيّه وجبهته، حتي وهو يجتاز الدروب المظلمة.. إنسان حاضر دوما في قلب العصر الذي ولد فيه، وفي صميم الجماعة التي شرفها بوجوده، ولأنه حاضر دوما، فإنه يسهم في تغيير التاريخ وفي صنعه أيضا»..

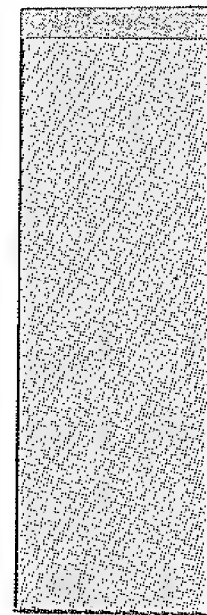
وللحال، وقبل أن يرحل الليل وهو مستغرق في توصيف الإنسان المنشود، قبض سامي على قلمه، وبدأ بتسطير عنوان مقالته: «الإنسان الرباني.. أولا وأخيرا».. وبأقل من ساعة، وقبيل أن تتناغم ذاته مع الكون الساجد تلبية لنداء الفجر، كان قد سود الأوراق، وأنجز الصياغة..



المرأة بين الدور والعمل

للأستاذ : محمد أحمد حسن الشافعي

إن «عمل المرأة» بمعنى قيام المرأة بعمل الرجل، من القضايا الملحة التي أدلى فيها كثير من المفكرين والمتقنين بدلائهم. فدبجوا ما يعز حصره من صفحات، تعج بالبراهين المنتحلة والأدلة المنتخبة. لكن تحديد المصطلح «عمل المرأة» لم يحظ بقدر مناسب من العناية، مما نهض حائلا دون بلوغهم الغاية المأمولة والهدف المرجو، من الإحاطة والبيان.



قضايا نسوية

وأُس القضية أن الرجل والمرأة ليسا مخلوقين مختلفي الغايات والمرامي وإنما هما مخلوق واحد ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الروم / ٢١

﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كُنُفُسًا وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ لقمان / ٢٨

﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى / ١١

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء / ١

ويسعى هذا المخلوق لغايته التي خلق من أجلها وهي عبادة الله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات / ٥٦

وذلك من خلال إحسان القيام بدوره في خلافة الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأُتَّةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة / ٣٠

فإحسان الخلافة ينتهي بالإنسان إلى تحقيق العبادة بمعناها الواسع، وهو تحقيق المنهج الإلهي على الأرض. بما يضمن ثواب الآخرة وسعادة الدنيا.

ولباب الأمر، أن الرجل والمرأة سواء في المنزلة عند الله وسواء في مبدأ التكليف، وسواء في الأهمية بخصوص القيام بأعباء الخلافة. لا يعمر كون ولا يبقى نوع ولا تتم عبادة إلا بكليهما غير أن لكل منهما

دورا يكمل الآخر، ولا يماثله، وفي ذات الوقت لا يخالفه فالرجل والمرأة شريكان لهما نفس القصد والغاية التي لا سبيل إليها إلا بتكامل دوريهما. وعلى ذلك فإن تحديد المصطلح يقتضي أن نستبدل «بعمل المرأة» «دور المرأة» وبدهي أن دور المرأة يحتوي فيما يحتويه عمل المرأة، وأن تكامل الدورين دور الرجل ودور المرأة يعني بالضرورة تكامل عمليهما، دون تماثل أو تنافر، إذ يعني التماثل إمكانية أن يغني أحد المتماثلين عن الآخر.. كما أن المتناقضين لا تجمعهما غاية وبقاء أحدهما أو قوته لا يتم إلا بذهاب الآخر أو ضعفه.

وقد بدأ الرجل والمرأة في ممارسة دوريهما في الجنة، قبل أن يهبطا إلى الأرض، فأدم عليه السلام وقد تسلم بالمعرفة ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَـؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة / ٣١

قد أوشك أن يكمل تأهله ليمارس دوره في حماية نوعه «متمثلاً في زوجه قد انفرد بالخطاب الإلهي» ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة / ٣٥..

وإفراد الخطاب لآدم هنا، وهو متعلق بأوامر ونواه لا تخصه وحده، يسمح بهذا الاستدلال. ثم وقعا في غواية إبليس وتقرر هبوطهما إلى الأرض ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ البقرة / ٣٦

وأحس آدم وحواء بالزلل الذي أنشبتهما فيه الغواية فجعلا يستغفران

قضايا نسوية

الله سبحانه وتعالى ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ الأعراف/ ٢٣
﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ البقرة/ ٣٧

والإفراد في الخبر في الآية الأخيرة مع عموم المخالفة، وعموم الاستغفار، ثم عموم المغفرة والتوبة. يفيد ما أفاده أفراد الخطاب لآدم قبل ذلك.

وفي الجنة لم يكن دور حواء واضحا وضوح دور آدم، فاقترن على استجابتهما للأمر الذي تلقاه زوجها لكليهما إذ لم يكن لها أن تمارس دورها الأول الذي أهلت له وزاولته من بعد على الأرض، من مشاركة لآدم في «حفظ النوع»، ومن قسمة أعباء الرعاية والحماية لصالح النوع، الرعاية للمرأة، والحماية للرجل، بموجب الاستعداد الخلقي والخلقي لكل منهما. هذا الدور الذي جلاه القرآن الكريم وأبرزه، حين أوصي الإنسان بوالديه حسنا، مدلا على استحقاقهما للمعاملة الطيبة بجهد الأم ودورها ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلي الصمير﴾ لقمان/ ١٤

﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين﴾ الأحقاف/ ١٥
فإذا انتقلنا إلى «عمل المرأة» وهو فرع في دورها العام، فالطبعي أن يدور مع

دورها دوران الجزء مع الكل. والحقوق والواجبات والأوامر والنواهي والحلال والحرام والضرورات والمحظورات كل ذلك وغيره لم يحدده الشارع الحكيم عبثا، وإنما رسم بدقة ووفق حكمه تجاوزان قدرة الإنسان على التصور - وإن لم يحرم نعمة الإلمام ببعضها - وعلى ذلك فإن أي مخالفة من قبل الإنسان للمنهج تعني قدرها أو مثلها من اضطراب الوسائل وضلال السعي إلى الغاية وجر الشقاء والحرمان من ثواب الآخرة.

والحقوق غير المشروطة أو غير المقيدة «بظرف أو إمكانية» تقابلها واجبات تشاكلها وتمثلها في الإطلاق.. حتى ليكون الحق والواجب أمرا واحدا.. فمن حق له العمل وجب عليه العمل ومن وجب عليه حق له.. وكذا الأمر في غير ذلك من مناشط الحياة.

أما الحقوق المقيدة فهي رهن بحالات استثنائية تمخضت عنها أحوال أو قدرات استثنائية يوشك غياب الحق المقيد إزاءها - بما يلزمه من واجب يضاهيه - أن يسلب الفرد أو المجتمع توازنه.. كإباحة الزواج من أربع..

وثمة محظورات تبيحها الضرورات إذا حاق ما يهدد بقاء حياة الإنسان تهديدا مباشرا سواء بالنسبة للفرد أو الجماعة.. وهو استثناء على الاستثناء.. ويكون المباح من المحظور على قدر الضرورة كأكل الميتة مثلا.

وإنما يلتبس الأمر عند من يقع في أحبولة الخلط بين الحق المطلق، بما يقابله من واجب عام، وبين الحق المقيد، والواجب المقيد، والمحظور الذي تبيحه الضرورة على قدرها. فإدعاء المرأة لفريضة الجهاد في

قضايا نسوية

ظروف استثنائية معينة، لا يقاس عليه
تجنيدھا بالجیوش في ظروف بعيدة عن
الاستثناء أو الضرورة.

ولا ينبغي الإفراط في الاستدلال
بالتواتر عن نهوض المرأة بأمور تبدو من
عمل الرجال كعنايتها بفرس أو مشاركتها
في أعمال الحقل.. إلى ما يشبه ذلك. فهذه
أعمال يسهل على المرأة أدائها، ولا
تناهض دورها ولا تلزمها ترك ميدانها في
منزلها.. فالمعهود في الأعمال التي تؤديها
الفلاحات أو البدويات، أنها مما تعتاد
المرأة ممارستها في منزلها جامعة بينها
وبين دورها في الرعاية، أو هي من قبيل
الأعمال التي تنتقل إليها الأسرة جميعها،
حاضنها ومحضونها كأعمال الحقل،
وهذا اللون من الأعمال، يمكن للمرأة فيه
أن تدع الفرع إذا دعاها الأصل، في أي وقت
كما أن الاختلاط فيها اختلاط بين
محارم.. ويتشاكل الأمر أيضا حين
يستدل بعض الباحثين بالوقائع المحدودة،
على عموم الأحوال وما لا يعد من الوقائع..
بينما يتغافلون عن النظر في بدهية مقارنة
أعداد الإناث لأعداد الرجال في عموم
البيئات والعصور.

وعن ربطه بما تخلص إليه دلالات
الإحصاء من أن مدى قيام المرأة بعمل
الرجل لا يخرجها بأي حال من دائرة
الشذوذ والاستثناء إلى دائرة المساواة..
وأن إسهام المرأة في القيام بعمل الرجل من
جهة العدد ومن جهة الجهد لم يساو
مطلقا إسهام الرجل من جهة العدد
والجهد - في بيئة معينة وزمن محدد إلا
أن يكون ذلك علة أو نتيجة لخلل اجتماعي
وحضاري.

وليس من الجائز كذلك أن يستدل
بمظاهر حركة المرأة في المجتمع إبان عصر

صدر الإسلام آنذاك.. فكثير ممن
يناقشون قيام المرأة بعمل الرجل - في هذا
العصر الرشيد الوضيء - يعرجون على
الاستشهاد.. بإتيان النساء للمساجد أو
طلبهن العلم.. إلى ما شابه ذلك.. خالطين

بذلك بين مظاهر قيام المرأة بعمل الرجل
وبين مظاهر حركتها في المجتمع..
ومعروف أن تخصصها في الدور لا يلغي
حركتها الاجتماعية بحال من الأحوال.

ولما كان الرجل من جهة التكليف،
والصلاحية، قادرا على الوفاء بمقتضيات
الحماية والسعي، فقد كفيت المرأة أن
تؤدي دورا لا تحسنه، ولا تصلح له،
ولا ينبغي لها، إلا وفق ضوابط محددة،
لتفرغ لدور لا يصلح له الرجل ويناسب
كل المناسبة قرات المرأة وإمكاناتها.

وعلى ذلك، فإن الدعوة إلى خروج المرأة
لتؤدي عمل الرجل، لا يبعد عن أن يكون
دعوة لفوضى الاجتماع.. وجرأة على سنن
المنهج الإلهي، تباعد بين الفرد والمجتمع،
وبين السعادة وإحسان الخلافة
والعبادة.

والقول بحق المرأة أو واجبها في القيام
بعمل الرجل، أن لازمه القول بأن عملها
المرجو يسبق واجبها الأول في الحفاظ على
النوع ورعايته، فهذا هراء. وإن لازم
الدعوة إقرار بواجبها في رعاية النوع فهو
ظلم.. يصادم العدل الذي هو من أعلى
مقاصد الشريعة والاجتماع البشري، فلا
يكون من العدل أن تعمل المرأة في جبهتين،

وأن تنوء بغالبية أعباء الخلافة، ومن
مشاركة مبهظة في الحفاظ على النوع، إلى
انفراد برعايته، ثم تكلف حمايته
بخروجها إلى العمل. لا سيما إذا وضعنا في
الاعتبار أن رعاية النوع ممتدة بالنسبة

قضايا نسوية

للمرأة - من قيام بأمر الزوج.. إلى حضانة الطفل الأولية «الحمل - الميلاد - الرضاع» إلى توالي أشكال من الحضانات ومراحلها بسبب تكرار الميلاد وتعاقبه.

وعلى ذلك فهل تحسب المناداة بحق المرأة في القيام بعمل الرجل مناداة بظلم المرأة وهضمها وإعناتها، أو مناصرة وتكريما لها...!!؟

والمأمل لواقع المجتمعات التي يشيع فيها عمل المرأة، يدرك بيسر وسهولة، أن الأمر انتهى فيها غير محمود العاقبة، ففسد أمر المنزل ولم يحسن أمر العمل الذي تؤديه، ودفع الجميع ثمنه، «الرجل» والمرأة «والأبناء».

فما بال من يتنادون باحترام التخصص في كل حركة الحياة، يغفلون عن أن الدعوة إلى قيام المرأة بعمل الرجل، هو هدم لمبدأ التخصص في أول أشكاله وأهمها على الإطلاق؟

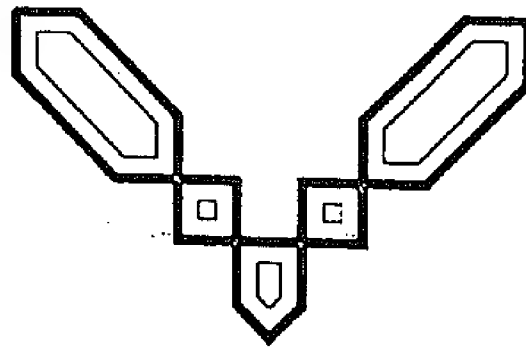
ومن المهم في هذا المقام أن نلتفت إلى أن النساء اللاتي أورد القرآن الكريم ذكرهن في موضع التكريم، كن أمهات، وحواضن، وراعيات لأطفال أعددن للنبوة.. أو راعيات لأبناء أو قائمات برعاية أزواج فتمة.. مريم ابنة عمران أم عيسى

عليه السلام.. وأم موسى عليه السلام، وأخت موسى، وأسية بنت مزاحم زوجة فرعون، وأم إسماعيل عليه السلام، وأم اسحاق ويعقوب عليهما السلام، وابنتا شعيب.. وإحدهن تزوجها موسى عليه السلام..

ويلاحظ أن تكريمهن في القرآن وارد في سياق الحكاية لأدوارهن في رعاية أعظم الرجال من أبناء أو آباء أو أزواج.

وأن عظمتهم مقاسة على عظمة المحضون أو المرعي وعلى قدر المحنة في احتضانه ورعايته والأهم من ذلك أن الخطاب «الفقهي» للمرأة يحدد دورها في رعاية النوع.. إكمالا لدور الرجل في حمايته، ووصولا بالدورين معا إلى صلاح النوع، لتقوم خلافته وتتم عبادته، كما يؤكد هذا الخطاب على كونها في حماية الرجل، وكفالته ابنة، وزوجة، وأما..

وهذا جلي في رؤية الشارع الحكيم لما يتعلق بالمرأة من أمور: الخطبة، الزواج، الطلاق، الصداق، الميراث، الشهادة، الحجاب، الحقوق الزوجية. ضوابط الحركة الاجتماعية إلى غير ذلك من أمور.. والله أعلى وأعلم

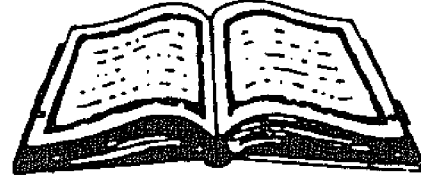


فتاوى

منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية
بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى
فيها فائدة عامة للإخوة القراء..

المحلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها
إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

كما يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية
مباشرة من ٨ - ١٢ ظهرا ومن ٤ - ٨ مساء على الأرقام
الهاتفية التالية ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤
وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩.. ونرجو من الأخوة
المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □



ما حكم العمل في البنوك؟

✽ ما حكم الشرع في العمل بالمؤسسات التنموية والبنوك هذا العمل الذي يعتمد أساسا على تقديم القروض والأعانات المالية للدول الفقيرة وهذه القروض بطبيعتها من النوع الميسر أي لها فترة إمهال طويلة للسداد فوائد بسيطة تقدر ما بين ٩٨ إلى ١٠٦ علما بأن العاملين بهذا الصندوق يتقاضون رواتبهم عن طريق الرسوم الإضافية المفروضة لإدارة هذه القروض التي تفرض أساسا على المقرض زيادة على مبلغ القرض الأساسي الممنوح، ولاتعتبر هذه الرسوم من ضمن الفوائد.

وما حكم الشرع في عمل الموظفين الذين يتطلب عملهم تحضير اتفاقية القرض والتي عادة تتضمن هذه الفوائد وذلك من خلال تقييم المشاريع ومناقشة بنود اتفاقية القرض والتوقيع فيما بعد لتسهيل وإتمام إجراءات القرض ومن ثم متابعة المشروع.

ما حكم الشرع في عمل الموظف الذي يعمل بشركة تجارية تعتمد التسهيلات البنكية في استيراد البضائع ثم بيعها في الأسواق المحلية ثم تدفع للبنوك فوائد بنكية، علما بأن هذا الموظف هو ابن صاحب الشركة.

- أجابت اللجنة بأنه يحرم القيام بالوظائف التي من مهامها إنشاء المعاملات الربوية، أو اقتراح الدخول في الربا، أو تداول السندات أو أسهم المؤسسات الربوية لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل الربا وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: هم سواء) رواه مسلم.

وعلى المستفتي البحث عن عمل آخر مباح إذا كان عمله متصلا بالمعاملات الربوية ولا يجوز له الاستمرار في عمل ذي صلة بالمعاملات الربوية الا للضرورة التي تبيح المحرمات. والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

هل يجوز استعمال الدف والدربة في الأناشيد؟

ما حكم الشرع في التسجيلات الإسلامية التي تحتوي على الدف أو الطبل (الدربة).

علما بأن هذه الأناشيد ذات طابع جهادي وحماسي تحث على الجهاد والبطولة.
- أجابت اللجنة : أنه لا بأس باستعمال الدف، و(الدربة) المسماة بالكوبة المصاحبة
للأناشيد الإسلامية والحماسية ولكن الأفضل تجنبها خوفا من اختلاف الفقهاء فيها،
والله أعلم. وصلي الله على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الترويج للسلع بالتلفزيون

تقوم حاليا إحدى الجمعيات بدراسة مشروع استغلال أجهزة التلفزيون الموجودة داخل
السوق المركزي في الإعلان عن السلع والأصناف بقصد ترويجها والدعاية لها، وإزاء ما
قد يقترن العرض الإعلاني أو يتخلله أو يصاحبه من موسيقى أو معازف فإن الجمعية تود
قبل الشروع في التنفيذ تحرياً لحكم الشرع. ان تستطلع الرأي في جواز اقتران الأعمال
الدعائية والإعلانية المذكورة داخل السوق بمعازف أو موسيقى.
- الموسيقى المجردة أو الموسيقى التي يصاحبها غناء من الأمور التي اختلف الفقهاء في
حكمها بين مبيح ومانع ولكل دليله وحجته، فهي من الأمور المشتبه، فأقل درجاتها
الكراهة، والأولي تركها إلا إذا صاحبها محرم ككشف العورات والرقص والغناء أمام
الرجال الأجانب أو كان ملهيا عن الواجبات الشرعية ونحوها، فتكون محرمة، والله أعلم،
وصلي الله على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

هل يجوز بيع أدوات التجميل؟

* هل يجوز المشاركة في التجارة مع شخص يضع أمواله وديعة في بنك ربوي، ويأخذ
عليها فوائد؟

وهل يجوز بيع أدوات المكياج ومستحضرات التجميل؟
وهل يجوز بيع أقلام وساعات تحتوي بجزء أو بكل على عيار ١٤، ١٨، ٢١ من الذهب
وماشابهها من أشياء يستخدمها الرجال مثال خاتم الذهب للرجال مع ذكر الأدلة جميعا
من الكتاب والسنة؟

- وبعد المناقشة أجابت اللجنة بأنه : يجوز المشاركة مع هذا الشخص إذا كان رأس مال
الشركة من مال حلال خال من الربا بحيث يكون عند هذا التاجر ما يغطي نصيبه في
الشركة من المال الحلال بأن يكون أكثر ماله حلالا.
كما أجابت اللجنة : بأن الأصل جواز بيع أدوات المكياج ومستحضرات التجميل والأولى
عدم بيعها لمن علم عنها يقينا أنها ستستخدم في التبرج والزينة أمام الرجال الأجانب والله
أعلم.

وحول النقطة الأخيرة أجابت اللجنة : بأنه يجوز لبس الساعة المطلية بالذهب إذا كان يسيرا بحيث لا يمكن استخلاصه منها، أما إذا كانت في الساعة أجزاء من الذهب الخالص فإنه لا يجوز للرجال لبسها مطلقا، ويجوز لبسها للنساء دون الرجال وينطبق على البيع ما ينطبق على اللبس من أحكام. والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

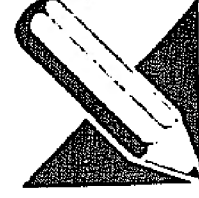
اقتناء أجهزة الستلايت

ظهر في الآونة الأخيرة بكثرة جهاز استقبال تلفزيون المسمى بـ (الستلايت) يستطيع الإنسان من خلاله استقبال بث محطات التلفزيون العالمية ولا يخفي عليكم ما تبثه تلك المحطات من سموم وحرب لدين الله بكل مظاهره وأساليبه يتضمن ذلك أفلاما مخلة بالحياء ونشرا لتعاليم النصارى أو الدول الكافرة، فهل يجوز اقتناء مثل هذا الجهاز أو الدعوة إليه والاتجار فيه، علما بأن البعض يقتنيه لمتابعة المستجدات في العالم.

أجابت اللجنة : بأن الأصل في الأشياء الحل، وأن للوسائل حكم المقاصد فإذا كان الغرض من اقتناء هذه الأجهزة وبيعها والاتجار بها أمرا مشروعًا كمشاهدة الأخبار العلمية والمستجدات العالمية فإنه لا مانع شرعا من اقتنائها لهذا الغرض المشروع، شأنها في ذلك شأن كل الأجهزة التي يمكن استخدامها في الخير والشر، كالتلفزيون، والفيديو والراديو.

وأما إذا كان الغرض من اقتنائها النظر إلى الأفلام المحرمة، أو جلب فتنة، تضر بالآخلاق والقيم الإسلامية الفاضلة، أو تؤثر على العقيدة الإسلامية فإن اقتناءها حينئذ لهذا الغرض محرم شرعا لما تجره من مفسد. كما يكون الاقتناء والاستعمال محرمين فيما إذا غلب الاستعمال المحرم على الاستعمال المباح أو كان ما يستقبل بواسطة هذه الأجهزة من مباح مختلطا مع المحرم بحيث لا يمكن تفاديته أو صرف الأبناء عن مشاهدته فيكون محرما سدا للذريعة المفضية إلى الحرام اقضاء غالبا، خاصة مع عدم خضوع البرامج المستقبلية عبر هذه الأجهزة للرقابة الرسمية، والله أعلم.

وتهيب اللجنة بأولياء الأمور أن يحرصوا على استعمال هذه الأجهزة استعمالا شرعيا، مفيدا، وألا يتركوا الفرصة لابنائهم وبناتهم أن يتابعوا القنوات والمواد الهابطة والمنافية لتعاليم ديننا الحنيف، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



فأما الزبد فيذهب جفاء

«فأما الزبد فيذهب جفاء وأماما ينفع الناس فيمكث في الأرض»

احتفلت المملكة العربية السعودية في الثالث والعشرين من شهر سبتمبر الماضي بالذكرى الثالثة والستين لليوم الوطني الذي يعد في رأي المراقبين المنصفين انطلاقة تحول كبرى ونقطة بارزة مضيئة عكست إنجازات ضخمة على كافة نواحي الحياة في المملكة سياسيا واقتصاديا وثقافيا وذلك عبر مسيرة شاقة طويلة مليئة بالتحديات نقلت المملكة إلى بر الأمان والازدهار والتقدم والرفاه خلال فترة وجيزة نسبيا في عمر الدول والحضارات.

إن من حق كل عربي ومسلم أن يفخر بهذه الإنجازات والأعمال الجليلة التي حققتها المملكة داخليا وخارجيا والتي تعبر ولا شك عن أصالة القيادة التاريخية ورجاحة عقلها وبعد نظرها وجلدها في تحمل الأعباء بصبر وحكمة وروية حيث تمكنت بنجاح من المواءمة بين أصالة الماضي وحداثة الحاضر في تناغم جميل متوازن قل أن تحققه قيادة من القيادات كما تعبر هذه الإنجازات الرائعة عن عزيمة وإيمان وإصرار الشعب السعودي في مسيرته المظفرة خلف قيادته يشد من أزرها وقت الملهمات ويدعم خطاها في كل ميدان بعيدا عن العاطفة والعصبية وأسلوب النفاق والمجاملات والتهريج التي تنتهجها بعض الأنظمة الأخرى.

لقد أضحت المملكة ولله الحمد بفضل سياستها الرشيدة والحكمة هذه الشقيق وقت الضيق لكافة الشعوب الإسلامية المضطهدة حيث وقفت بجانبها تقدم لها المساعدة والدعم حتى تنال حقوقها المسلوبة وحتى يعود الحق إلى نصابه في عالم تتحكم فيه المصالح والأهواء دون أن ينسيها موقفها هذا واجباتها تجاه كافة القضايا الإنسانية في العالم.

إن سقوط المذاهب الوضعية والنظريات المادية وفشلها جميعا في دفع مسيرة الحياة لدليل حي على صدق رسالة الإسلام وصلاحيته لكل عصر وزمان وهو ما تبنته المملكة منذ انطلاقتها الميمونة على الرغم من الحملات المضللة التي شنت عليها محاولة النيل من سياستها وإعاقة مسيرتها وتقديمها وصدق الله العظيم.

«فأما الزبد فيذهب جفاء وأماما ينفع الناس فيمكث في الأرض»

هنا يرسو
قلم أحدنا،
ينفض عن
كاهلية
وطاة الأيام
وازدهام
الأعمال
وهموم
الواقع،
فيثبت
القاريء ما
يتفاعل في
نفسه..
وهي زاوية
رأي
مفتوحة
الذراعين
للجميع..

بقلم
تمام أحمد

اقرأ في الأعداد القادمة

☐ الفقة الاسلامي حركة مستمرة الى
الامام

☐ كيف ربي رسول الله صلى الله
عليه وسلم أمة تقود الامم

☐ لغتنا بين المناهج الدراسية وفتون
القول

☐ الدولة الاسلامية بين الحقيقة
والافتراء

☐ مقالات في أصالة الفكر المسلم

☐ دور الاوقاف في صناعة الحضارة
الاسلامية وفي تجديدها

☐ تعدد الزوجات لم يأمر به الاسلام
وانما رخص فيه

كل هذا إضافة للعديد من المقالات
والمواضيع الاسلامية المتنوعة والابواب
التي تستفتح

الشعب التركي يعود إلى هويته الإسلامية
من احتفالات الشعب التركي في شهر مايو الماضي
بذكرى فتح القسطنطينية

